وزارة التعـليـــــم العـــالي والبحـث العـلـــمي
جـــــامعـة محمـد خيضـر بسكـــــــــرة
كلية العلــوم الإنسانيـــة و الاجتمـاعيـــة
قسم العلــوم الاجتمــاعيـــــة
شعبـة علـم الاجتمـــــاع

عنـوان المـذكـرة

مظـاهـر التخلف التربـوي في الخطـاب الشعـبي

حـالــة وادي ســوف – الجزائــر-

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع تخصص علم اجتماع التربية.

إعداد الطالبة :
خديجـة لبيـــهي

إشـراف الأستـــاذ الدكتور:
الطـــاهـــر الإبـــراهيمـــي

لجنـة المنـاقشـة :

دبلـة عبد العـــالي	**أستـــاذ**	**رئيســـــا**	**بسكـــرة**
الطاهـــر الإبراهيمي	**أستـــاذ**	**مشرفـا و مـقـررا**	**بسكـــرة**
حســان الجيـــلاني	**أستـــاذ محاضر . أ.**	**عضـوا منـاقشـا**	**بسكـــرة**
زوزو رشيـــد	**أستـــاذ محاضر .أ.**	**عضـوا منـاقشـا**	**بسكـــرة**

السنـة الجـامعيـة : **2011/2010.**

مـــــــقـدمـــــــــــــــة

حياة الناس العادية تجمعها مواقف مشتركة تقوم على التفاعل الاجتماعي، بحكم العلاقات السائدة بين أفراد المجتمع، ومما يسهل عملية الاتصال التواصل اللغة التي تعد القناة الأساسية التي بواسطتها ننقل أفكارنا وإشارتنا إلا الآخرين حتى يفهموننا ونفهمهم. ويحرك ذلك التفاعـل عدة عوامل لها علاقة بالبناء الاجتماعي والثقافي للمجتمع بما في ذلك مؤسسات التنشئة الاجتماعية و أول مؤسسة وأهمها الأسرة التي تعد المنبت الأول لعملية التربية هذه العملية التي تتعهد الفرد الاجتماعي بالرعاية وتزوده بأبجديات وآليات التعامل مع مختلف فئات المجتمع بما يتشربه من قيم وأفكار ومبادئ...لكن تعترض التربية بعض العراقيل التي تجعلها تحيد عن مسارها الصحيح، تلك المطبات قد تكون لها علاقة بالأسرة أو الثقافة أو قد تكون ثمرة للبناء الاجتماعي ككل، لذلك كان حريا بنا أن نبحث في ذلك الضعف و نحاول رصده ومن وفيما يـؤثــر .

لذلك جاءت هذه الدراسة لرصد نقاط الضعف التي تسببت فيها وكونتها عملية التربية تجاه قضيتي المرأة والعمل أو ما أطلقنا عليه التخلف التربوي ، وتـقسم الدراسة إلى سبعة فصول:-

فالفصل الأول اهتم بموضوع الدراسة من طرح الإشكالية ، والتعرض لأسباب اختيار الموضوع أهدافه وكذا أهميته، مع تحديد مفاهيم الدراسة والحديث عن مادتها ومنهجها.

أما الفصل الثاني فتحدث عن ملامح التخلف التربوي وذلك بالتعرض إلى إشكالية مفهوم التخلف و الزوايا المتعددة التي عُولج منها، مع الحديث عن خصائص العقلية المتخلفة والتركيز على السياقات الاجتماعية والثقافية للتخلف التربوي.

والفصل الثالث خصصنا الحديث عن التخلف التربوي في قضيتي المرأة و العمل، ففي موضوع المرأة تم الحديث عن خطاب المرأة و تربيتها وتعليمها وعوامل القهر الذي تتعرض له مع المرور على قضية السحر والعين. أما في العمل فتحدنا عن نمط التربية وكيف يؤسس لتلك النظرة المتخلفة تجاهه وكيف أنتجت تلك التربية صفات سلبية تميز بها الفرد العربي والحديث أيضا عن الخرافة وكيف أصبحت منهجا للتفكير.

و في الفصل الرابع تم التركيز على الثقافة الشعبية كمنظومة للتطبيع الاجتماعي ، وتم الحديث عن اللغة وعلاقتها بكل من الثقافة والمجتمع وكيف أن تلك العلاقة تسهم في تكوين خطاب الجماعة وتجعله كمنج ثقافي يؤثر في عملية التنشئة الاجتماعية، و المرور على أنماط التراث الشعبي وكذا الحديث عن الدلالة السويولوجية للرمز .

أما الفصل الخامس فتم الحديث عن مجتمع البحث ، ودراسة وادي سوف من الناحية الجغرافية والاجتماعية والتاريخية ، وكيف لتلك النواحي أن تكون نمطا معينا من للتفكير.

والفصل السادس خصصنا الحديث عن الخطاب الشعبي في وادي سوف بما في ذلك الخطاب الشعبي المدون (الأمثال والقصص الشعبية) ، والخطاب الشعبي الشفاهي، وكيف اهتم ذلك الخطاب بقضيتي المرأة والعمل .

وانتهينا في الفصل الأخير إلى الإجابة على تساؤلات الدراسة من خلال صنافات كمية تم تحليلها بشكل يسلمنا إلى تقديم إجابة على تساؤلات الدراسة ، ويقدم حوصلة نهائية للدراسة.

إلا أن هذه الدراسة واجهتها مجموعة من الصعوبات جاءت كالآتي: -

1- طبيعة الدراسة تفرض على الباحث أن يتصل بأكبر عدد ممكن من فئات المجتمع ،ويجمع اكبر عدد ممكن أيضا من الخطابات ويرصد المواقف التي تتكرر يوميا ،وذلك يتطلب تظافر مجهودات لأكثر من باحث ، فمن الصعوبة بمكان أن يتمكن باحث واحد من رصد كل الخطابات فهي أكبر وأشمل من أن يلم بها باحث واحد .

2- نظرا لطبيعة المنطقة المحافظة صـعّب عليـّا ذلك الاتصال بجماعة الرجال في(المقاهي – الشارع ..)،و لولا بعض المخبرين لما تمكنت من رصد بعض المواقف المتعلقة بهم .فالاستماع لما يقوله هـــؤلاء يفتح مجالات أوسع للبحث ،ويلفت انتباهنا لقضايا كانت غائبة عنــّا.

3- التلقائية التي تميز مادة الدراسة ،لم يسمح لي بإحداث أي تغيير على المواقف التي أرصدها ،فأكتفي بمجرد الملاحظة والتسجيل،وذلك يجعل ظهور تلك المواقف لا يرتبط بوقت معين وقصر مدة البحث لم يخدمني .

4- صعوبة العودة إلى السياقات الاجتماعية والتاريخية للأمثال الشعبية التي تسمح لي بتحليل أعمق وأشمل، فقد وجدتها مدونة بلفظها فلا مضرب للمثل الشعبي ولا مورد .وحتى السياقات التاريخية التي تحصلت عليها كانت في إطار مقابلات مع ذوي الخبرة (مختصين أو الكبار في السن).

5- قلة المراجع المتعلقة بـــ: - التخلف الثقافي والتربوي – وضعية المرأة في مجتمع وادي سوف – سيوسولوجية العمل – الخطاب الشعبي الشفوي .

1- طرح إشكـاليـة الـدراسـة :

يعيش العالم العربي تخلفا يكاد يكون على جميع الأصعدة (اقتصادي – سياسي- اجتماعي ....) ، وقد اهتم الباحـثون بدراسة تلك الأنواع ،ورد ذلك التخلف إلى أسباب عدة ،إلا أن هناك نوعا من التخلف لم يحظ بالاهتمام الكافي ألا وهو التخلف الثقافي والتربوي فأشكال التخلف قـد تتأزم أكـثر وتـتعقـد إذا مست المنظومة القيمية والفكرية والتربوية للأفراد فلها إذا تأثير مباشر على الإنسان الذي هو محور أي عملية تنموية سواء تعلق الأمر بالاقتصاد أو الثقافة أو التربية ... ، وقـد دعم هـذا الرأي الأستاذ عبد الله شريط وذلك برده كل مشاكلنا وعيوبنا إلى مشكلة الثقافة بقوله :" كل مشاكلنا وعيوبنا ...مردها إلى مشكلة الثقافة أعني الثقافة بأوسع معانيها : المدارس والمحاضرات والصحف ،والعادات والتقاليد ...والأخلاق ومشاكل التربية وتناقضات الأجيال وتنازع الأفكار "[1]. والتربية هنا كمحك رئيسي لـمفهـوم الثقافة وهذا يـجعلنـا نتجاوز المفهوم الـمحدود للثقافة فهي شاملة لكل أنواع السلوك، فالتربية تنبع أساسا من الثقافة ،فالتربية هي في النهاية تـمثـل لـمنظومة من القيم والأعراف التي تكون ثقـافـتنـا .

فكلمة تخلف توحي لنا بالكثير من المعاني فهي تعني التراجع أو الخلل أو الضعف في أحد الجوانب الحياتية .ويتكون ذلك التخلف نتيجة لمعطيات وإرهاصات أي كان نوعها اجتماعية ثقافية أو اقتصادية . فذلك التخلف التربوي لـم يأت من فراغ وإنما هو نتاج لرواسب و موروثات ثقافية (عادات ، تقاليد ، ثقافة شعبية ...) تلك الرواسب التي كانت بمثابة المعطيات أو المؤشرات التي أدت إلى عرقلة أو تأخر المجتمع في حد ذاته بما يحمله من تربية وثقافة واقتصاد بمكوناته الثقافية والتربوية ..الخ

واللغة تشكل عماد ذلك الموروث الثقافي ،فهي جزء لا يتجزأ من نمط تفكير المجتمع إن لم نقل أنـها هي الفكر في حد ذاته كما أكد الدكتور مصطفى حجازي أن التخلف يتناسب طرديا مع هدر الفكر ..وذهب إلى أن صحـة أي مـجتمع ونـمائه وحيويته وقوته تتوقف على حيوية فكره، ويقظة وعيه [2].

والتربية شأنها شأن الاقتصاد والثقافة كلها تعتبر مُـشَكِلات أي مجتمع وعماد تطوره ،وإذا مس التخلف أي من تلك الأجزاء فانه من الطبيعي أن يسري ذلك التأثير على المجتمع ككل ،إلا أنه لكل مجال من تلك المجالات أهمية خاصة ؛فعندما نتحدث عن الثقافة أو التربية فهي لا تقل شأنا أو أهمية عن الاقتصاد ،لذلك آثرنا التركيز على ذلك النوع من التخلف الذي يمس الجانب الثقافي والتربوي ،لماذا ؟

لأن هناك بعض التفاصيل البسيطة التي نعيشها يوميا في حياتنا ولا نعيرها أدنى اهتمام لكونـها مألوفة ، فعلى بساطتها وعدم وعينا بها إلا أنها مؤشر رئيس لكثير من القضايا والمواضيع التي نتفاعل معها يوميا هذا التفاعل الذي تحركه عدة عوامل ثقافية تربوية عوامل متداخلة إلى درجة يصعب التمييز بينها أو فرز العامل المباشر الذي كان علة تفاعلاتـنا ،وهذا يرجع إلى طبيعة العلوم الاجتماعية والإنسانية في حد ذاتها

ربما نلاحظ في السطور السابقة اقتران لفظي الثقافة والتربية وهـذا لم يكن اعتباطا لأن :مفهومي التربية والثقافة كل متكامل ويصعب التمييز بينهما،فعندما نتحدث عن التربية لا نستطيع في أي حال من الأحوال أن ننكر أثر العوامل الثقافية في تربيتنا ؛فالتربية في الأساس هي تنمية مجموعة

---

[1] - عبد الـلـه شريـط :معركة المفاهيم

[2] - مصطفى حجازي : الإنسان المهدور ، الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي، 2000، ص

من القيم سواءا كانت ثقافية أو غيرها ،وفي نفس الإطار إذا تحدثنا عن الثقافة فانه من التعسف ألا نبين دور التربية في نمو وزيادة الرصيد الثقافي للفرد كعضو اجتماعي ،"فالثقافة هي اطلاع شامل متوازن على الفكر الأساسية التي تقوم عليها العلوم والفنون والآداب .فالحياة العقلية البشرية في جوهرها وحدة لا تتجزأ ،ولا يمكن للمرء أن يفهم جزءا منها فهما حقيقيا إلا ضمن الإطار الأوسع الذي يضمها جميعا"[3]

وعلى اعتبار أن اللغة هي همزة الوصل أو الناقل للثقافة فهي بذلك تعبر عن جوهر وكنه الثقافة،فالنمط الثقافي لأي مجموعة بشرية يرتبط -لا محالة- باللغة المميزة لتلك الجماعة.

وقد أكد وورف أهمية اللغة ليست في جوهرها وسيلة للتعبير عن الأفكار ،بل هي نفسها التي تشكل هذه الأفكار[4]

فاللغة إذن توفر للأفراد أبجديات التعامل مع البيئة الاجتماعية فهي المفاتيح التي يتمكن الفرد من خلالها من التعامل مع مختلف القضايا والمواقف التي يتعرض لها يوميا .

فكل مجتمع يعيش تبعا لمنطق تفكير وما يؤمن به من عادات وتقاليد؛ هذا المنطق الذي لم يأت من فراغ وإنما تكون من ما تشربه الأبناء من ثقافة الآباء والأجداد كل ذلك ساهم في تشكيل العقلية الجماعية للأفراد ، وهذا ليس عيبا بقدر ما هو ميزة تفرد بها الكائن البشري في كل مكان .و الخطاب الشعبي هو ما تناقلته الأجيال من قيم ومبادئ وما توارثته من عادات وتقاليد شكلت بذلك منطق تفكير الجماعة ،وكل ذلك يأتي على شكل خطابات و أحاديث يومية ،أمثال وقصص شعبية . فذلك التراث الشعبي جزء لا يتجزأ من المجتمع يؤثر فيه ويحدد نظرته ،ويكون اتجاهات أفراده بشقيها الايجابي والسلبي

وكلما كان المجتمع متمسكا بهذا التراث كلما أثر ذلك فيه أيّما تأثير وهذا ينطبق بصورة أكثر على المجتمعات المحافظة والتي تصل بها الدرجة في التعلق بذلك التراث الى درجة التقديس ،ومجتمع وادي سوف هو من المجتمعات المحافظة من جهة ،وهو جزء لا يتجزأ من المجتمع الجزائري من جهة ثانية

وفي ذلك الإطار تقول نبيلة إبراهيم : " إن الأدب الشعبي ليس مجرد تعبير يحتفظ به الشعب لنفسه بل صرخة عالية تدعونا إلى أن نستمع إليها وأن نتفهمها وأن نتعاطف معها ،فإذا فعلنا ذلك أمكننا أن ندعي أننا نصنع بقدراتنا شيئا ايجابيا يسهم في الكشف عن نفسية الشعب ,وما يختلج بها من آلام وآمال "[5]؛ وهذا لا ينطبق على الأدب الشعبي الذي يحوي الأمثال والقصص الشعبي فحسب ،بل يجري حتى على الخطاب الشعبي اليومي,فهو مرآة تصور واقع الشعب بكل ما فيه من عادات وتقاليد وغير ذلك من أشكال التعامل والتفاعل اليومي بين أفراد المجتمع .

كل ذلك يشكل الذاكرة الجماعية والتركيبة العقلية للأفراد ؛"فالإنسان كائن تاريخي أولا وقبل كل شئ ولا يمكن فهم ما يحدث في عالمنا المعاصر دون التعرف على النشأة التاريخية لكثير من الظواهر والقضايا التي ألفنا وجودها وكأنها مسلمات لا تخضع للمناقشة "[6]

الخلل ليس في ذلك المنطق في حد ذاته فذلك ارث يجب تقديسه والمحافظة عليه فهو جزء من أصالتنا وتاريخنا فمن ليس له ماض ليس له حاضر ولا يمكنه أن يصنع مستقبله ، لكن المشكلة في نظرتنا وممارساتنا تجاه تلك الثقافة أو عدم فهمنا للكثير من الأعراف الاجتماعية الموروثة من

---

[3] - قسطنطين زريق : **الوعي القومي** ، بيروت : دراسات الوحدة العربية ، 1994 ، ص 103.

[4] - نور الهدى لوشن : **مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي** ،الاسكندرية :المكتب الجامعي الحديث ،بدون تاريخ ، ص72.

[5] - ثريا التيجاني : **دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة وادي سوف** ، الجزائر :دار هومة ،1998 ،ص 17

[6] - السيد الحسيني :**نحو نظرية اجتماعية نقدية**..

جهة وعدم وعينا للكثير من القضايا والمتغيرات الموجودة في المجتمع من جهة أخرى؛ وهنا يظهر الخلل والنقص الذي يسري على كل المجتمع بما في ذلك نمط التربية .وهنا يظهر مصطلح التخلف التربوي التخلف الذي تغذيه وتربيه فينا ثقافتنا الشعبية بشتى أنواعها فهو تخلف على مستوى تفكير الناس و يتكون نتيجة لاتجاهات نتربى عليها ونتبناها حتى تصبح من المسلمات ..والتي تأتي على شكل خطابات وأحاديث يومية وتُترجم إلى ممارسات وسلوكات حياتية .

فأحاديث الناس اليومية هي في النهاية ردود أفعال يكتسبها الفرد من مؤسسات التنشئة الاجتماعية وبذلك تكون لدية اتجاهات ومنهج تفكير ينظر به إلى مختلف القضايا والمواضيع التي تصادفه يوميا ويتخذ منها مواقفا متباينة تبعا لذلك المنطق ،فالاتجاه هو بمثابة البوصلة التي تحدد مسارنا وبالتالي تحدد منظومة القيم للمجتمع.

ويكون التخلف أشد وطأة إذا مس قضايا ومواضيع محورية في المجتمع ،فعندما نتحدث مثلا عن المرأة أو العمل أو الخرافة كنمط تفكير يتبعه السواد الأعظم من الناس .تلك القضايا ترتبط بمجموعة من المفاهيم تعتبر مهمة في أي عملية تنموية ،فالحديث عن المرأة يستلزم الإشارة إلى عملية التربية والتنشئة الاجتماعية ،والعمل يرتبط بالتنمية والتقدم ،والحد من التفكير النمطي الخرافي يعني الوعي و التفكير السليم الناقد وحتى نتمكن من كشف ورصد مظاهر التخلف في القضايا المحددة آنفا طرحنا التساؤل التالي :

ماهي مظاهر التخلف التربوي في الخطاب الشعبي ؟

ويندرج تحت ذلك التساؤل تساؤلين فرعيين:

1-ما هي مظاهر التخلف التربوي نحو المرأة ؟

2- ما هي مظاهر التخلف التربوي نحو العمل ؟

وفي إفراد قضية المرأة وقضية العمل بالبحث هدف يقوم على اعتبار الحديث الشعبي فيهما مجالا خصبا يمنح فرصة فهم وتأويل المعاني الاجتماعية والثقافية التي تساعد على توضيح مظاهر التخلف الصادرة عن المخيال الشعبي في شأني المرأة والعمل .

* ففي موضوع المرأة

فإن الثقافة الشعبية بكل ما تحتويه تحاكي واقع المجتمع بكل فئاته ,وفي جميع مراحل تطوره . وباعتبار أن المرأة جزء لا يتجزأ من المجتمع أو كما يقال هي نصف المجتمع فتسليط الضوء عليها هو من الأهمية بمكان فحتى نقف على نقاط الضعف والتخلف للمجتمع ننظر إلى حال المرأة فيه ،وتزداد أهمية المرأة حين ترتبط مباشرة بعملية التربية و التنشئة الاجتماعية .

وهناك قضية أخرى تتعلق بالمرأة بشكل خاص وهي بعض المعتقدات الخرافية التي سكنت في ذهن المرأة(السحر – العين ،والتصور الخاطئ لوجود الجن ومدى تأثيره في حياتنا)

* وفي موضوع العمل لأنه أولا وقبل كل شئ هو قيمة اجتماعية وحضارية

وباعتبار أن العمل محرك للحياة وباعث للنشاط الإنساني، كما أنه هو من يحدد دور ومكانة كل فرد في المجتمع ، كما أنه يحقق الرفـــاه المادي والاستقرار الاجتماعي،فدراسته تساعدنا على الوقوف على حال المجتمع فحالة العمل فيه تنبؤنا عن حاله بكل صدق ،و يجرنا الحديث عن العمل إلى معالجة بعض صفات الإنسان العربي كالسلبية والاتكالية التي نتجت عن نمط التفكير الخرافي الذي يسيطر على عقلية الإنسان العربي (إضافة إلى الجن والعين ،التعلق بالأولياء والصالحين والاعتماد عليهم في تيسير أمورهم).

والحديث عن العمل في هاته الدراسة يتجاوز الحديث عنه كمهنة أو وظيفة ،فهو كل حركة فكرية أو عضلية يبذلها الفرد بغية تغيير الوضع الذي يعيشه نحو الأفضل .

2- أسباب اختيار الموضوع :

جاء موضوع مظاهر التخلف التربوي في الخطاب الشعبي مدفوعا بالأسباب التالية :

1-الأسباب الذاتية :

- الرغبة الذاتية في معالجة هذا الموضوع لكونه جديد ،ولم تتناوله الرسائل الجامعية في مستوى الماجستير بالقسم .
- الرغبة كذلك في التعرف أكثر على ماهية الخطاب الشعبي كجزء من يوميات النـاس ،فالتعرف على حقيقة الخطاب الشعبي يكشف لنا أوجه الثقافة ومناحي التفكير في المجتمع .

2-الأسباب الموضوعية :

- قابلية الموضوع للدراسة .
- أهمية الدراسة في حد ذاتـها لتعلقها بحياة الناس اليومية.

3- **أهداف الدراسة :**

1-الوقوف بالتحليل على ما يتناقله الناس من خطابات وأحاديث يومية ،ومحاولة رصد مظاهر التخلف التربوي فيها .

2- التعمق في دراسة الخطاب الشعبي لأنه يعبر عن اهتمامات وطريقة تفكير الناس ويُترجم إلى سلوكات وممارسات يومية تؤثر فينا بل وتشكل مسار المجتمع ككل.

4- **أهمية الدراسة :**

تستمد الدراسة أهميتها من كونها تدرس الجانب الآخر غير المتداول للخطاب الشعبي (ما يتناقله الناس العاديين من أحاديث حول مختلف المواضيع تلك المواضيع التي تعكس اتجاهاتهم واهتماماتهم فهي جزء من ثقافتهم). أن تهتم بتحليل ما يقوله الناس العاديين فذلك إحساس بمعاناتهم وإصغاء لهم .

كما تبرز أهمية الدراسة في فهم مقومات حياة الناس اليومية المشكلة لمنظومات التصرف المنبثقة عن التصور الجمعي لمسألتي (المرأة – العمل)،وكشفها وبحث العوامل الاجتماعية التي تعمل على استنهاضها .

فكثيرا ما نهتم بدراسة وتحليل ما يقوله الأدباء الشعراء والباحثون .. ولكن قلما نعير اهتماما لما يقوله الناس العاديون ،فان كان في كلام العلماء والأدباء من التكلف والتنظيم الكثير ،فان التلقائية التي تطبع سلوك العامة من الناس تجعلها أكثر صدقا وأقرب الى الحقيقة ،فهي تنقل الواقع كما هو.

وان كان هذا لا ينفي احتواء الخطاب الشعبي على قيم تـربوية واتجاهات ايجابية . لكن في الوجه المقابل نجد الخطاب الشعبي الذي يؤسس لاتجاهات سلبية . فهو كأي شئ آخر له ايجابيات وسلبيات

5- **تـحـديـد مفـاهيـم الدراسة :**

1- **التخلف التربوي** : ..

خلل ونقص في التربية أسهمت فيه الثقافة الشعبية للمجتمع ،فأسست بذلك لنظرة نمطية ومحددة تجاه مواضيع معينة (المرأة – العمل).

2- **الخطاب الشعبي** :

موقف تفاعلي لفظي وغير لفظي في الوسط الشعبي اليومي تناقش فيه أمور تتعلق باهتمامات وتصورات العامة حول مختلف المواضيع والقضايـا.

2- **مظاهر التخلف نحو المرأة** :

تتجلى نقاط الضعف والتخلف في النظرة للمرأة في :
كل ما يحط من قيمتها ويشعرها بالدونية ويحط من دورها الاجتماعي في مختلف مراحل حياتها :- كابنة أو أخت (التفريق في المعاملة مع أخوها الولد ،الخجل من مرافقة أخته) كزوجة (عدم الاعتراف بجميلها،الخجل من ذكر اسمها أو اصطحابها معه) ،كعاملة (الابتزاز والاستغلال المادي ،عدم تفهم الزوج،الضغط الاجتماعي الممارس على المرأة العاملة إذا تأخر زواجها،البحث عن الزواج من المرأة العاملة) ،تلك بعض المؤشرات التي تختص بـها المرأة في مرحلة معينة إلا أن هناك مؤشرات مشتركة تمس المرأة في كل مراحلها وهي : (التقليل من شأنـها– العنف والاضطهاد - السخرية والتهكم .)،إضافة إلى تمثل المرأة في حد ذاتها إلى قضيتي(التربية والسحر)

2- مظاهر التخلف نحو العمل :

تتجلى نقاط الضعف والتخلف في النظرة إلى العمل: (الكسل – عدم الإتقان – عدم احترام الوقت ومواعيد العمل – الاتكالية – السلبية وعدم تحمل المسؤولية ،التقليل من شأن المتعلم ،الخرافة وما تعلق بها من تطير نسبة إلى رموز معينة تتفق عليها الجماعة، التعلق بالأولياء والصالحين واعتقاد النفع والضر لديهم)

6- مجال الدراسة :

الأصل في هذه الدراسة هو تحليل خطابات وأحاديث الناس اليومية بكل ما يرد فيها والتي تظهر في المواقف التفاعلية بين أفراد المجتمع ،وأن نأخذ فقط ما يتلاءم مع المواضيع المحددة مسبقا (المرأة ، العمل) ونرصد نقاط الضعف في النظر إلى تلك المواضيع على أنه يمكننا الاستئناس ببعض الأمثال والقصص الشعبية الواردة في تلك الخطابات والتي يتبناها الأفراد كدليل على صدق أحاديثهم والتي تصل إلى درجة القدسية في الإيمان بتلك الأمثال مما لا يدع مجالا للشك في مشروعية ما قالوه ."والذي يجعل الشئ مقدسا ليست صفات ذاتية نابعة من الشئ نفسه وإنما المواقف والتصورات التي يتخذها الفرد حيال الشئ المقدس"[7].

7- منهج الدراسة :

يعرف المنهج العلمي بأنه : " الدراسة التي يمكننا عن طريقها الوصول إلى الحقيقة أو إلى مجموعة من الحقائق ،في أي موقف من المواقف ،ومحاولة اختبارها للتأكد من صلاحيتها من مواقف وتعميميها لنصل إلى ما نطلق عليه اصطلاح نظرية ،وهي هدف كل بحث علمي " .

ولأن طبيعة الدراسة (مظاهر التخلف التربوي في الخطاب الشعبي) تحليلية اخترنا منهج تحليل الخطاب لأنه يتناسب مع طبيعة الدراسة ،ويُعرف تحليل الخطاب أو الحكي كما ذهب الى ذلك (جيرار جينيت) في كتابه "خطاب الحكي" بأنه :" دراسة مجموعة من الأحداث منظورا إليها في ذاتها" [8]

والمقصود هنا بالمنظور إليها في ذاتها ،أي قراءتها في إطار اللغة التي جاءت بها ، بعبارة أخرى قراءة المعاني التي جاءت بها "وصف اللغة بواسطة اللغة وهو ما يسمى بوظيفة ما وراء اللغة "[9]

إضافة إلى ذلك تستلزم الدراسة الأنثروبولوجية دراسة اللغة في حقلها "أي كما توجد في المجتمع وعلى ألسنة أصحابها "[10]، لذلك سيتم إدراج الخطاب الشعبي الشفاهي بلغته العامية التي ورد بها وتحليله على ذلك الأساس.

---

[7] - فوزية ذياب :**القيم والعادات الاجتماعية** ، بيروت :دار النهضة ،1980، ص46.

[8] - محمد عزام : **تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة**، دمشق : منشورات اتحاد الكتاب العرب ،2003 ، ص 50.

[9] - نور الهدى لوشن، مرجع سابق ، ص 73.

[10] - فاروق أحمد مصطفى : **الأنثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي** ،القاهرة :دار المعرفة الجامعية ،2008 ،ص 105

وبما أن المتن في هذه الدراسة انقسم إلى نوعين : الخطاب الشعبي المدون (الأمثال - القصص) ،والخطاب الشعبي الشفاهي .فقد قمنا بعملية الجدولة حسب تساؤلات الدراسة ،فلكل تساؤل جدول خاص به في الأمثال والقصة والخطاب الشعبي الشفاهي كل على حدى .

والخطاب الشعبي المدون هنا هو "بنية دلالية تنتجها ذات ضمن بنية نصية منتجة في إطار بنية سوسيونصية " [11] ، فتحليل الخطاب هنا يسمح لنا "بإقامة تصور يتيح الانتقال من الخطاب إلى النص ..." [12]

وفي إطار التحليل يتم الوقوف عند بعض الكلمات المفتاحية التي تفتح الباب الواسع للتأويل "فالكلمة إشارة تقف في الذهن على أنها دال يثير في الذهن مدلولا "[13]

وحتى نتمكن من إثراء مادة الدراسة ،والتعمق أكثر في تحليلها استعنا بمجموعة من أدوات جمع البيانات جاءت كالآتي.

1- الملاحظة :

وتم استعمال نوعين من الملاحظة بالمشاركة وهي "حالة يشارك فيها الملاحظ في حياة الأشخاص الموجودين تحت الملاحظة"[14]، وكذلك استخدمت الملاحظة المستترة " حالة لا يدري فيها الأشخاص الملاحظين أنهم محل ملاحظة"[15] وقد لجأت إلى هذين النوعين من الملاحظة باعتباري أعيش مع المبحوثين ،وقد تم جمع البيانات بطريقة عفوية وتلقائية فلم أتدخل في إثارة أي موضوع ،فأنا أكتفي بالمشاركة في بعض الأحيان بالنقاش ،ومن ثم تسجيل كل ما يدور من مواضيع لها علاقة بموضوع الدراسة . "فمن خلال الملاحظة والمعايشة نقوم بوصف أشكال كثيرة من السلوك المألوف والتفكير للجماعة محل الدراسة"[16]

2- صحيفة تسجيل موقف :

في الملاحظة قمت بتسجيل كل المواضيع والذي ساعدني في حفظ ذلك التسجيل هو صحيفة تسجيل موقف ،فهي تقنية تختصر الموضوع بطريقة علمية ففيها نجد : المشاركون في الموقف ،مدار الحديث ،أهم العبارات والاماءات ،تعليق الباحث (تصميم الصحيفة نجده في الملاحق) .

3- المخبرون :

وهم الوسيط الذي كان بيني وبين مجتمع البحث في بعض المواقف التي أعجز عن التواصل معهم بشكل مباشر نظرا لعدة اعتبارات ؛ فعلى سبيل المثال ؛ جماعة الرجال الذين يجلسون أمام محل معين أو في المقهى من المستحيل أن تُتاح لي فرصة الجلوس معهم ومعرفة ما يدور بينهم من أحاديث تفيدني في الدراسة .وهنا برز دور المخبر؛" فالمخبر شخص من ضمن الأشخاص الذين يمكنهم مدنا بالمعلومات"[17].ولا يقتصر دور المخبر في هذه الحالة فقط بل يفيدني أيضا في معرفة ما يدور في مجتمع البحث في مناطق بعيدة لم تُتـــح لي فرصة الذهاب إليها .

4- المقابلة :

---

[11] - محمد عزام ،مرجع سابق ، ص 51.

[12] - المرجع نفسه ، ص 51.

[13] - عبد الله الغذامي :**تشريح النص** ، بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر ،1987، ص12.

[14] - موريس أنجرس : **منهجية البحث في العلوم الإنسانية** ،الجزائر :دار القصبة للنشر ،2004، 186.

[15] - المرجع نفسه ، ص 186.

[16] - محمد حسن غامري :**مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة** ،الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، ص 1991، ص 26.

[17] - موريس أنجرس ، مرجع سابق ، ص 108.

واستخدمت نوعين من المقابلة : مقابلة نصف موجهة مع عشرة أشخاص من الفئة المتعلمة ،وعشرة من ذوي التعليم المحدود وذلك بهدف توسيع دائرة مجال البحث وتنويعه وقد تمت المقابلة مع الفئة المتعلمة كل على حدى ،أما ذوي التعيلم المحدود فقد كانت جماعية، ومقابلة مقننة مع ذوي الاختصاص ، وكذا مع كبار السن .

2- طرائق تدريس النحو :

هناك العديد من الطرائق المعنمد عليها في تدريس قواعد اللغة العربية وعلى الرغم من كثرة هذه الطرائق فانه لا يوجد طريقة مثالية يستند عليها لأن كل طريقة لها ايجابياتها وسلبياتها ورغم كل هذا تبقى لبعض الطرائق لها الافضلية أكثر من الأخرى وهناك طرائق قديمة وأخرى حديثة.

أ- الطرائق القديمة :

*** الطريقة الالقائية**

وفي هذه الطريقة يكون الاعتماد كليا على المدرس وذلك بالقاء المفاهيم والمسائل النحوية في ذهن المتعلم في حين هذا الاخير لا يعلم أي شيء عن تلك القواعد فهي تحويل المعلومات من أدمغة

1- تعريف القسم التحضيري :

هو القسم الذي يقبل فيه الاطفال المتراوح أعمارهم (4-6) سنوات في حجرات مختلفة من غيرها بتجهيزاتها، ووسائلها البيداغوجية، كما أنه المكان المؤسساتي الذي تنظر فيه المربية للطفل على أنه مازال طفلا وليس تلميذا، وفي ذلك استمرارية للتربية الأسرية، تحضير للمدرس في المرحلة المقبلة، مكتسبا بذلك مبادئ القراءة والكتابة والحساب [18]

2- تعريف الطفولة :

[18] - مديرية التعليم الأساسي، اللجنة الوطنية، منهاج دليل تطبيق لمنهاج التربية التحضيرية، الديوان الوطني،2004، ص 8.

1-2 لغة : الطفل لغة من الفعل الثلاثي طفل، والطفل هو النبات الرخص، والرخص الناعم طفال وطفول [19]

2-2 اصطلاحا : يرى الريماري عودة 1998، أن الطفولة تعد مرحلة عمرية من ذروة حياة الكائن الإنسان، تمتد من الميلاد إلى بداية المراهقة، والطفل لغويا أو الشيء الناعم يستخدم اسما مفردا أو اسما جمعا[20].

وعرف حامد زهران 1982 الطفولة على اعتبار أنها الفترة التي يقضيها الانسان في النمو حتى يبلغ مبلغ الراشدين ويعتمد على نفسه في تدبير شؤونه وتأمين حاجاته الجسدية والنفسية، ويعتمد فيها الصغار على ذويهم في تامين بقائهم وتغذيتهم وحماية هذا البقاء، فهي فترة قصور وضعف وتكوين وتكامل في آن واحد[21]

إن الطفل كائن نام يتميز بمجموعة من الخصائص والوظائف التي تفتح أمامه مجال النمو والتطور التدريجي مرحلة بعد مرحلة إلى أن يبلغ نموه النفسي والجسمي والعقلي ذروته، فيصبح إنسانا بالغا مسؤولا عن سلوكاته وعنصر فعال في بناء المجتمع [22]
ونستنتج من هذا التعريف أن فكرة الطفولة هي مرحلة من المراحل التي يمر بها الفرد والتي ينمو ويتطور من خلالها في جميع مظاهر نموه المختلفة.

3 – خصائص نمو الطفل في القسم التحضيري- مرحلة ما قبل المدرسة.

1-3 خصائص النمو الجسمية:

يسير النمو الجسمي خلال هذه المرحلة بمعدل أبطأ مقارنة مع النمو السريع في مرحلة المهد، ومع ذلك فان النمو الجسمي للطفل – أي في سن السادسة – من العمر- يكون قد وصل إلى حوالي 43% من النمو النهائي.
وبالنسبة لليد، تفضيل إحدى اليدين شاملا إلى حد كبير من بلوغ الطفل سن السادسة، حيث يظهر عند معظم الأطفال تفضيل لليد اليمنى 90% في حين أننا نجد أن نسبة تفضيلهم لليد اليسرى ضئيل جدا.
- يكون طول الطفل في بداية هذه المرحلة 90سم كحد أدنى وسيصل الى 125 سم كحد أقصى في نهاية المرحلة (6 سنوات) ويكون طول الطفل في سن الرابعة ضعف طوله عند ولادته، وهناك فروق بسيطة بين البنين والبنات من حيث الطول لصالح البنين.
- تظهر المهارات الحركية التي تساعد في جعل الطفل كائنا اجتماعيا بدرجة أكبر، حيث يميل إلى اللعب ، وببلوغه سن الخامسة تزداد قدرته على الاتزان الحركي ، ويستطيع الوثب بسهولة، وربط الحذاء، وتقليد رسم مثلث أو مربع أو عنصر ورسم صورة مبسطة لرجل تغطى الملامح العامة .

---

[19] - الموقع www.fobum- http educ 40 net/showthre d. pnb, ص06

[20] - فتيحة كركوش، سي كولوجية الطفل ماقبل المدرسة، نمو مشكلات، منهاج وواقع، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر ، 2008، ص 16

[21] - فتيحة كركوش ، نفس المرجع ، ص 16.

[22] - ملحقة سعيدة، الطفل بين الاسرة والمدرسة، سلسلة من قضايا التربية ، الملف26، ص 7.

- يزداد الوزن بمعدل 1 كغ واحد في السنة، ويزداد نمو الهيكل العظمي و يسير النمو العضلي بمعدل أسرع من ذي قبل، مما يزيد الوزن، والبنين أكثر حظا من البنات في النسيج العضلي.
- يزداد نمو الجهاز العصبي حيث يصل وزن المخ إلى 90% من وزنه الكامل عند الراشدين وذلك في نهاية المرحلة.
- تتميز أبصار الطفل في مرحلة ما قبل المدرسة بطول النظر ، فهو يرى الأشياء الكبيرة أوضح من الصغيرة، والبعيدة أكثر من القريبة أما حاسة السمع[23] فتظل غي ناضجة تماما حتى نهاية هذه المرحلة، فالطفل لا يستطيع تذوق اللحن المعقد ولكن تستهويه أصوات الطيور والحيوانات والأشياء كالقطار والسيارة .
- النشاط و الحركة مستمرة ويظهر ذلك عند اللعب ، وتتصف أجسامهم بالرشاقة وقلة الحركة[24].

2-3 خصائص النمو العقلي :

- حب الاستطلاع والاستقصاء(السؤال المستمر) لمعرفة الأشياء التي تثير انتباهه، وإرادته لفهم الخبرات التي يمر بها .
- القدرة على حل المشكلات والتكليف ببعض المهام البسيطة.
- اكتشاف بعض خصائص الاشياء واتساع ادراكه الحسي .
- تكوين المفاهيم مثل الزمان والمكان والعد ، وتزداد قدرة الطفل على الفهم، و تزداد قدراته على التركيز والانتباه ، ويكون للتفكير ذاتيا، ويبقى التفكير خياليا(وليس منطقيا) حتى يبلغ الطفل سن السادسة.
- يزيد التذكر المباشر لدى الطفل فيتذكر الثالثة، مثلا ثلاثة أرقام وطفل الرابعة والنصف يتذكر أربعة أرقام، ويكون التذكر في الكلمات والعبارات المفهومة أيسر من تذكر العبارات الغامضة منها، ويستطيع الطفل اكمال الاجزاء الناقصة في الصورة ونمو القدرة على الحفظ وترديد الأغاني(خاصة ذاكرته البصرية والسمعية) لتصل ما يسمى بالعنصر الذهبي للذاكرة في نهاية هذه المرحلة أي (6 سنوات).
- تنمو قدرة الطفل على فهم الكثير من المعلومات البسيطة وكيف يثير بعض الأمور، التي يهتم بها وكذلك قدرته على التعلم من المحاولة والأخطاء، بسبب دوافع الاستطلاع لمعرفة الأشياء والأشخاص والمواقف [25].

3-3 خصائص النمو اللغوي :

يتفق العديد من الباحثين والعلماء على أن هذه المرحلة تتميز بسرعة النمو اللغوي تحصيلا وتعبيرا وفهما .
- يتجه التعبير اللغوي في هذه المرحلة نحو الدقة والوضوح والفهم.[26]

---

[23] - عبد الرزاق مختار محمود – كلية التربية – جامعة أسيوط – جمهورية مصر العربية

www.wpvchool.com/forums/showthread.php?t 214

[24] - عبد الرزاق مختار محمود – كلية التربية – جامعة أسيوط – جمهورية مصر العربية

www.wpvchool.com/forums/showthread.php?t 214

[25] عبد الرزاق مختار محمود – كلية التربية – جامعة أسيوط – جمهورية مصر العربية

www.wpvchool.com/forums/showthread.php?t 214

[26] عبد الرزاق مختار محمود – كلية التربية – جامعة أسيوط – جمهورية مصر العربية

- تكوين المفاهيم مثل الزمان والمكان والعد ، وتزداد قدرة الطفل على الفهم، و تزداد قدراته على التركيز والانتباه ، ويكون للتفكير ذاتيا، ويبقى التفكير خياليا(وليس منطقيا) حتى يبلغ الطفل سن السادسة.

- يزيد التذكر المباشر لدى الطفل فيتذكر الثالثة، مثلا ثلاثة أرقام وطفل الرابعة والنصف يتذكر أربعة أرقام، ويكون التذكر في الكلمات والعبارات المفهومة أيسر من تذكر العبارات الغامضة منها، ويستطيع الطفل إكمال الاجزاء الناقصة في الصورة ونمو القدرة على الحفظ وترديد الأغاني(خاصة ذاكرته البصرية والسمعية) لتصل ما يسمى بالعنصر الذهبي للذاكرة في نهاية هذه المرحلة أي (6 سنوات).
- تنمو قدرة الطفل على فهم الكثير من المعلومات البسيطة وكيف يثير بعض الأمور، التي يهتم بها وكذلك قدرته على التعلم من المحاولة والأخطاء، بسبب دوافع الاستطلاع لمعرفة الأشياء والأشخاص والمواقف [27].

3-3 خصائص النمو اللغوي :

يتفق العديد من الباحثين والعلماء على أن هذه المرحلة تتميز بسرعة النمو اللغوي تحصيلا وتعبيرا وفهما .
- يتجه التعبير اللغوي في هذه المرحلة نحو الدقة والوضوح والفهم.[28]
- يتحسن النطق ويختفي الكلام الطفيلي مثل الجملة الناقصة والإبدال واللثغة وغيرها.
- إمكانية استعماله للأساليب اللغوية مثل : الاستفهام والتعجب ، والنداء.
- يحاكي(يقلد) أصوات الحيوانات والطيور والظواهر الطبيعية والأشياء المألوفة كالساعة والقطار ، ويعتمد الطفل في هذه المرحلة اعتمادا رئيسا على الكلمة المسموعة لا المكتوبة.
- يفسح له المجال للتعامل مع الناس والأشياء وكذا فهمه للمعاني الأمر الذي ينمي كسبه للمهارة اللغوية وحسن التعبير.الكلامي[29].

4-3 خصائص النمو الاجتماعي :

- الود والتعاون والرغبة الصادقة في اسعاد من حولهم ويفضلون صحبة الاطفال فهم بحاجة الى رفاق في سنهم.
- فهم الادوار التي يقوم بها في المحيط الاجتماعي.
- الميل الى منافسة الرفاق ومحاولة التفوق عليهم.
- الاحساس بالزمالة.
- الولاء للمعلمة والانتماء للجماعة.
- يستمتع الطفل باللعب الدراسي ، والتمثيل واللعب الجماعي.
- يحب الطفل الألعاب المنتظمة ذات القواعد[30].

---

[27] عبد الرزاق مختار محمود – كلية التربية – جامعة أسيوط – جمهورية مصر العربية

www.wpvchool.com/forums/showthread.php?t 214

[28] عبد الرزاق مختار محمود – كلية التربية – جامعة أسيوط – جمهورية مصر العربية

www.wpvchool.com/forums/showthread.php?t 214

[29] - المرجع نفسه .

[30] - عبد الرزاق مختار محمود – كلية التربية – جامعة أسيوط – جمهورية مصر العربية

www.wpvchool.com/forums/showthread.php?t 214

الفصـــــــل الثـــاني :
الملامــح الاجتماعيــة للتخلف التربــوي في المجتمع العــربي:
(رؤية نـقدية لآراء مجموعة من المفكرين العــرب)

أولا : مـــاهـيـــة التـــخلـــف :

1- الطريقة السطحية في دراسة التخلف

2- الطريقة الاجتماعية في دراسة التخلف

3- المنظور النفساني للتخلف

ثـــانـيـــا :العـقـليـــة المتـخـلفـــة :

1- الخصائص الذهنية للتخلف

أ- اضطراب منهجية التفكير

ب- قصور التفكير الجدلي .

3- الجهل والجهل المركب

4- ما المقصود بالتخلف التربوي ؟.

تمـهيـــد :

من خلال هذا الفصل سنعالج محورين أساسيين ، سنتحدث في أولاهما عن ماهية التخلف ونبين أهم أنواعه التي يشيع الحديث عنها كثيرا ،مع التركيز على نقطة غاية في الأهمية وهي الطريقة السطحية في دراسة التخلف .أما في المحور الثاني فسنتطرق إلى بعض القضايا التي تمهد للحديث عن التخلف التربوي كقضايا الجهل ،وتخلف العقلية العربية مما يقودنا لتحديد مفهوم التخلف التربوي .

أولا : مـــاهـيـــة التـــخلـــف :

1- الطريقة السطحية في دراسة التخلف :

برز مصطلح التخلف بعد نهاية الحرب الكونية الثانية مع حصول عدد كبير من البلدان المستعمرة على الاستقلال .وذاع استعماله وكثرت الكتابات حوله ابتداء من الخمسينات.وتجمعت خلال خمس عشرة سنة آلاف المقالات والأبحاث حول موضوع التخلف ذاهبة في كل اتجاه ومنطلقة من محطات مختلفة ومنظورات متنوعة لدرجة صار يصعب معها على الباحث تنسيق هذه المعطيات في كل توليفي،يوضح نظرية التخلف وتعريفه له[31]. الخلاف حول محكات التخلف ومنظوراته يفتح المجال واسعا لجل الباحثين وفي نفس الوقت يصعب معه الاتفاق حول تعريف محدد للتخلف.

مع تعدد وجهات الدراسات التي اهتمت بالتخلف إلا أنها تركزت أساسا حول الاقتصاد والصناعة ،والعناية بالسكان (صحة، تعليم، تغذية ،اعمار ...الخ) فنشأ عن ذلك علم اقتصاد وعلم اجتماع التخلف [32]. من شدة ارتباط مفهوم التخلف بالجانب الاقتصادي أصبح مفهوم التخلف مقترنا به فعندما نقول التخلف فأول ما يتبادر إلى أذهاننا هو التخلف الاقتصادي . انه لمن الإجحاف أن نحصر مفهوم التخلف في المجال الاقتصادي كما فعلت جل الدراسات المهتمة بقضايا التخلف في العالم الثالث ،فالمحك الاقتصادي أحد مسببات التخلف ويمكن أن يكون أساسا للكثير من مشاكل التخلف لكنه ليس العامل الوحيد ،فهناك عوامل أخرى تغيب عن وعينا ونحن نحياها كل يوم وهي مألوفة لدينا ولكن لا نعيرها أدنى اهتمام .

إذ لم يعد من الممكن اعتبار التخلف مشكلة اقتصادية محضة مرتبطة بنظرية الاقتصاد التقليدي ،خارج إطار الزمان والمكان .فلقد كانت بلدان العالم الثالث تدمج قبل الخمسينات في النظرية والممارسة الاقتصادية الشائعتين في البلدان القديمة حيث كان يعتقد أنه يكفي لتحريكها ،اللجوء إلى الديناميات نفسها التي حركت العالم الصناعي .بعد ثبوت فشل تطبيق نظريات علم الاجتماع التقليدي ،الموضوعة في بلدان العالم القديم وانطلاقا من بُناها الخاصة ببلدان العالم الثالث . إذن لابد في رأينا من وضع سيكولوجية خاصة بالعالم الثالث تكمل اقتصاده واجتماعه [33].وهذا فيه إشارة إلى وجوب احترام معطيات البيئة المدروسة فما يصلح تطبيقه على مجتمع معين نفشل في إسقاطه على مجتمع آخر يختلف عنه في المعطى الفيزيقي والثقافي ...

وهـذا ما أكد عليه مالك بن نبي بقوله :" إذا ما درسنا أمراض مجتمع معين من مختلف جوانبه الاقتصادية والسياسية والفنية ...الخ فإننا في الواقع ندرس في الواقع أمراض الأنا في هذا المجتمع [34]".

---

[31] - مصطفى حجازي : التخلف الاجتماعي ..مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، ،ص10

[32] - المرجع نفسه ، ص 11.

[33] - مصطفى حجازي ، التخلف الاجتماعي ..مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ، المرجع السابق ، ص 20.

[34] - مالك بن نبي : ميلاد مجتمع ،ترجمة :عبد الصبور شاهين ،الجزائر :دار الفكر ،1986،ص 44.

أما " لاكوست" فيلخص المحكات السطحية للتخلف في ثلاثة : الدخل القومي للفرد بالمتوسط ,الوحدات الحرراية المستهلكة في التغذية ,مستوى التعليم أو نسبة انتشار الأمية [35]. هــذه المحكات لا تتوافق دائما فيما بينها .فالدخل القومي قد يكون كبيرا ولكن التغذية سيئة أو بالعكس .ومن رأيه أن الجوع هو أخطر أعراض التخلف وأكثرها عمومية [36].وقد كشف التقرير العام للأمم المتحدة للتنمية الإنسانية أن العالم العربي الذي يشمل 280مليونا،هو الأول في التخلف .نسبة البطالة والأمية من أعلى النسب في العالم([37]).

لا تشرح الطريقة السطحية الظاهرة كنتاج للخصائص البنيوية للعالم الثالث ،ولا الأواليات التي أنتجت هذه البنى،وهي بالتالي لا تساعد على حسن التشخيص ووضع السياسات التنموية الملائمة .إنها تنطلق من مقارنة البلدان المتخلفة بما كانت عليه البلدان الصناعية قبل قرنين أو أكثر[38].

تعرِّف الطريقة السطحية للتخلف إذا كظاهرة دونية أساسا .فالبلد المتخلف هو أقل مستوى من بقية البلدان من حيث تأمين الحاجات الحيوية الضرورية للإنسان (غذاء وصحة وتعليم الخ...) ومستوى انجازاته الاقتصادية والتقنية منخفض . ولكن هذا التعريف لا يستقيم نظرا لعدم توحيد المعايير من ناحية ،ولصعوبة المقارنة بين البلدان المتقدمة والنامية،ولوجود بلدان غنية حاليا،ولكنها ما زالت متخلفة اجتماعيا[39]. فالخلاف حول محكـات التخلف يبقى قائما إلا أن التركيز على الجانب الاقتصادي يبقى مسيطرا على جل الدراسات ،وهذا فيه إهمال للمستوى الإنساني للتخلف .

فالإنسان المتخلف لم يعط الاهتمام نفسه الذي وُجّه إلى البنى الاقتصادية والاجتماعية .صحيح أن هذا الإنسان هو وليد البنية الاجتماعية المتخلفة،ولكنه ليس مجرد أمر مادي قابل للتغيير تلقائيا .فالتخلف يـُعاش على المستوى الإنساني كنمط وجود مميز، له ديناميته النفسية والعقلية والعلائقية النوعية .والإنسان المتخلف ،منذ أن ينشأ تبعا لبنية اجتماعية معينة يصبح قوة فاعلة ومؤثرة ...مما يحتم علينا الاهتمام به عند بحث حالة أحد المجتمعات المتخلفة [40]. فيجب أن نعي الدور الذي يقوم به الإنسان بوصفه كلا متكاملا تربويا وثقافيا واجتماعيا وذلك بالإصغاء له وتتبع مختلف تفاعلاته الحياتية واليومية والتي تُكون أو تـُلخص كل ما يمر به من مشاكل وأزمات .

من خلال معالجة هذا العنصر يمكن الخروج بثلاث نقاط رئيسية وهي :-

- الاهتمام المبالغ فيه بالجانب الاقتصادي للتخلف على حساب الجانب الفكري والتربوي .
- البيئة الاجتماعية والثقافية للعالم الثالث بشكل عام والعالم العربي بشكل خاص لها طابعها المميز،وعند معالجة التخلف فيها يجب أن ننطلق من تلك الخصائص الحضارية والبيئية الثقافية.
- لا نعول على ما نملكه من ثروات مادية بقدر ما نهتم بما نملك من عقول مفكرة .وأن نعيد الاهتمام بإنسـانيــة الإنســان والإصغاء لكل ما يعـانيــه ." فالقضية إذن ليست قضية

---

[35] - Yves Locost,Géographie du sous – développement ,Paris ,2ème éd .P, U, F,1968... .-

[36] - مصطفى حجازي ، التخلف الاجتماعي ..مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ،مرجع سابق ،ص 22.

[37] - ختام نعامنة : الديمقراطية والعلمانية في المشرق العربي ،الحوار المتمدن،العدد 213 ،2002.

[38] - مصطفى حجازي ، التخلف الاجتماعي ..مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ،مرجع سابق ،ص22.

[39] - المرجع نفسه ،ص 23.

[40] - مصطفى حجازي ، التخلف الاجتماعي ..مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ، المرجع السابق ،ص 24.

أدوات ولا إمكانيات ،إن القضية كانت في أنفسنا،علينا أن ندرس أولا الجهاز الاجتماعي الأول وهو الإنسان ...فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ وإذا سكن سكن المجتمع والتاريخ"([41]).

2- الطريقة الاجتماعية في دراسة التخلف:

كلمة اجتماعي شاملة وجامعة لكل ما قد يُكون أو يؤلف المجتمع من ثقافة أو اقتصاد أو تربية،إلا أنها في نفس الوقت تركز على الجانب الإنساني الذي يعير أهمية خاصة للفرد على اعتبار أنه جزء من المجتمع .

لذلك تلتقي عـدة عوامل اجتماعية في دراستنا للتخلف،بالإضافة إلى المحكان الاقتصادية التي تعتبر أهم عامل للتخلف ،فهناك تفشي الأمية وسوء التغذية ،وقلة العناية الصحية والنظافة يضاف إلى كل ذلك خطورة اختلال التوازن بين عدد السكان والموارد،انتشار قلة الاستخدام بشكل واسع،وبمظاهر متنوعة([42]).

والمجتمع العربي باعتباره جزءا من العالم الثالث فان كل تلك العوامل تنتشر فيه وتدعم تخلفه في مختلف المجالات .

ولا تقتصر قلة الاستخدام أو انخفاضه على العمل اليدوي ،بل تشيع في مختلف القطاعات الفكرية والإدارية والاقتصادية ،" حتى إن مفهوم العمل يصبح صعب التحديد "([43]) .

ثم هناك الكثير من أشكال البطالة المقنعة ،أهمها كثرة الموظفين أو العاملين في مهمات لا تحتاج لهذا العدد ،...المهم الارتزاق وليس الإنتاج ،مما يفتح السبيل أمام الوساطات ،عوض أن تكون الكفاءة هي المقياس .ويكتسب الارتزاق (الدخول في عمل ،أو وظيفة دون حاجة فعلية إلى الشخص) طابع الحظ ،مما يبخس مفهوم العمل تماما ،نظرا لأن المثل الأعلى لطالب الوظيفة ليس المؤهلات والجهد الإنتاجي ،بل هو تلك الفئة المحظوظة التي تسبح في الرخاء المادي ،والعاطلة عن العمل بالوراثة ،نظرا لتكدس الثروة في أسرها ([44]).

هذه المحكات السطحية على صوابها،ليست سوى الأعراض الاجتماعية للتخلف .إنها نتاج لبنية متخلفة من الضروري النظر فيها لاستشفاف ديناميتها([45]) .

على مستوى البنية الاجتماعية للتخلف ،هناك بعض المحكات تربط بين التخلف والمجتمع التقليدي وهي خمسة محكات لذلك المجتمع: - انتقال العلوم من جيل إلى آخر بشكل جامد إجمالا - تحكم العادة والتقليد بالسلوك لا القانون - نظام اجتماعي تحكمه مرتبية جامدة - تحديد المكانة الاجتماعية ولاديا ،أكثر مما تتحدد من خلال الكفاءة - إنتاجية منخفضة جدا ([46]) .

المنظور النفساني للتخلف :

---

[41] - مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ،مرجع سابق ، ص 129.

[42] - مصطفى حجازي : التخلف الاجتماعي مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور ،مرجع سابق ، ص29

[43] - المرجع نفسه ، ص29

[44] - المرجع نفسه ،ص 30

[45] - مصطفى حجازي : التخلف الاجتماعي مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور ،مرجع سابق ، ص30

[46] - دائرة المعارف البريطانية ،المجلد الخامس ،مادة علم اجتماع التنمية .

المنطلقات التقنية والاقتصادية والاجتماعية ،السطحية منها والدينامية ،أكدت على نوعية وتركيب البنى المتخلفة.ولكنها جميعا ،فيما عدا إشارات عابرة ،أهملت البنى الفوقية (النفسية ،والعقلية الموجهة للوجود)،التي لا بد أن ترافق البنى الاجتماعية الاقتصادية ،وتنتج عنها وتكملها .ولذلك لا يستقيم الحديث عن التخلف،ولا يمكن لصورته أن تكتمل إلا إذا أعطينا لهذه البنى الفوقية مكانتها([47]).

وإذا كان التخلف في جوهره ولبه ،هو استلاب اقتصادي اجتماعي من الناحية المادية ،فانه لا بد أن يُولد استلابا نفسيا على المستوى الذاتي .لا بد إذا من الخوض في هذا الاستلاب الذاتي ...حتى نتمكن من السيطرة على القوى الفاعلة في ظاهرة التخلف ،مما يشكل شرطا ضروريا لأي عملية تغيير ،لأي مشروع تنمية يؤمل أن يكون له من النجاح نصيب معقول ومتناسب مع مقدار الجهد الذي وظف فيه([48]).

التخلف هو ظاهرة كلية ذات جوانب متعددة ،تتفاعل فيما بينها بشكل جدلي ،تتبادل التحديد والتعزيز ،مما يعطي الظاهرة قوة وتماسكا كبيرين ،ويمدها بصلابة ذات خطر كبير في مقاومة عمليات التغيير.

وإذا كان التخلف التقني والصناعي والاقتصادي والاجتماعي واضحا في خصائصه ومحطاته ،فان التخلف النفسي الوجودي مازال بحاجة إلى جهد كبير لاستجلاء غوامضه ([49]).

التخلف نفسيا هو ،فوق هذا وذاك من المحكات المادية ،نمط من الوجود ،أسلوب في الحياة ينبت في كل حركة أو تصرف ،في كل ميل أو توجه ،في كل معيار أو قيمة .انه نمط من الوجود له خرافاته وأساطيره ومعاييره التي تحدد لإنسان موقعه،نظرته إلى نفسه نظرته إلى الهدف من حياته،أسلوب انتمائه ونشاطه ضمن مختلف الجماعات ،أسلوب علاقاته على تنوعها.انه موقف من العالم المادي وظواهره ومؤثراته ،وموقف من البنى الاجتماعية و أنماط العلاقات السائدة فيها نعلى المستوى الذاتي الحميم ،كما على المستوى الذهني ،هناك مجموعة من العقد التي تميز الوجود المتخلف ([50]).

فالسيد المستعمر يقوم يوميا "بإدخال العنف إلى عقول وبيوت المستعمرين وهو يدخل في وعيهم أنهم ليسوا بشرا وإنما أشياء "([51]).

بدل الفهم والحوار الذي لا يقوم إلا في حالة التكافؤ الإنساني ،هناك لغة السوط القمعي ،بدل الإخضاع.وليس المستعمر الصريح فقط هو من يفرض هذا الاستلاب الذي يستغل الإنسان،بل قوى التسلط الداخلي على مختلف مراتبها([52]).

التخلف بالمنظور النفسي العريض يتجاوز إذا إلى حد بعيد مسألة التكنولوجيا و الإنتاج ،ليتمحور حول قيمة الحياة الإنسانية والكرامة البشرية .كل هدر لها أو تحويل إلى أداة هو تخلف .سيكولوجية التخلف ،في رأينا ،سيكولوجية الإنسان المقهور أو المشيأ.معيار التخلف ومستواه يبرزان من خلال بحث حالة وحجم أقل فئات الناس حظا في المجتمع الواحد،وأقل المجتمعات حظا على مستوى

---

[47] - مصطفى حجازي : التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ،مرجع سابق ، ص31.

[48] - المرجع نفسه ، ص 32.

[49] - مصطفى حجازي : التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ،مرجع سابق ، ص32.

[50] - المرجع نفسه ، ص 32

[51] - بسام الطيب ،نظرية فانون عن العنف عن العنف وتأثيرها بالفلسفة الهيجلية مجلة (دراسات عربية) السنة السادسة ،العدد 7،بيروت 1970.

[52] - مصطفى حجازي : التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ،المرجع السابق ، ص34.

كوني .ذلك هو المعيار الحقيقي ،وأما التقدم المادي مهما بلغ مستواه فليس سوى مظهر جزئي لا يجوز أن يخفي المشكلة الحقيقية([53]) .
التخلف ظاهرة كلية .وعلاجها يجب أن يكون شموليا.يتنبه إلى كل مواطن التغيير التي يتضمنها ويتصدى لها بنفس طويل،وأشد نقاط المقاومة استعصاء على التغيير هي البنية النفسية التي يفرزها التخلف ،بما يتميز به من قيم ونظرة إلى الكون([54]) .
الجانب الاقتصادي ،الاجتماعي ، النفسي تلتقي هذه الجوانب لتنتج عدة مظاهر للتخلف لها مرجعيتها ومسبباتها و لعل الأساس الذي يحرك كل ذلك هو الفكر .

ثانيا - العقلية المتخلفة :

العقلية هي التي تحكم السلوك وتحدد النظرة إلى الكون ..فالتخبط الذهني والفوضى والعشوائية وسوء التخطيط والارتجال كلها تعد من ملامح التخلف الأساسية .
تنبع أهمية دراسة الذهنية المتخلفة وخصائصها من الدور الحاسم الذي يلعبه الفكر في تقدير الواقع وتكوين الإحكام الموجهة للسلوك ،هذه العقلية اتصفت ببعض الخصائص التي تجعل ملامستها للواقع سطحية عاجزة عن الغوص فيه والسيطرة عليه ،وإذا اتصفت بالجمود والقطيعة تؤدي إلى خلق عقبات معرفية جدية تعرقل خطط التنمية التي لا بد أن تنطلق من التقدير الدينامي لذلك الواقع .إنها تعطي المبررات الذهنية لمقاومة التغيير([55]) .

*** الخصائص الذهنية المنهجية :**

تعرف المنهجية في المعنى الاصطلاحي بأنها الطريق الذي يرسمه الباحث لنفسه متبعا فيه خطوات محددة للوصول إلى نتائج تسمى حقائق علمية .
لا تختلف منهجية البحث العلمي عن المنهجية التي يرسمها الإنسان لنفسه بخطوات محددة يعرف من خلالها ماذا يريد وكيف يمكن تحقيقه .يمكن تلخيص كل ذلك في كلمة واحدة وهي "التخطيط".
فالإنسان المتخلف لا يُقبل على العالم بخطى ثابتة ،يبدي التردد ويتجنب وضع إمكاناته موضع الاختيار خوف الفشل .وقد يذهب في ذلك درجة يدعي معها عدم القدرة سلفا حتى لا يصاب بخيبة الأمل ([56]).
الضبابية ،و صعوبة السيطرة الذهنية على الواقع هما السمتان البارزتان للعقلية المتخلفة ،وينتج عن ذلك نوع من الكسل الفكري أي عدم استخدام الإنسان لعقله في تقييم بعض الأمور، فتقييمه عادة ما يتميز بالسذاجة والسطحية ."فالعقل يختفي لأن آثاره تتبدد في وسط لا يستطيع أن يفهمها أو يستخدمها "([57]).
على أن ذلك وضع يمكن تغييره فالعقل مثله أي شئ آخر يسري عليه قانون التغير والتطور فبوسع الإنسان أن يطور من قدراته الفكرية بالانفتاح والوعي و تقييم الأمور بفكر نقدي لا يلغي حقيقة الأمور وإنما يجعلنا نتنبه لما وراءها من حقائق أخرى لطالما غابت عنا نظرا لأنها تبدو مألوفة وعادية .
وتتلخص الخصائص الذهنية المنهجية للعقلية المتخلفة في نقطتين رئيسيتين هما :اضطراب منهجية التفكير،و قصور التفكير الجدلي .

---

[53] - المرجع نفسه ، ص 35

[54] - مصطفى حجازي : التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ،مرجع سابق ، ص58.

[55] - المرجع نفسه ، ص 59.

[56] - مصطفى حجازي : التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ،مرجع سابق ، ص61.

[57] - مالك بن نبي ،وجهة العالم الإسلامي ،الطبعة السادسة ، دمشق :دار الفكر ، 2006، ص 31.

أ- اضطراب منهجية التفكير :

تقترب الذهنية المتخلفة من الواقع وتتعامل معه دون خطة مسبقة ذات مراحل منطقية واضحة سلفا .الغموض والعشوائية والتخبط هي المميزة لهذه الخاصية و هكذا فبدلا من تنظيم الواقع والسيطرة عليه تزيد من انعدام التماسك ،وهذا يجعل الإنسان المتخلف بسبب وقوعه في الغموض والحيرة يلجأ إلى التمنيات للخروج بشكل سحري من المأزق([58]) .

الحديث السابق ينطبق على كل المراحل التي يمر بها الفرد في المجتمع ،فتمتد أثار تلك العقلية المتخلفة في الأسرة والمدرسة والعمل...،فعندما لا يدرك رب الأسرة الهدف الأساسي من التربية أو عندما لا يحدد الغاية من تكوين هذه الأسرة ،والمعلم في مدرسته ،والطالب في جامعته ،والعامل في مهنته ..كل أولئك إذا لم تكن لديهم الأهداف واضحة ،فذلك ستكون له أثار سلبية على الفرد والمجتمع .

وهنا ندرك مدى الهدر في الوقت والجهد الذي تتعرض له العقلية المتخلفة ومدى التذبذب وانعدام اليقين نظرا لافتقار الحلول إلى المتانة المنطقية ([59]).

كما يتميز الذهن المتخلف بانعدام المثابرة ،والتركيز في أمر ما محدود زمنيا ،سرعان ما يداخله التعب والتشتت ،ينطلق بحماس كبير ولكنه يفقد حماسه بالسرعة نفسها التي بدأ فيها..فلا قدرة له على الجهد والنفس الطويل المركز حول المسألة نفسها([60]) .

من السمات البارزة أيضا للعقلية المتخلفة انعدام الدقة والضبط في التصدي للأمور كل شيء يظل على مستوى التقدير الإجمالي والانطباع العام ،الدقة الرياضية لا مجال لها في العالم النامي ؛كل شيء عرضة للتراخي والتهاون والتساهل حتى الاستهتار ،نلمح ذلك في مختلف أشكال الالتزام مع الآخرين([61]) .فعلى سبيل المثال عندما نريد تحديد موعد مع شخص معين يقول لك مثلا نلتقي في الصباح ولا يحدد لك التوقيت بالضبط .إن فقدان الدقة في المواعيد أو غيرها تجعل من الوقت شيئا لا قيمة له.

ب- قصور التفكير الجدلي :

قصور التفكير الجدلي هو لب الذهنية المتخلفة فهي جامدة وحيدة الجانب ..عاجزة عن العمل تبعا لمبدأ التناقض ،ويُلاحظ هذا القصور في مختلف النشاطات وعلى مختلف الأصعدة ([62]).

ومن أخطر أوجه القصور في الذهنية المتخلفة العجز عن رؤية قانون التناقض ،أو تكامل الأضداد؛الأشياء والإنسان هما دائما في علاقة ،هذه العلاقة تضم طرفين أو أكثر في حالة تفاعل دائم وتأثير متبادل نولا بد لفهم أمر ما من دراسة كل من طرفي العلاقة وفهم المركز الخاص الذي يحتله كل منهما،والشكل المحدد الذي يعتمد به على الآخر ،فكل طرف يتطلب وجود الطرف الآخر المتناقض معه كشرط لوجوده([63]) .

الفرد الاجتماعي والثقافة الشعبية ،وعلى اعتبار أن الثقافة الشعبية مجوعة من المؤثرات المعنوية والمادية ،فهي بمثابة ذلك الشيء الذي يمارس نوع من الضغط على ذلك الفرد ،وهنا تظهر حالة التناقض فالفرد لا يمكنه أن ينسلخ كلية من تلك الثقافة التي تشكل جزءا من ماضيه وفي نفس

---

[58] - مصطفى حجازي : التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ،المرجع السابق، ص 62.

[59] - المرجع نفسه ، ص62.

[60] - المرجع نفسه ، ص64.

[61]- مصطفى حجازي : التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ،المرجع السابق ، ص65.

[62] - المرجع نفسه ، ص67.

[63] - مصطفى حجازي : التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ،مرجع سابق ، ص67.

الوقت يسعى في بعض الأحيان إلى التخلص من بعض القيود التي تفرضها تلك الثقافة .فالتناقض يبدو في الحالة التي تجمع بين التمسك بتلك الثقافة وفي الوقت ذاته هناك سعي لتخلص من بعض قيودها .

بالإضافة إلى التناقض الخارجي بين شيء ما وغيره من الأشياء هناك التناقض الداخلي ضمن ذلك الشيء ،فالظاهرة ليست كتلة واحدة متماسكة ،بل هي نتاج تفاعل قوى داخلية متعددة ومتكاملة في تعارضها .الشكل الذي تتبدى فيه ظاهرة ما هو نتاج هذا التناقض الدينامي الذي يكونها داخليا ([64]).

يخلق ذلك القصور حالة من التصلب الذهني يجعل من الإنسان يفتقر إلى المرونة،والى القدرة على بحث الأمور من جوانب متعددة ومنظورات ومستويات شمولية هذا التصلب يحجب رؤية النسبية في الأشياء والظواهر ويميل إلى المواقف القطعية (إما .أو) .وذلك القصور ليس وليد خلل عضوي ..انه نتاج البيئة الاجتماعية المتخلفة ووليد عوامل القهر والاعتباط التي يخضع لها الإنسان المتخلف ،فقصور منهجية التفكير يتناسب مع درجة القهر المفروض وجمود البنية الاجتماعية([65]) .

فالأجدر بالإنسان ألا يغلق عقله ويعتمد على طريقة واحدة في التفكير ينظر بها إلى كل الأمور ويقيمها بناءا على طريقة جامدة في التفكير، فكل أمر أو قضية تحتاج عند النظر فيها إلى مرونة فكرية لا تغفل أي جانب من جوانبها المتعددة .

ويمكن تلخيص أسباب تخلف الذهنية في :

* الشعور بالعجز عن السيطرة على الطبيعة والتاريخ.بينما يتمكن الإنسان المتقدم من ذلك بفضل قدرته على الكشف عن الاتجاهات ،والقوى والقوانين الفاعلة بينهما.

* رد التغيرات والظواهر إلى قوى فردية ، ربط ما يحدث بتغيرات النفوذ والسلطة ،أي رد الأمور إلى قوى ذاتية لا إلى قوانين الطبيعة والتاريخ ،مما يرسخ قوالب ذاتية في التفكير والنظرة الى الحياة .

* تحكم التقليد في السلوك ،من خلال تجميده من ناحية ،وشده إلى الماضي من ناحية ثانية ،مما يفتح السبيل أمام الغيبيات والتفكير الخرافي ،هذا التقليد يغرس جذوره عميقة في نفوسنا مؤثرا على الممارسة والنظرة إلى الأمور " رغم الدروس والشهادات التي تظل سطحية طالما أنها ليست وليدة ثورة داخلية ولم تفرز من داخل ،طالما هي ظاهرة نقلدها وليست تحولات نفرزها نتيجة تحولات داخلية" ([66]).

أكد خلدون على أهمية الوجود الذهني للمجتمع حيث يعتبر ابن خلدون أن الوجود العلمي هو آخر مرحلة من الوجود النظري ،بحيث يكون الوجود الاجتماعي الذي لم يركب مطية الفكر إلى الوجود العلمي فلا أمل له في الوجود الحقيقي ،ومن ثم كرس كل جهده إلى فهم المجتمع العربي ذهنيا لأنه لاحظ أن هذا المجتمع بقي محروما من هذا الوجود الذهني الذي هو الوجود الحقيقي([67]).

2- الجهل والجهل المركب :

طرح المفكر هشام شرابي مجموعة من القضايا كلها تفضي إلى أن الجهل هو السبب الرئيس في تخلف العالم العربي ،وأبرز النقاط التي عرضها هي :

---

[64] - مصطفى حجازي : التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ،مرجع سابق ، ص69.

[65] - مصطفى حجازي : التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ،مرجع سابق ، ص70.

[66] - نديم بيطار : الأسباب البعيدة لظاهرة التخلف السياسي ، مجلة (دراسات عربية)،السنة العاشرة ،العدد 10،بيروت ،1974.

[67] - عبد الله شريط : الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون ،مرجع سابق ،ص 146.

* الجهل بالجهل :أي عدم إدراك الجاهل لجهله ،وهو الجهل المركب ،وهو أخطر أنواع الجهل على الإطلاق ([68]).هذه النقطة غاية في الأهمية لأنها تعكس واقعا عاما يعاني منه المجتمع العربي ،وفي المصطلح الشعبي نقول (بوعريفة) ،وهو لفظ نطلقه على الشخص الذي يدعي بأنه يعرف كل شيء على أي شيء، وصفات (بوعريفة) هذه نجدها عند جل أبناء المجتمع العربي ،و هذا ما يبرر انتشار المفتين الذين لا يفقهون من الدين شيئا فلا علم لهم ولا دراية ، وفي الوجه المقابل نجد من ينجر وراء هذه الفتاوى دون تفكر أو تأمل، وفي هذا الإطار يؤكد الدكتور عمر عبد الكافي أنه :" في هذا الزمان قل العلم وكثر العلماء ،فإذا سئلت أي شخص مهما كان مستواه العلمي يجيبك دون تردد ويدعي المعرفة في كل شئ ...وهـذا ينم عن جهل ذلك الشخص لجهله وهو أخطر أنواع الجهل على الإطلاق .." ([69])

* اتفاق عدد من المفكرين العرب بأن معظم مشاكل الوطن العربي سببها الرئيس هو الجهل .

* التخلف ليس متأصلا في الذات العربية بل هو مكتسب من الظروف التي مرت بها الأمة العربية : من استعمار واستنزاف ثرواتها وخيراتها ([70])،واستغلال رأس المال البشري الذي تملكه باستقطاب الدول المتقدمة للأدمغة العربية التي تملك كفاءات عالية في عدة مجالات. كل تلك الأسباب هي خارجية،ولكن تبقى هناك أسباب أخرى متعلقة بالذات العربية ،ورغم مرور الوقت على استقلالها إلا أنها لم تتخلص من عقدة تفوق الآخر وعجزها التام أمامه.

ويدعم الرأي السابق ما ذهب إليه المفكر مالك بن نبي بقوله : " جوهر المشكلات ليست في حوادث خارجية فنحن إذا تصورنا المشكلات في إطار اجتماعي فقلنا هي الجهل ،أو في إطار اقتصادي فقلنا هي الفقر أو في إطار سياسي فقلنا هي الاستعمار ،فإننا في هذا كله إنما نبحث نتائج لأسباب سابقة أصولها في أنفسنا..."([71])

* الإشكالية الأكبر هي أن العـــرب بوجه عام لا يدكون تخلفهم ولهذا يدخلون في مأزق يصعب الخروج منه ([72]).وهــذا هو مربط الفـــرس فبداية الحل في أي مشكلة أن نشخص الداء وهذا يمكننا على أقل تقدير أن ندرك ما نعانيه من مشاكل ، ومن ثم يأتي التخفيف من هاته المشاكل أو الحل النهائي لها على المدى البعيد.

و يختم المفكر هشام شرابي حديثه عن الجهل والجهل المركب بتقديم الحل وهو حسب رأيه : تغيير طريقة التـفـكيـــر وإعـــادة النـــظـــر في المفاهـيـــم والـــرؤى([73]) .

فالحوادث والمواقف التي تصادفنا يوميا نتعـــرض لها بفكرنا و نفسرها بالطريقة التي نراها مناسبة تبعا لما درجنا عليه في النظر إلى الأمور ،وذلك التمثل للأمور وما يصاحبه من أفعال وممارسات تدعمه.هو الذي يحدد اتجاهاتنا ومواقفنا فمتى كانت طريقة التـفكير سليمة وواضحة كانت الاستجابة العملية لتلك الطريقة مثمرة و صحيحة ،ومبدأ الصحة هنا يكون نسبيا فما أراه أنا صحيحا ليس بالضرورة أن تراه أنت كذلك.من هنا كان حـــريـــا بنا أن نعيد النظر في الكثير من المفاهيم التي تُكون خطاباتنا والتي تعودنا عليها ،يجب أن نقف عندها فحينها ،فهي المحك الأساسي لكل تصرفـــاتـــنـــــا. "فانغلاق العـقـل داخل دائرة أطروحات وقضايا تبلورت في وضع

---

[68] -

[69] -

[70] -

[71] - مالك بن نبي : تأملات ،الطبعة الخامسة، الجزائر : دار الفكر، 1991،ص 128.

[72] -

[73] -

وحقبة معينين،فأصبحت هي التي تتحكم برؤية العقل للواقع وتمنعه من تجديد أدواته وطرائقه بالاحتكاك مع التجربة المتغيرة والملاحظة المباشرة وتجعله لا يعيش الواقع إلا على مستوى القضايا والأفكار المصاغة مسبقا ...تصبح العملية الفكرية عملية استنباط أفكار مـــن أفكار دون عودة إلى الواقع "([74]).

4- ما المقصود بالتخلف التربـــــــوي ؟:

في السطور السابقة تحدثنا عن مفهوم التخلف و أشكاله ،وفيما يلي نتعرف على مفهوم التربية والأهمية التي يكتسيها هذا المفهوم ،حتى نتمكن من تشكيل رؤية متكاملة وواضحة عن مفهوم التخلف التربوي .

مما لا شك فيه أن التربية هي عماد أي مجتمع وطريقه نحو التقدم والرقي ،فلا يمكن أن يتكون مجتمع وينمو دون وجود تربية تحدد وجهته وتعكس واقعه.وقد تقاربت آراء الباحثين في تعريفهم لمصطلح التربية ،" فالتربية في نظر (هاربارت- Herbart) موضوع علم يجعل غايته تكوين الفرد من أجل ذاته .بأن نوقظ فيه ضروب ميوله الكثيرة "([75]). أما(ستوارت ميل- Strart Mill) "فيضع فيها جميع المؤثرات التي يعانيها الإنسان سواء أتت من الأشياء أو المجتمع "([76]).

التربية ترسم طراز حياة الجماعة وعاداتها ونظام مؤسساتها و عواطفها ومعتقداتها .وبين جميع هذه الأنماط من الحياة تستند في نهاية الأمر إلى منظومات من التصورات الجماعية التي تعبر بها الجماعة عن نظرتها إلى الكون ونظرتها إلى نفسها ونظرتها إلى الإنسان ونظرتها أخيرا إلى العلاقات التي تربط هذه كلها ببعضها البعض ([77]).

من خلال هذا التعريف نستنتج الآتي :

* أن التربية تشمل النظام والعادات وتتعلق بكل ما يجري في المجتمع تدخل في اقتصاده وعلاقاته الرسمية وغير الرسمية .

* التصورات الجماعية مهمة في عملية التربية، فبواسطتها نتعرف على الميكانيزمات التي تنظر بها الجماعة إلى نفسها وتقيم بها الأمور من حولها .

كثيرا ما نتحدث عن أهمية التربية ،ولكن قلما نتناول الميكانزمات التي تتم بها ،الطريقة التي نعتمدها في تربيتنا ،وهل هناك طريقة واضحة ومحددة أم أنها طريقة تلقائية ؟ ومن أين تنهل التربية القيم والتوجهات التي تتبناها؟ .إن الإجابة عن تلك الأسئلة تسلمنا إلى أن التربية التي نعتمدها يعتريها بعض النقص الذي يتعلق أساسا بالثقافة الشعبية التي تعتمدها الأسرة من جهة ويعززها المجتمع من جهة أخرى .تلك الثقافة التي تمارس نوعا من السيطرة على تفكير جـــل الناس ." تـــُـــفهم التربية بحيث تجتنب كل ما من شأنه أن يؤدي إلى السيطرة الوحيدة لشكل خاص من الحياة الاجتماعية على الكائن أثناء نموه ...فالتربية لا تبلغ القيم الحضارية إلا إذا ارتفعت فوق المجتمع الخاص الذي يعطيها."([78])

ولكن ذلك لا يعني في أي حال من الأحوال أن نلغي أهمية الثقافة الشعبية فهي تعبر عن ماض المجتمع وترسم بملامحها حاضره ،ولكن يجب الحذر في التعامل معها. " إن للتربية ماضيها الذي ينبغي أن نعرف مراحله الكبرى ،ولكن شريطة أن نتخذ منه مادة للتفكير والتأمل "([79])

---

[74] - برهان غليون : اغتيال العقل ، سلسلة صاد ، 1990، ص 58.

[75] - رونيه أوبير : التربية العامة ، ترجمة : عبد الله الدايم ، الطبعة السادسة ،بيروت : دار العلم الملايين، 1983، ص 66

[76] - المرجع نفسه ، ص 66.

[77] - رونيه أوبير ،المرجع السابق ، 132.

[78] - رونيه أوبير ،مرجع سابق ، 77.

[79] - المرجع نفسه ، ص 16.

و في نفس السياق يذهب الكاتب عبد الله شريط إلى التأكيد على خطر الثقافة الشعبية وما تحمله من تقاليد بالية " نحـــن لا نتمسك من تقاليدنا الموروثة إلا بما كان موغلا في التأخر الفكري"([80]).
فالمجتمع لا يخلو من النقص والعيوب وعلى اعتبار أن التربية جزء منه إن لم نقل بأنها أهم جزء فيه فانه يعتريها ويجري عليها ذلك النقص والخلل ومن هنا يظهر مصطلح التخلف التربوي للأسباب التالية :
* (المجتمع ، الاقتصاد ، الثقافة.) تلك المؤشرات توضع للدلالة على وجود تخلف سواء في المجتمع أو الاقتصاد أو الثقافة ،والتربية مؤشر لا يقل أهمية عن باقي تلك المؤشرات إن لم نقل أنه الأساس الذي يتشكل منه المجتمع في الاقتصاد أو الثقافة ." فالبنى الفوقية([*]) وان كانت في الأصل نتاجا للبنى الاجتماعية والاقتصادية ،وما يحكمها من قيم ومعايير التنشئة وأنماط التربية والعلاقات ،وما يحكمها من قيم ومعايير وأساطير،قوة قائمة بذاتها متفاعلة جدليا مع البنى التحتية .إنها تتحول إلى عامل يرسخ هذه البنى التحتية ويعزز وطأتها"([81])،فالتربية هنـــا عامل أساس تستقي من البنى الفوقية جوهرها، وبطريقة تنفيذها تؤثر في البنى الاجتماعية والاقتصادية ،فلماذا لا يقترن مصطلح التخلف بالتربية ؟
* تجاوز المفهوم التقليدي للتربية والذي يتم حصره في التعليم ،فعندما بحثت عن مفهوم التخلف التربوي كل الذين تحدثوا عنه لم يخرجوه من إطار المؤسسات التعليمية. لذلك سيكون الحديث في هذه الدراسة عن التخلف التربوي في الأسرة والمجتمع (خارج الإطار الرسمي للتربية.)،فمن المتعارف عليه أن الأسرة هي أهم خلية في المجتمع ،ولعل أسمى وظيفة تقوم بها هي التربية التي أعطت للأسرة تلك المكانة المهمة ،وبالتالي فان أي خلل يكون في عملية التربية يؤثر على مسار الفرد في المجتمع."فالمجتمع ليس كيانات معزولة تمارس حياتها بشكل مستقل ،وإنما سلسلة من العلاقات المتشابكة تُكبل كافة مكوناته ابتداءً من الأسرة وانتهاءً بأبسط رابط اجتماعي تتعاطى من خلاله الكائنات الإنسانية لتبادل العلاقات الاقتصادية والاجتماعية ...الخ..فالعلة تكمن في المجتمع لا في المكونات المؤلفة له لأن سلوكها وممارساتها مستمدة من أعراف وقيم المجتمع([82]).
فلطالما فهمنا التربية على أنها العامل الأساس في تقدم المجتمع فمن خلال معناها الذي يعني النمو والزيادة ،فالتربية هي تنمية الجوانب الثقافية والفكرية...،ولكن هي أيضا يمكن أن تكون عامل تخلف .فالعيب ليس في التربية في حد ذاتها وإنما في الطريقة التي نربي بها و ما هي الأسس التي نعتمد عليها."فالثقافة هي محور عملية التنمية الاجتماعية الشاملة "([83])، فالتنمية الاجتماعية تتوقف على نوع الثقافة الذي تعتمد عليه." تعتبر الثقافة نظاما كليا ونسقا ثابتا عربيا أو غربيا تشتق منه روح التطور من جهة ...أو تبرز منه روح التخلف من جهة أخرى "([84])
ولعل أخطر ما يواجه عملية التربية هو انتشار ثقافة الخرافة ،والتي يعرفها بوشان بوشان Bhushan Bhushan:" بأنها عبارة عن معتقدات غير منطقية تفتقر إلى الدليل الموضوعي والتجريبي ولكنها تستمر في المجتمع لمدة طويلة ".

---

[80] - عبد الله شريط : الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون ،مرجع سابق ،ص 1496.

[*] - المقصود بها هنا (البنى النفسية ،والعقلية ،والقيم الموجهة للوجود)

[81] - مصطفى حجازي : التخلف الاجتماعي مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور ، مرجع سابق ، ص 31.

[82] - sahib. Al-rabi@spray .se.

[83] - نبيل علي : الثقافة العربية وعصر المعلومات ، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والآداب ، 2001 ، ص 44.

[84] - برهان غليون : اغتيال العقل ،سلسة صاد ، 1990، ص 86.

ولا شك أن انتشار الأفكار الخرافية والمعتقدات الخاطئة تشير إلى تخلف المجتمع في الجوانب التي تتناولها تلك الأفكار الخرافية والمعتقدات الخاطئة فانتشارها وشيوعها في الوقت الحاضر يرجع إلى الأصل التاريخي الذي تنحدر منه ،ويرجع كذلك إلى عـدم الالمام بالتفكير العلمي وعدم القدرة على دراسة الظاهرة موضوع الأفكار الخرافية والمعتقدات دراسة علمية تجريبية .
فعملية التربية عندما تُبنى عـلى الخرافة أو تستسلم لتلك الاعتقادات الخاطئة ،فحينها تتحول من وسيلة لمحاربة الجهل إلى داعم له .
وأهم العوامل التي تسهم في انتشار الخرافة هي :
* الجهل والأمية : حيث يؤكد طلعت عيسى على أنه كلما غرقت قرية من القرى في الجهل كثرت فيها الخرافات ،كما أن أفراد المجتمع القروي يسودهم الاعتقاد في الخرافات والاستسلام للمعتقدات المتوارثة شأنهم في ذلك شأن أي فرد قلق جاهل لا يعرف لماذا تهب الريح ويعللها بأنها غضب من الله تعالى .
* الشعور بالخوف والتوتر الانفعالي .
* تبرير السلوك والدفاع عن النفس : حيث أن التأثيرات المؤدية للخرافات تعضد السلوك الذي تفضله ،فإنها تؤيد السلوك الذي نرغب في إصداره ..فبعض الناس يبررون اقتناعهم بزيارة الولي بأنهم يبحثون عن الشفاء وطلب البركة بل يشعرون بالراحة والاطمئنان .
فالتخلف بأشكاله الاجتماعية والاقتصادية والعقلية (الفكرية والتربوية) هو في النهاية " انعدام وسائل التطور الفكري والعلمي والثقافي الصحيح أو انعدام الوسائل المعرفية للاستخدام الأمثل لهذه الوسائل بالإضافة إلى الخلل في التركيبة الهرمية للمجتمع ...فبناءا على ذلك أعتبر ذلك التخلف هو مرض اجتماعي ناتج كجميع الأمراض عن أسباب.. "([85]).

خلاصة:-
من خلال تحدثنا عن مفهوم جديد للتخلف ،وان كان هو في الأصل ليس جديدا وإنما الجديد فيه هو نسبة التخلف للتربية ،فلطالما تعودنا أن نتحدث عن الاقتصاد أو الثقافة ....عندما نتناول موضوع التخلف .فبحديثنا عن التخلف التربوي لم نأت بالجديد وإنما نبهنا إلى شئ موجود ومهم وهو التربية ولكن لا نهتم بالحديث على أوجه القصور والنقص فيها ،والتي تتسبب فيها عدة عوامل متعلقة بنمط التربية نفسها من جهة ،والثقافة المستقاة منها تلك التربية من جهــة ثانية .

[85] - blog @syriangavrodre . com 2008/10/1 hotmail.

تراوحت القصص المعبرة عن واقع المرأة بين صورتي ؛المـــرأة الشريرة والمرأة الضعيفة الخاضعة ،وتعكس كلتـــا الصورتين نظرة سلبية للمرأة .

* فبداية عبـرت القصص (1-2-8-10-12-13) – أنظر الجدول – عبرت كلها عن كون المرأة أداة للشر والفساد في عرف مجتمع القصة ،فقد ظهرت في القصة الأولى المرأة بدور المحتالة التي تجاوز كيدها كيد الشيطان ،وفي القصة الثانية ظهـرت بدور الخائنة التي أحبت رجلا قبل زواجها وبعد زواجها أوهمت السلطان بإحضاره كخادم في القصر.والقصة الثامنة تبين لنا صورة الحماة الشريرة ،أما القصة العاشرة فتظهر المرأة فيها كمصدر للشر الذي يصيب الرجل ،فالرجل لم يخطر بباله فكرة الشعوذة لكن زوجته هي من أوحت له بذلك ،وفي القصة الثانية عشر تبدو المرأة في دور المحرض على سلوك مشين كالسرقة ،وهـذا فيه إشـــارة إلى أن المرأة مصدر للآفات الاجتماعية ،أما فيما يخص القصة الثالثة عشر فتظهر المرأة بدور الزانية ،وتتعرض البطلة في هذه القصة لموقفين متناقضين ؛ففي الموقف الأول تخدع أهلها وتدخل في علاقة غير شرعية مع الشاب الذي أحبته ،والموقف الآخر أن ذلك الشاب يخدعها ومن ثم يقتلها. كل تلك القصص تعكس : - تقليلا من شأن المرأة والحط من قيمتها إلى درجة تشبيهها بالشيطان . – مبالغة في تصوير الشر والمكر لديها .

* وفي الوجه المقابل نجد القصص (2-3-4-5-13) – أنظر الجدول – تعبر عن صورة المرأة الضعيفة والخاضعة ،فالقصة الثانية تبين لنا كيف أن الأب له حـــرية التصرف في مصي ابنته حتى وان تعلق ذلك بأمر يخصها كالزواج حيث لا تملك الفتاة حق اختيار الزوج الذي تريد ،أما القصة الثالثة فتعبر عن فكرة سائدة في الوطن العربي عامة وفي مجتمع القصة خاصة ؛ وهي ترك المرأة في البيت والضغط الذي يـُمارس عليها من طرف المحيط الاجتماعي .وفي القصة الرابعة نجد ازدراءا للمرأة والتعامل معها كسلعة تـُـباع وتشترى في أمر زواجها ، وفي القصة الخامسة نلاحظ وجود احتقار من طرف أهل المنطقة للمرأة حتى أنهم إذا أرادوا اهانة رجل شبهوه بالمرأة .أما القصة الثالثة عشر ففيها تدعيم لما جاء في القصة الثالثة وتمثل نموذجا آخر للضغط الاجتماعي والنفسي الممارس على المرأة ،والكذب عن المرأة في القصة يعني احتقارها وكذلك ما عبرت عنه كلمة (لاحوها) خوفا من العار الذي سيلحق العائلة .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن : لماذا ذهبت القصة الشعبية هـذا المنحى في التعبير عن واقع المرأة (إما شـريـرة أو ضعيفة) ؟

من المتعارف عليه أن القصة الشعبية تعتبر بمثابة وثيقة تاريخية نستطيع من خلالها معرفة بعض المراحل التي مـــر بها المجتمع الذي ظهرت فيه القصة في وقت ما . فهل الوقت الذي ظهرت فيه القصة كانت المرأة فعلا بتلك الصورة التي أظهرتها القصة الشعبية ،بمعنى آخر هل عكست القصة الواقع كما هو أم أن الخيال لعب دوره فيهـا ؟

يقول الكاتب التـلي بن الشيخ في هـذا المضمار :" أن الموقف في القصة الشعبية غير واضح ،بل لا يصح أن نصف الأحداث بالواقعية باعتبار القضايا في القصة الشعبية افتراضية أكثر منها واقعية " ([86]).

---

[86] - التلي بن الشيخ ، مرجع سابق ، ص 15.

إن الحديث السابق لا يعني نفي صفة الواقعية عن القصة الشعبية إلا أن الغالب فيها هو الأحداث الافتراضية. لذلك نجد القصص (1-2-3-4-5-8-10-12-13) تدخل في إطار حكايات الواقع الاجتماعي حسب التصنيف الذي قامت به الكاتبة نبيلة إبراهيم حيث عرفت هذا النوع من القصص بقولها : " حكايات الواقع الاجتماعي هي تلك الحكايات التي تكشف الصراع الطبقي ،وعن علاقة الجماعات الشعبية ببعضها البعض " ويظهر الصراع في قصة الستوت (راجع القصة في الملاحق) ،وواقعية القصة الشعبية تستلزم تلك الوظيفة التي تقوم بها الحكايات الشعبية ،والتي أكدت عليها الأديبة نبيلة إبراهيم بقولها : " تقوم القصة الشعبية بوظيفة أساسية في الكشف عن القيم الأخلاقية الفاسدة في المجتمع الشعبي .." ([87]) ، وهذا فيه دلالة قاطعة على وجود بعض القيم الفاسدة والتي تعرقل تنمية المجتمع ،وهنا تظهر وظيفة القصة الشعبية بنقل ذلك الواقع ووضعه في قالب أدبي .

إلا أن هناك قضية مهمة يجب أن نلفت الانتباه إليها ،وهي أن القصة الشعبية لها الحرية في إظهار الشخصية بالشكل الذي تريده فعلى سبيل المثال " يكون وراء إظهار المرأة بمظهر المتفوق في الذكاء ،أن القصة ترمي إلى رفع مكانة الطبقات الشعبية إلى المراكز العليا في الحياة لا يعني عجزها ،وعدم قدرتها .وإنما يرجع إلى أسباب أخرى لا علاقة لها بالكفاءة والذكاء .."([88]) .

كما لا تخلو القصة الشعبية من الأساطير والخرافات " يطرح القصاص الشعبي موضوع المرأة في إطار تغلب عليه رؤية أسطورية ، تعتمد المبالغة والجري وراء الخوارق غير الواقعية .." ([89]).

هل تعبر تلك القصص على الواقع الحالي والى أي مدى أثرت في تشكيل مواقف الإنسان الشعبي ؟

* أظهرت القصة الشعبية عدة صور لها علاقة بالواقع الحاضر :

1- صورة الحماة الشريرة والنظرة النمطية التي يأخذها المجتمع عن أم الزوجة ، فإلى حد الآن هناك خطابات وممارسات تؤيد ذلك الواقع ، حتى أن بعض الأمثال الشعبية تلتقي مع هذه الصورة من مثل : (النسيبة ذيبة).

2- مسألة اختيار الزوج بالنسبة للفتاة ، فهناك إلى وقتنا الحاضر نجد في بعض الفئات الشعبية رفضا تاما لهذا الحق ، وهذا منافي لتعاليم الدين الإسلامي يقول صلى الله عليه وسلم: (لا تُنكح البكر حتى تستأذن) .

3- حبس المرأة في البيت فمن خلال الدراسة الميدانية تبين لي أن هذا الأمر يؤدي إلى إثارة غضب المرأة وخنقها والانتقام بسلوك غير محمود ،ويبرر بعض الرجال لجوءهم إلى هذا الأمر بالأحكام الشرعية .وفي هذا الإطار يؤكد الأستاذ الإمام نور الدين مهري بقوله: " الفهم الخاطئ للكثير من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية قد أدى إلى عدة ممارسات وضغوطات على المرأة لا أصل لها في الشرع ،إضافة إلى انتشار الفكر المتطرف والمتعصب لدى الكثير من الشباب في الوقت الحاضر ،وهم ما أخذوا من الدين إلا القشور والأمور الظاهرة " .

* هذا لا يعني أن القصة الشعبية هي السبب في كل ذلك ،ولكنها تعبر عن مرحلة من التراكم الثقافي الذي مر به المجتمع ،وعكس إلى حد كبير نظرة الناس إلى الأمور وتقييم للأشياء .

4- اختفاء بعض المفاهيم في الوقت الحاضر و التي كانت في زمن القصة من مثل (السلطان – السرايا - ...)

* أما القصص (6-7-8-9) ، فنجد في هاته القصص الأربع تكرارا للفظي الغول والجن ،واندماجهما في حياة الناس العاديين ومشاركتهم في أمورهم الخاصة كالزواج مثلا ،وهذا ينم على مدى الاعتقاد المبالغ فيه للجن ومدى تأثيره في حياتنا .تدخل هاته القصص في إطار حكايات المعتقدات "تلك الحكايات التي ترتبط باعتقاد الإنسان الشعبي في الأولياء وباعتقاده في الأرواح الخيرة والشريرة " ([90])

وان كانت هاته القصص تنمي خيال النش إلا أنها في الوقت ذاته تزرع فيه نوع من الخوف وكذلك تنمي لديهم التمثل الغير صحيح للعالم الآخر .وعلى اعتبار أن القصة الشعبية جزء لا يتجزأ من ثقافة المجتمع لذلك يطرح الكاتب على المزغني التساؤل الآتي : لماذا يسود ثقافتنا كل هذا الخوف ؟ ، وقد عرّف الخوف :"شعور من لا قدرة له على مواجهة الآخر" ([91]).

---

[87] - نبيلة إبراهيم ، قصصنا الشعبي من الرومانسية الى الواقعية،مرجع سابق ، ص 183.

[88] - التلي بن الشيخ ، المرجع السابق ، ص 144.

[89] - المرجع نفسه ، ص 148.

[90] - نبيلة إبراهيم :قصصنا الشعبي من الرومانسية الى الواقعية ، مرجع سابق ، ص 200.

[91] -

وفي نفس السياق يؤكد الكاتب محمد بن مريسي الحارثي بقوله :"أن الخوف على أي مستوى من مستوياته ،وفي أي نوع من أنواعه ذات العلاقة بالثقافة يولد صورا من الرهبة والحذر ومنهما يولد العقم الثقافي " ([92]).

* والحديث عن الخوف له عـــدة أوجه يتعلق بعضها بالعمل وهــذا يقودنا للحديث عن القصص (8-9-11) فالرجل في القصة الثامنة عندما لم يجد عملا يؤمن به قـوت عياله ، لجأ إلى الاتـفاق مع الجن ،فأوهم الناس بأن "الطالب" الذي يستطيع إخراج الجن من الإنسان . والذي يجنيه من عمله يتقاسمه مع الجن .

وفي القصة التاسعة نجد لفظ الزهر الذي يعتمد عليه في الخروج من المأزق الذي وقع فيه الأخ العاقل ،وكذلك لفظ السعد الذي يجده صاحبه من خلال القصة الحادية عشر نائما فيحاول ايقاضه لعل أموره تتيسر ،فقد شُبه السعد في هذه القصة بالإنسان .وهذه القصة تتكرر دائما في الأوساط الشعبية و تُحكى بطريقة هزلية ؛ فهذه الحاجة "سعدية" تحكيها وتجعل كل من حولها يضحك ، ففيها تجد تـنـفيســا لما عــانـتـه مع زوجها المتوفى وكيف أن الحظ خانها معه.

وهـــذا إن دل على شئ فإنما يـدل على حكايات الحظ والزهـــــر تجد قبولا اجتماعيـــــــا .

[92] -

تمهيد :

من خلال هذا الفص سيتم التركيز على بعض القضايا التي مسها التخلف ؛ويتعلق الأمر بقضيتي المرأة والعمل ،ففي المبحث الأول سنتحدث عن بعض القضايا المتعلقة بالمرأة بداية بالخطاب الذي يتحدث عنها والذي ذهب فيه المفكرين في نواحي عديدة كل حسب الزاوية التي يراها مناسبة ،إضافة إلى تناول مسألة التربية والتعليم ومدى أهميتها بالنسبة لها كفتاة وكأم فيما بعد ومدى تأثير تلك التربية على الأطفال فيما بعد،وتحدثنا أيضا عن ملامح وضعية القهر التي تعيشها المرأة ، وختمنا هذا المبحث بالحديث عن قضايا السحر والشعوذة وعلاقتها بالمرأة.أما في المبحث الثاني فتحدثنا عن فأفردنا الحديث فيه عن العمل وتم التركيز على نمط التربية وعلاقته بسلوك العمل في المجتمع العربي،وكذلك تطرقنا إلى بعض صفات الإنسان العربي كالاتكالية والعجز والتهرب وختمنا هذا المبحث بالحديث العمل وعلاقته بالخرافة كنمط للتفكير.

أولا- المـــــــــــرأة :

1-1 خطاب المـــــرأة :

في البداية يجب أن نحدد نوع الخطاب المقصود بالبحث في هذا المحور وهو الخطاب الأكاديمي أو خطاب المفكرين والمثقفين المهتمين بقضية المرأة وهو يختلف تماما عن الخطاب العامي والشعبي الذي يتناقله عامة الناس .

ربما يبدو للوهلة الأولى بأن الحديث عن المرأة أمرا عاديا وموضوعا مـُستهلكا ، فـتدرو قضية المرأة في مدار يعيدنا دائما إلى حيث بدأنا أول مرة[93].وتظهر أهميته لأنه دائما يـُستثار كجزء من الظروف والمتغيرات التي يمر بها المجتمع ،والمرأة كأهم جزء في هـذا الأخير يسري عـليها ذلك التغيير .

تناقلت خطابات المفكرين والمثقفين قضية المرأة بين إفراط وتفريط واعتدال في بعض الأحيان،فمنهم من يبالغ في الحديث عن تحرير المرأة ،ومنهم من يضيق عليها الخناق ويجعلها تدور في فلك رسمته لها الظروف والعادات والتقاليد .

بكل تأكيد شكلت المرأة في تاريخ الثقافات البشرية موضوعا للجدل والاختلاف،وليس لأن المرأة أهم من الرجل وإنما لأن المرأة كانت وما زالت في التصور غير العادل هي الأقل أهمية في ثنائية الرجل والمرأة على المستويين الإنتاجي والثقافي ،وبذلك جاءت قضاياها أكثر تعقيدا لأنها مستلبة موءودة معنويا وجسديا إلى حد أنها لا تحيا بنفسها ولا لنفسها إنها للزوج وبالزوج...في مجتمع جاهلي متخلف يمارس وأد المرأة معنويا كما مارس الأجداد وأد المرأة جسديا [94].

---

[93]- . amal zahid@hotmail.com .تاريخ الدخول 21 ديسمبر 2009

[94] - سليم ناصر بركات : مفهوم الحرية في الفكر العربي الحديث ،دار دمشق ,دمشق ،1984 ،ص 341.

طرح الكاتب أحمد أبو زيد سؤالا مشروعا إلى حد ما ؛وهو لماذا نستخدم الصيغ التقليدية في الحديث عن المرأة ؟فهي الأخت والزوجة والأم! بينما نعجز عن إيجاد تعبيرات أخرى على الرغم من تغيرات العصر هناك إصرار للمحافظة على دور لها يبدو على أهميته غير قادر على فضح قناعات جامدة نتمسك بها ،وهذه الحالة تجسد خوفنا من المستقبل ومن رؤية الإناث ، فالمرأة خارج إطار الوصف التقليدي لا تخرج في معظم تعبيراتنا الثقافية عن الجمال أو الإلهام والإبداع بالنسبة للشعراء وغيرهم من أصحاب الفكر والقلم [95].

يلفت انتباهنا الكاتب أحمد أبو زيد إلى ذلك الدور المغيب الذي يمكن أن تلعبه المرأة خارج الإطار المألوف الذي تعودنا فيه التغني بجمال المرأة أو أنها مصدر الهام الشعراء والمبدعين .وهو جمال من نوع آخر ذلك الجمال الذي تظهر ثماره عندما نعي أهمية دورها العلمي والفكري الذي يعد لبنة أساسية في عملية التربية الاجتماعية للأفراد .

إن المرأة العربية في الواقع كائن مستصغر،مهمش ،لا يحتكم لإمكانيات خاصة به لوصف نفسه أو الإبداع أي القيام بالعمليات الأولية التي تسمح له بالتعبير عن وجوده وعن وجود الآخر.فقد كانت المرأة محل سوء الظن والسخرية سواء في المحيط العربي أو في الثقافات والشعوب الأخرى دون أن تتمكن من دحضها بنفسها [96].

ويواصل الكاتب نصر حامد أبو زيد دفاعه عن المرأة من خلال استناده إلى الموروث الثقافي والاجتماعي بمدخل عن قصة حواء بين الدين والأسطورة ؛ حيث تظهر قصة آدم وحواء كمؤامرة محبوكة للإيقاع بآدم تشترك فيها حواء و الحية فالحية الزاحفة هي التي أوقعت بحواء وجعتها تغري آدم بأكل الثمرة المحرمة [*]،يلاحظ أبو زيد أن آدم يظهر في الرواية ضحية بريئة خاضعا لضغوط فوق طاقته البشرية ،كما يرى أن القصة تحدد شكلا من العداء بين آدم (أو الذكر) والحية ،وهو عداء لا علاقة لحـــــــــواء به [97]، ونحن مازلنا في خطاباتنا الشعبية اليومية نردد دائما وندعم أقوالنا بأن حواء هي التي أخرجت آدم من الجنة.

فكثيرا ما تؤول بعض الآيات القرآنية على غير المعنى الذي درجت عليه ،وفي هذا الاطار يقدم لنا الكاتب حسن بن عبد آل الشيخ التفسير الصحيح للآية القرآنية التي نسمعها دائما في خطاباتنا الشعبية ،وهي قوله تعالى :" الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم .." [**]،فهذه الآية الكريمة لا تعني تفضيل معدن الرجل على معدن المرأة فهما شقيقان ينحدران من نفس واحدة ،وهو تفضيل لا ينقص من قدر إنسانية المرأة،لأنه ناشئ من تفرقة عضوية بينها وبين الرجل لا من تفرقة في المعدن والجوهر ...ومثل هذه التفرقة لا تستوجب القسوة على المرأة ،فان فضل الله معقود بتزكية النفوس لا بتفرقة عضوية اقتضتها حكمة الله لضمان استدامة الحياة البشر ،وتكاملها[98] .

وبقدر تنامي الوعي الجديد ،كان وضع المرأة يتنامى،بينما كان الصراع في عصور الانحطاط يميل ناحية الوعي التقليدي فيتدهور وضع المرأة،إذ يتم إخفاء "النساء شقائق الرجال" ويعلن عنهن كـ"ناقصات عقل ودين "[99]،و هذه العبارة واردة في حديث صحيح رواه البخاري ومسلم

---

[95] - . amal zahid@hotmail.com .تاريخ الدخول 21 ديسمبر 2009

[96] - ريطا الخياط : **المرأة في العالم العربي** ،الجزائر : منشورات زرياب ،2003، ص8.

[97]- نصر حامد أبو زيد : **دوائر الخوف : قراءة في خطاب المرأة** ،منشورات المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،1999، ص 15

[**] الآية 29 من سورة النساء .

[98] - حسن بن عبد آل الشيخ : المرأة كما عاملها الاسلام ،الجزائر :دار الهجرة ، 1990،ص 29

[99] - نصر حامد أبو زيد ،مرجع سابق ،ص 16.

والترمذي و أبو داود والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار....،وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي اللب منكن قالت يا رسول الله وما نقصان العقل والدين ،قال أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل.وتمكث الليالي ما تصلي وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين..." [100]، وتُستدعى قصة خروج آدم من الجنة في صيغتها التوارثية .فتتوحد حواء مع الحية والشيطان ويقف تراث التخلف عند " كيدهن عظيم" [101])؛ وان كانت هذه آية قرآنية لها قدسيتها ،وحقيقة لا يكرها الواقع إلى في بعض الأحيان،لكن المشكلة تظهر في مباغتنا لترديدها في كل موضع و تأويلها بما يروق هوانا و يثبت آراءنا .

ويتجاوز النقص الذي ننعت به المرأة الواقع الاجتماعي ليمتد إلى الحقل اللغوي؛تمارس اللغة[*])نوعا من الطائفية ضد الأنثى حيث تُعامل كأقلية عبر حاجتها إلى الدخول في حماية الرجل ،وتصر اللغة على أن يُعامل الجمع اللغوي معاملة المذكر ،وبهذه الطريقة يلغي وجود رجل واحد مجتمعا من النساء.فيُشار إليه بصيغة المذكر لا بصيغة المؤنث ,وتؤكد هذه الأمور،بحسب أبو زيد على دلالات في مستوى بنية الوعي ،حيث تعكس وعي الجماعة ومرتبتها الحضارية[102].

وقد تمثل هـذا الخطاب عند مفكري النهضة الذين تحدثوا عن وضع المرأة في المجتمعات العربية و الإسلامية .ومنهم الشيخ محمد عبده وغيره من المفكرين المعتدلين الذين أكدوا أن الإسلام دين الحرية والمدنية و التقدم ،وأن تدني وضع المرأة وما فُرض عليها من قيود لا يجد تفسيره في الإسلام.بل في حالة التخلف التي تعيشها المجتمعات المتمثل باحتقار المرأة كصورة من صور احتقار الإنسان[103].

عندما نستثير قضية المرأة وعلاقتها بالدين والشريعة فان الحديث عنها يستلزم منا الحذر لأنها علاقة حساسة ،وتدخل في إطارها عدة اعتبارات تتعلق بالوحي (قرءانا وسنة) .إلا أن إثارة هاته العلاقة يجرنا إلى الحديث عن الخطاب الديني وهو ما يهمنا في هذا العنصر فذلك الخطاب الديني يفتقد بعد الواقع الاجتماعي في تناوله لقضية المرأة [*]؛ هناك من يقوم بتمويه الدين بخطاب ديني مأزوم يصر على مناقشة قضية المرأة من خلال مرجعية النصوص،متجاهلا أنها قضية اجتماعية فيتم استخدام نصوص شاذة واستثنائية[**]،فتـؤول تلك النصوص على غير ما درجت عليه[104]،وهنا تظهر خطورة الثقافة الشعبية والخطاب العامي العشوائي الذي يفهم الأحاديث بطريقة تلقائية ولا تخضع لأي موضوعية ،فقد أكد الدكتور عمار بكار : " بأن لدينا في العالم

---

[100] - أحمد القطان : المرأة في الإسلام ،الطبعة الثانية ،الجزائر : مكتبة رحاب، 1988، ص 138.

[101]- نصر حامد أبو زيد ،مرجع سابق ،ص 16

[*] هذا يصح حتى على لغات أخرى ،كالفرنسية مثلا ؛ وهو يثير في فرنسا استنكار الحركة النسوية التي تطالب بتأنيث اللغة .

[102] - نصر حامد أبو زيد ،مرجع سابق ،ص 15

[103] - المرجع نفسه ،ص 20.

[*] - هذا الحديث يثير قضية غاية في الأهمية وهي غياب تلك العلاقة المثمرة بين العلوم الاجتماعية والانسانية و العلوم الشرعية وكيف يمكن استثمار تلك العلاقة بما يفيد الواقع الاجتماعي مع احترام كل الضوابط والقواعد الشرعية .

[**] هناك بعض الأحاديث النبوية الشريفة يتم تأويلها بشكل خاطئ واستخدامها ضد المرأة (ناقصات عقل ودين ،المرأة خلقت من ضلع أعوج)،وهذا ينسحب حتى على بعض الآيات القرآنية.فالمشكلة ليست في الآيات أو الأحاديث في حد ذاتها،بل في قراءتنا وفهمنا لها.

[104] - نصر حامد أبو زيد ، مرجع سابق ، ص25

العربي ثقافة شعبية Popular culture تتنامى بشكل سريع في التأثير والتنوع " وأضاف قائلا :" إن الضغط على الثقافة الشعبية لا يلغيها بل يدفعها للتخفي لتتحول لثقافة تحت الأرض Underground culture وهذا أخطر أنواع الثقافة الشعبية و أكثرها تدميرا لأنها بعيدة عن كل توجيه "[105]. هذا يؤكد الحديث السابق ويضعنا أمام قضية رئيسية ومهمة وهي ضرورة فرز وغربلة ثقافتنا الشعبية في كل القضايا التي تتناولها وليست قضية المرأة فقط .

لا يمكننا الحديث عن خطاب المرأة دون أن نمر على ما جاء به الكاتب قاسم أمين فقد رسم هذا الأخير صورة قاتمة عن الوضع الذي تعيشه المرأة فيه شئ من المبالغة ،ويصل به الأمر في بعض الأحيان إلى القفز على بعض الضوابط الشرعية ،لكن في تلك المعالجة هناك جانب من الحقيقة لا يمكن أن نلغيها ،فقد قدم قاسم أمين صورا متعددة لاحتقار المرأة في المجتمع العربي جـــاءت هكـــــــذا :-

* من احتقار المرأة أن يطلق الرجل زوجته بلا سبب

* من احتقار المرأة أن يقعد الرجل على مائدة الطعام وحده ثم تجتمع النساء من أم وأخت وزوجة ويأكلن ما فضل منه .

* من احتقار المرأة أن يعلن الرجال أن النساء لسن محلا للثقة [106].

تلك المظاهر والصور السابقة بعضها تلاشى مع تطور المجتمع والبعض الآخر بقي لأنه يتعلق بما يفكر به الرجل وبما تفكر به المرأة أيضا،وهو يدخل في إطار التركيبة والمنظومة القيمية التي يتربى عليها وبالتالي يصعب تغييرها أو إقناعه بالعكس .

دلت كل المقاربات التي تطرقت لموضوع المرأة إن على المستوى الفقهي كتشريع أو على مستوى الخطاب اللسني المعبر عنه من خلال الإنتاج الأدبي بكل أصنافه التعبيرية عن تعامل حذر تجاه المرأة ،زكاه التعاطي الميثولوجي[*] للمجتمع معها على اعتبار أن الرجل هو الأصل والمرأة هي الفرع [107].

ما بين تحميل المرأة أكثر مما تطيق وتضييق الخناق عليها من جهة ،وبين دعوة الى تحريرها ومساوتها مع الرجل ..في هذه البنية الثقافية المشوهة تظهر صور المرأة وعلاقتها بالرجل / المجتمع مسكونة بالتخلف والجهل [108].

ولا ندخل في جدال عقيم عن الأصل والفرع ،و إنما الهدف هو إعطاء المرأة حقوقها الإنسانية دون الحاجة إلى تأكيد أن الذكورية هي الأصل ومن ثم نتجاوز معممة البيضة هي الأسبق أو الدجاجة .. [109]

ما يجب أن نلفت الانتباه إليه هو أنه إذا أردنا أن ننصف المرأة فانه يترتب علينا أن نتناول قضيتها في إطار السياق الثقافي للمجتمع الذي تربت ونشأت فيه ،حتى لا نضعها في محك مقارنة مع وضعية مجتمعات أخرى تختلف تماما عنـــا. إن الموضوعية تقتضي دراسة المجتمع المغربي من خلال مكوناته هـــو ،حيث اكتشف "جاك بيرك" عمق تجذر الأعراف والتقاليد وابتعاد المناطق البربرية عن المفاهيم الشرعية ؛يقول جاك بيرك : " كنا ندرك الإفريقي الشمالي من خلال مقارنته

---

[105] - عمار بكار (كيف نتحكم في الثقافة الشعبية) نقلا عن جريدة الاقتصادية ،السعودية ،العدد 311 ، 2009 .

[106] - قاسم أمين : تحرير المرأة ، الجزائر ،موفم للنشر ،1990،ص 19

[*] - مأخوذ من كلمة مايث (myth) وتعني الأسطورة.

[107] - . amal zahid@hotmail.com .تاريخ الدخول 21 ديسمبر 2009

[108] - نوال السعداوي :دراسات عن المرأة والرجل (كتاب الأنثى هي الأصل)،ص 153.

[109] - عبد الله الغدامي :**المرأة واللغة** ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،1996،ص15

بنا في حين أنه كان يجب إدراكه من خلال مشاكله الخاصة وتعقده الداخلي ،وفي كلمة واحدة يجب اعتبار تأويلاته الخاصة [110].

فمن الصعب أن نفهم المجتمع بالنظر إليه من الخارج فقط بل يجب الغوص في أعماقه وفهم مشاكله الداخلية ،وليس ذلك فحسب بل يتحتم علينا أن نفهم الفرد الذي يُكون ذلك المجتمع وفهم كل مشاكله النفسية والاجتماعية ...

إن أزمة المرأة هي أزمة فكر وثقافة قبل أن تكون أزمة واقع عاشته المرأة خلال معاناتها كإشكال تاريخي عصف بمكوناتها الذاتية نحو التحرر ،وانفتاح إمكانياتها على أرض الواقع ،كما أن قضية تحرر المرأة هي دعوتها أن تغزو الجانب المعتم من انغلاق الرجل على تحرره ،تقول الدكتورة سلوى الخماش في هذا الإطار :" مــازال على المرأة دور كبير في تغيير مفهوم الرجل عنها وفي تصحيح أفكاره " [111].

وفي النهاية يبقى السؤال الذي يطرح نفسه : ما هي الصورة التي رسمناها من خلال تربيتنا وتنشئتنا عن المرأة ودورها في المجتمع ؟ ومن جهة أخرى يتعين على المرأة القيام بالدور الأكبر للخروج من هذه الدائرة لأنها هي في الحقيقة من ساهمت بشكل مباشر أو غير مباشرة في ترسيخ تلك النظرة المتخلفة تجاههــا.

2-1 شخصية الفتاة العربية :

من المتعارف عليه أن شخصية الفرد تتشكـل تبعا لما يرسمه المجتمع ،وتتدخل الأسرة هنا كهمزة وصل لتقوم بذلك الدور؛وفي هذا الإطار يقول الكاتب هشام شرابي : " إن العائلة كمؤسسة اجتماعية هي الوسيط الرئيسي بين شخصية الفرد والحضارة الاجتماعية التي ينتمي إليها ،وان شخصية الفرد تتكون ضمن العائلة ،وأن قيم المجتمع وأنماط السلوك فيه تنتقل إلى حد كبير من خلال العائلة وتتقوى بواسطتها " [112].

ربما يبدو ذلك الحديث عاديا ومتداولا في الكثير من خطاباتنا لكن يجب علينا دائما أن نضعه نصب أعيينا ونذكر به أنفسنا لأنه يتعلق بمسألة غاية في الأهمية وهي التربية .استخدم هشام شرابي مصطلح العائلة ؛فمع تطور البناء الاجتماعي تحدد مفهوم العائلة إلى مفهوم الأسرة إلا أنهما يقومان بنفس الوظيفة وهي التربية بغض النظر عن التطورات التي طرأت على مفهوم العائلة.

إن طرق تربية الطفل تمثل دورا حاسما في تعين نوعية الشخصية من حيث ارتباطها بمجتمع معين ،ودلالتها عليه ،ولذا فان فهم طرق تــربيـة الطفل يؤدي إلى فهم السلوك الاجتماعي ودوافعه[113].

إن إثارة مسألة شخصية الفتاة العربية تفتح المجال للحديث عن عدة قضايا تتعلق بها كعلاقات الأفراد داخل الأسرة ،العلاقة بين الأب والأم،العلاقة بين الأبناء ،العلاقة مع المحيط الخارجي ...كل تلك الأمور تسهم بشكل أو بآخر في تكوين شخصية الفتاة.

العلاقة بين الرجل وزوجته ،وخاصة بين الناس رسمية نوعا ما عما هي عليه في الغرب .فتقسيم الوظائف بينهما محدد بدقه ولا يتم تجاهله بسهولة ،فالزوج العربي يقوم بأداء أعمال أقل في المنزل ،ولا يُسمح للأطفال إلا بمقدار ضئيل من حرية التصرف وخاصة بالنسبة للفتيات [114].

---

[110] - STudia islamiqu E-13-Essa Sur la méthode juridique Magribine p 113 ,1944 rabat.

[111] - سلوى الخماش : **المرأة العربية والمجتمع التقليدي المتخلف**،الطبعة الثالثة ،بيروت :دار الحقيقة ،1981،ص 73

[112] - هشام شرابي : **مقدمات لدراسة المجتمع العربي** ، بيروت : الأهلية للنشر والتوزيع ،1981، ص 28

[113] - المرجع نفسه ، ص 29

[114] - مـوروبـيـرجـر : **العالم العربي اليوم** ،ترجمة ،محي الدين محمد ،بيروت ، مطبعة سميا ،1963. ص 124.

وعدم تفهم الرجل لوضع المرأة سواء كانت أختا أو زوجة يجعل العبء عليها أكثر في القيام بكل أعمال المنزل،ويزيد ذلك الضغط إذا كانت المرأة عاملة .فقد تربى الرجل العبي على ألا يساعد حتى بالأعمال البسيطة في البيت .

الواقع أن الأنثى يجري تمييزها عن الذكر بصورة أساسية فهو ،أي الذكر كسب للعائلة ،وهي عبء عليها .والبنت منذ نعومة أظافرها تدفعها العائلة إلى الشعور بأنها غير مرغوب فيها وتعلمها على قبول وضعها كأنثى[115].

من المتوقع إذن أن تلقى البنت أثناء الطفولة اهتماما أقل من الذي يلقاه الصبي .ومن النادر أن تكون مركز الاهتمام الأول في العائلة إذا كان لها أشقاء ولكن هـذا يتيـح لها أن تنمو بحرية أكثر ،وأن تتعلم كيف تواجه المصاعب بنجاح لأنها لا تخضع للضغط نفسه الذي يخضع له الصبي ،ولذلك فهي تميل إلى النضج نضوجا أسرع وتتعلم كيف تواجه مشكلات الحياة بصورة أكثر فعالية من الصبي ،ولعل هذا أحد الأسباب الذي يجعلها تنجح في مجابهة نظام اجتماعي يحاول سحقها باستمرار[116].

إن المرأة في المجتمع العربي قد لا تمثل سوى دور محدود .ولكن أثرها الخفي في العائلة وفي علاقتها مع الرجل كزوجة أو أم أو شقيقة أو جدة هو أثر عميق ،فهناك في المجتمع العربي كما في سائر المجتمعات القائمة على سيطرة الرجل ميل عفوي إلى الإفراط في تضخيم دور الرجل وتقليل من اثر المرأة [117].

منذ البداية تعد الفتاة لمكانة هامشية ولوضعية التبعية للرجل ،إنها في دراستها وفي إعدادها المهني تحرم الكثير من الفرص التي تسمح بتفتح إمكاناتها وطاقاتها وتساعدها على الانطلاق في الحياة أسوة بالرجل .حتى إن دراستهـا هـذه، بعد أن بدأت تذهب إلى المدرسة لا تؤخذ على محمل الجد إنها وسيلة تزيد من قيمتها كزوجة مقبلة ....بينما نرى الأهل يقلقون أيما قلق على دراسة الصبي ويحيطونها بكل الجدية التي تستحقها ،لأنها الطريق إلى المستقبل ،أما الإعداد المهني للفتاة فهو جهد ضائع في نظر الأهل معظم الأحيان ،طالما مصيرها الزواج [118].كل ذلك يؤدي إلى طمس الطاقات الذهنية والفكرية للفتاة وتغييب الفعالية الاجتماعية لها.

التقليل من شأن الفتاة في البيت العربي هو في الحقيقة سلاح ذو حدين ،فيمكن أن يحط من عزيمتها ويثبطهـا على المضي قدما نحو تحقيق ما تصبو إليه ،كما أنه يـُمكـِنها من التحدي وفتح أبواب النجاح والمبادرة حتى تكون أحسن .

الفتاة العربية عندما تـُتـاح لها الفرص التي تتاح لزميلها الشاب تستطيع أن تتفوق عليه في كثير من الأحيان...وقد عاين ذلك الدكتور هشام شرابي في قوله : "قد لاحظت أن طلابي العرب كانوا يطلبون المساعدات فيظهرون بذلك الكثير من الاتكالية في سلوكهم .أما الطالبات العربيات فكن يرفضن المساعدة إلا في الحالات الملحة مظهرات بذلك اعتمادا على النفس واستقلالية تثير الإعجاب"[119].

ليس من السهل أن نرسم ملمحا واضحا لشخصية الفتاة العربية لأنها جزء من مجتمع يسوده التناقض والاضطراب والتغير الدائم والمستمر ،كما أنه يجب أن نضع في اعتبارنا قضية النسبية،

---

[115] - هشام شرابي ،مرجع سابق ،ص 30.

[116] - هشام شرابي ، مرجع سابق ،ص 33.

[117] - المرجع نفسه ، ص34

[118] - مصطفى حجازي ،**التخلف الاجتماعي ... مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور** ،مرجع سابق ،ص 212.

[119] - هشام شرابي ، مرجع سابق ، ص 89.

فشخصية الفتاة تختلف من أسرة إلى أخرى .لكن هناك طابعا غالبا يميز الفتاة في المجتمع العربي وهو الخضوع والخنوع وشعور نسبي بالنقص وبالحاجة إلى الآخر سواء كان أبا أو أخا أو زوجا وهذا ليس عيبا بقدر ما هو ميزة تميز الفتاة العربية لكنه يتحول إلى خلل ونقص إذا بالغنا في إشعار الفتاة والمرأة عموما بذلك الشعور وحاولنا نعتها بكل تلك الأوصاف التي ربيناها عليها نحن . بشكل عام يجب استثمار صفات الفتاة العربية وتحويلها إلى نقاط قوة بدل نقاط ضعف .

3-1 تربية المرأة العربية :

من خلال هذا العنصر الإجابة على سؤالين محددين هما : * كيف تربت المرأة أو على ماذا نربي المرأة ؟ وهنا نثير قضية تعليم المرأة كجزء من تربيتها . * ما هو الأثر الذي تتركه تلك التربية على شخصية الأولاد ؟

التربية هي العمل المستمر الذي تتوسل به النفس الإنسانية إلى طلب الكمال وهذا العمل لا بد منه في جميع أدوار الحياة حيث يبتدئ من يوم الولادة ولا ينتهي إلا بالموت .ومع كل تلك المزايا الجليلة للتربية ومدى أهميتها ،وذلك الرقي الذي يمكن أن تحققه للإنسان على كل المستويات مع ذلك لا يزال الناس في وطننا العربي يعتقدون أن تربية وتعليمها غير واجبين بل إنهم يتساءلون هل تعليم المرأة القراءة والكتابة مما يجوز شرعا [120].

وللأسف وفي الوقت الحالي نجد هذه النماذج منتشرة والذين يعارضون تعليم المرأة بشدة والتزمت وهذا منتشر بكثرة في بعض القرى في منطقة وادي سوف وهذا ما تبين لي من خلال الزيارات الميدانية التي قادتني إليها في إطار الدراسة الميدانية.

وفي ذلك السياق قصَّ علينا الكاتب قاسم أمين حكاية وقعت له شخصيا : " وأتذكر أني أشرت يوما على أب وقد رأيت معه بنتا بلغت من العمر تسع سنوات أعجبني جمالها وذكاؤها ،بأن يعلمها فأجابني :(وهل تريد أن تعطيها وظيفة في الحكومة ؟) فاعترضت عليه قائلا : (وهل في مذهبك لا يتعلم إلا الموظفون ؟) فأجابني :(إني أعلمها جميع ما يلزم لإدارة منزلها ولا أفعل غير ذلك) قال هذا على وجه يشعر أنه لا يجب المناقشة في رأيه. ويعني هذا الأب العنيد بإدارة المنزل أن بنته تعرف شيئا من صناعة الخياطة ،وتجهيز الطعام وما أشبه ذلك من المعارف التي لا أنكر أنها مفيدة بل لازمة لكل امرأة ،ولكني أقول أنه مخطئ في توهمه أن المرأة التي لا يكون لها من البضاعة إلا هـذه المعارف يوجد عندها من الكفاءة ما يؤهلها لإدارة منزلها[121]. فمعرفة أمور المنزل مهمة لكل فتاة فعليها في كل الأحوال أن تتقنها فهي ضرورية لها،وتلك الأمور لا تحتاج الذكاء بقدر ما تحتاج إلى إتقان لذا توجب على الفتاة أن تقبل على الحياة وتنمي استعداداتها وقدراتها.

المجتمع الذكوري العربي يكرس وجوده لمراقبة المرأة وخنقها بالعادات والتقاليد ،فها هو أحد الباحثين يصف عبء المرأة في أحد المجتمعات الريفية تحديدا يقول : " الفتاة تنشأ في أسرنا وكلنا نشعر بمدى مسؤوليتنا تجاهها ومدى حرصنا على سلامة سلوكها حتى الصغير في إخوانها يراقبها ويرى فيها عارا لديه لا بد من المحافظة عليه (...) كما أن الجميع ينتظر موعد زواجها ليلقي عن كاهله بحملها إلى كاهل الزوج المرتقب في الوقت الذي لا يعاني الشباب فيه أدنى شئ من ذلك [122]".

وإذا بقيت المرأة في تلك الوضعية المزرية والتي تعبر عن جزء من الواقع المعيش إلى حد بعيد سواء في الماضي أو الحاضر ،فإنها ستُحرم من خير كثير ولن تستفيد من العمل الحقيقي للتربية .

---

[120] - قاسم أمين ،مرجع سابق ،ص 17

[121] -المرجع نفسه ،ص18

[122] - عبد الإله جدع :**خطايا الحب والزواج** ،الدار السعودية للنشر والتوزيع ،جدة ،1986، ص 9

" فعمل التربية يتجه لإثارة الشعور بواجبات الحياة والانتفاع بمزاياها وتمرين المواهب الإنسانية المادية والمعنوية في الفرد والمجتمع للقدرة بنفسها على استثمار الحياة "[123].

إننا نربي المرأة على الشعور بانكسارها وذلها...فتشعر هي بضرورة التجائها للرجل تعيش تحت جناحه يطعمها ويكسوها...من أجل ذلك اختصت دونه بالندب والنياحة عليه عند فقده .وهو مقابل ذلك يشترط عليها أن تحتجب عن الحياة حرصا على أنانيته فيها وخوفا من أوهامه المتعاقبة ..هذا كله لا يعتقد في طهارتها إلا بقدر ما يشتد في مضايقتها وهو مع ذلك يعلن أنه مغلوب المرأة وفريسة كيدها العظيم[124] ...وكيف يمكننا بعد هذه التربية الخاطئة أن نطلب منها أو نأمل أن تكون أما صالحة في ذاتها ولأولادها؟.

و أخص ما تمتاز به المرأة أيضا هو إغراقنا في بث خلق الحياء الذي نربيها عليه : الحياء الذي بلغ بها درجة الخجل الدائم الذي كثيرا ما نراه يحجبها حتى عن محارمها كأبيها وأخيها الكبير وعمها وخالها ،وكل كبير في العائلة فهم لا يرونها و هي لا تراهم إلا خلسة ومثل هذا يتلف الثقة بالنفس في كل أعمال ومواقف الجد التي تتطلب الإرادة والصراحة حتى لتضعف المسكينة عن النطق بكلمة الرضى أو عدمه في أمر يتعلق بمصيرها ...كزواجها من فلان الذي اختير لها...وهي بهذا الضعف تضغط على عواطفها الخافقة إذ تكون بين أفراد الأسرة حتى لا تهتف لزوجها القادم إليها لأن ذلك ينافي خلق الحياء الذي تفهمه العائلات عندنا كل ذلك يجعل الفتاة تتميز بالسذاجة وبعدها عن الحياة[125].

ذلك الفهم الخاطئ لمعنى الحياء وقدسيته كخلق إسلامي رفيع من شأنه أن يرفع المرأة إلى مراتب الرقي والحضارة بدل ذلك يجعلها تنزلق إلى مهاوي التخلف والسلبية ،تلك الرؤية والفهم الخاطئ تسري حتى على بعض الأخلاق والقيم الأخرى نفقدها معناها ونتوه عن دورها الفعال عندما نضعها في فعل التربية عندنا.

بعد أن تطرقنا إلى عملية التربية التي تحظى بها المرأة العربية سنتحدث الآن عن التعليم كمحور مهم في إطار الإعداد النفسي والاجتماعي الثقافي... للمرأة ،وباعتباره جزء لا يتجزء من عملية التربية بشكل عام.

التعليم حاجة الإنسان الكبرى في الحياة .ويجب أن يكون شائعا بين جميع أفراده بقدر ما لهم من المواهب والاستعداد للانتفاع به.فبقدر ما امتازت الحياة الإنسانية بالفكر بقدر ما تشعبت وجوهها وزادت حاجاتها بفعل التطور المطرد[126]. لذلك كانت المرأة ولا تزال أحوج ما تكون إلى ذلك التنوير الذي يفتح لها آفاق المعرفة بكل أشكالها حتى تستطيع أن تجابه الحياة بكل ما يجري فيها من مواقف.

يجب أن تعرف المرأة أصول دينها وتاريخه ،ولغة قومها وتاريخ بلادها ...على الوجه الذي يبث فيها الحياة ...يجب أن تتعلم المرأة العلوم الرياضية والطبيعية حتى يثقف عقلها بالمنطق ومعرفة الأشياء على حقيقتها ،فإذا أنارت المعرفة قلبها واهتمت نفسها بأهم الأشياء فلا تعود تنظر إلى ما دون ذلك من سفاسف الأمور والأوهام[127].

---

[123] - الطاهر حداد ، **امرأتنا في الشريعة والمجتمع** ، دار المعارف، تونس ،1992، ص 212

[124]- المرجع نفسه ، ص 212

[125] - الطاهر حداد ،مرجع سابق ، ص127

[126] - المرجع نفسه ، 205

[127] - الطاهر حداد ،مرجع سابق ، ص 206.

فإذا تعلمت المرأة القراءة والكتابة ،واطلعت على أصول الحقائق العلمية وعرفت مواقع البلاد وأجالت النظر في تاريخ الأمم ،ووقفت على بعض المعارف التقنية ،كانت حياة ذلك كله في نفسها...واستعد عقلها لقبول الآراء السليمة وطرح الخرافات والأباطيل التي تفتك الآن بعقول النساء [128].

ويمكننا أن نتصور الأهمية التي تمثلها المرأة في تطور المجتمع وركوده،وأهم من ذلك بالنسبة إليهن الإمكانية الجديدة المتاحة لهن للحصول على المعرفة واستغلالها والعمل في الحقل المعرفي ،دون الجهل بالقدرة المرتبطة بها .عندما يخرج دور المرأة من طور السلبية أو على الأقل كما يبدو ،ويصبح ايجابيا ومؤثرا في المواقف والمفاهيم التي كانت في الماضي جامدة[129]. هـذا الحديث دليل على مدى تأثير المرأة في المجتمع وكيف أنه يمكنها أن تكون المؤشر الذي نعرف به تطور أو تخلف المجتمع.

على كل حال يجب أن تتعلم المرأة كل المعارف التي من شأنها أن تفيدها في إدارة منزلها أو خارج بيتها ،ويكون لها حظ من الثقافة العقلية والأخلاقية والتربوية ...حتى تتفطن للكثير من الأمور التي لا يمكن للجاهل أن يدرها أو يعيرها أدنى اهتمام ,فالمرأة هي في النهاية نصف المجتمع وإذا كانت جاهلة فكيف ستنشؤ نصفه الآخر؟!

يجرنا الحديث عن تعليم المرأة إلى موضوع تنشئة وتربية الأطفال ،فالتعليم ليس مرتبط فقط بالمرأة العاملة ،فربة المنزل أحوج ما تكون إلى قدر وافر من العلم فهي ستكون مربية ومعلمة في بيتها وتلك رسالة مقدسة ومهمة صعبة لا يتسنى للجميع القيام بها .

فالمرأة هي أول من يقوم للأطفال في وقت هم فيه أوفر مرونة وأكثر قابلية لانطباع ما يتلقونه من خير وشر[130].

إن تربية الطفل لا تصلح إلا إذا كانت أمه مرباة ،فالولد ذكر كان أو أنثى لا يملك صحة ولا خلة ولا ملكة ولا عقلا ولا عاطفة إلا عن طريقين : الوراثة والتربية،فالولد يرث عن أمه قدر ما يرث من والده ...و إن تأثير الأم في تربية الطفل بعد ولادته أعظم من تأثير الأب[131]).فالمرأة تقع على عاتقها المسؤولية الأكبر في هذه المهمة الجسيمة لذلك يجب أن تُوفَر لها كل المعارف اللازمة لذلك :من ثقافة نفسية تدرك من خلالها كيف تتعامل مع أبنائها وتعرف دوافع سلوكاتهم ،ومن ثقافة وحس اجتماعيين يمكنانها من إدخال أطفالها الحظيرة الاجتماعية بكل ما تحمله من أوجه ايجابية وسلبية وتناقضات حياتية، تعطيه مفاتيح التعامل مع كل ذلك ،من هنا تظهر الأهمية القصوى للجانب المعرفي لـــدى الأم .

إن تربية الطفل تربية سليمة وجيدة من شأنها أن تحقق الرقي والتقدم ليس للأسرة فحسب بل لكافة المجتمع . فالرقي ليس شيئا يكتسب فقط من خلال الدراسة والممارسة ،بل قبل ذلك تغرس أسسه من خلال تربية الطفل وإعداده للحياة [132].فكل ما تمر به المرأة في حياتها يرسم بدوره ملمح الطفل .

4-1 ملامح وضعية قهر المرأة :

---

[128] - قاسم أمين ،مرجع سابق، ص 19.

[129] - ريطا الخياط ،مرجع سابق ،ص 21.

[130] - الطاهر حداد ،مرجع سابق ،ص 208

[131] - قاسم أمين ،المرجع السابق ,ص 79.

[132] - مصطفى حجازي : **التخلف الاجتماعي ... مدخل الى سيكولوجية الإنسان المقهور** ،مرجع سابق ،ص 207.

عندما نقول ملامح القهر فهي إرهاصات ومقدمات لوضعية معينة ،فهذا القهر ما زال لم يتجذر بطريقة تجعل من الصعب علاجه أو التخفيف من حدته . فوجود ملامح هو مؤشر قوي لإمكانية علاجه ،وفي نفس الوقت تلك الملامح من الممكن أن تنمو وتزيد إذا غفلنا عن معالجتها.

يمكن تعريف القهر أنه حالة نفسية اجتماعية ،يتربى عليها الشخص فتحدث في نفسه شرخا أو خللا نفسيا ،يحاول إسقاطه على علاقاته الاجتماعية من خلال تعاملاته اليومية. يتناسب القهر الذي يفرض على المرأة مع درجة القهر الذي يخضع له الرجل في المجتمع ...كلما كان الرجل أكثر غبنا في مكانته الاجتماعية،مارس قهرا أكبر على المرأة[133].فالرجل الذي يتعرض للقهر أول ضحاياه المرأة ،وكما يقولون "فاقد الشئ لا يعطيه" ؛فالذي لم يتعود أو يتربى على المعاملة الراقية والحضارية مع كل الناس بما في ذلك المرأة ،لا يمكنك أن تلقنه ذلك في يوم أو شهر أو حتى سنة .

وتختلف معاناة المرأة من القهر من وسط إلى آخر ،فالمرأة في المجتمعات الريفية تعاني من إشكاليات قد لا تعانيها المرأة في الأوساط المدينية ،ذلك لأن لكل فئة أو شريحة اجتماعية اشكالياتها الخاصة المترابطة في السياق العام مع البنية الاجتماعية العامة المحددة بالبنية الثقافية والاقتصادية السائدة متجلية بأشكال محددة من الوعي الثقافي الاجتماعي [134].

ويظهر القهر بصورة مبالغ فيها في الأوساط الكادحة ؛فهناك تحديد وتوزيع للأدوار بين الرجل والمرأة في هذا الوسط .كل من الرجل والمرأة يتمم الآخر وظيفيا مما يسمح له بشئ من التوازن الحيوي في هذا الوسط فالتوزيع يتمحور أساسا حول الدفاع ضد وضعية القهر التي يرزح تحتها الإنسان الكادح،من خلال تعزيز وتضخيم مكانة الرجل .بعد أن تتحمل المرأة كل المهانة وتتحول إلى المعبرة على العجز والقصور[135].

فهناك مبالغة واضحة في قوة الرجل وذكوريته ومكانته ،وهناك مبالغة في إسقاط القدرة على المجابهة والتصدي عنده وهناك مبالغة في تقدير مدى تحمله وعدم شكواه .وهناك مبالغة في قدرته على كسب الرزق وتدبير أحوال الأسرة (أسطورة الرجل الذي ينتزع اللقمة من فم السبع).وهناك مبالغة في عدوانيته،فورات غضبه .سلوكه الهجومي من ناحية،وشجاعته وقدرته على التحمل من ناحية ثانية..وهذا فيه إنكار لمظاهر الضعف والعجز وقلة التدبير عنده[136]).وهذا يناقض الطبيعة البشرية التي فطر الله الناس عليها كما جاء في قوله تعالى : (وخلق الإنسان ضعيفا)[*].فالإنسان ليس دائما في كامل قواه وحالاته الجيدة فتعتريه حالات من الضعف والنقص يحتاج فيها لمساعدة الآخرين .وإنكار الضعف على طبيعة الرجل يحمِّلُه أعباءا أكثر فوق طاقاته فهو في نظر المجتمع ذلك الشخص الذي لا يمل ولا يكل ولا يضعف لأنه ببساطة رجل .وهذا تقدير خاطئ لطبيعة الرجل والمرأة على حد سواء.

وحتى يتم شحن الرجل بالقوة أو وهمها وبالقدرة أو تخيلها،حتى يتم تحويله إلى أسطورة...لا بد من إسقاط الضعف والهوان على المرأة وهكذا تلعب دور القاصر التابع الذي يحتاج إلى وصي ،تلعب دور العاجزة التي ليس لديها القدرة على تقرير المصير سوى الرجاء والتمني من ناحية ،والشتم وصب اللعنات من ناحية ثانية [137] .

---

[133] - مصطفى حجازي : **التخلف الاجتماعي ... مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور**،مرجع سابق ،ص 202.

[134] - motaz 1123 @ gmail . com

[135] - مصطفى حجازي : **التخلف الاجتماعي ... مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور** ،مرجع سابق ،ص 203.

[136] - مصطفى حجازي : **التخلف الاجتماعي ... مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور** ،مرجع سابق ،ص 203.

[*] سورة النساء الآية 28.

[137] - مصطفى حجازي : **التخلف الاجتماعي ... مدخل الى سيكولوجية الإنسان المقهور** ، مرجع سابق ، ص 204.

فالمرأة برضاها بذلك الوضع أسهمت في تأسيس هذه النظرة السلبية ،وأدخلت نفسها في تناقض، فهي مع عدم رضاها بذلك الوضع إلا أنها في الوقت ذاته تدعم ذلك الوضع.
كل ذلك التناقض والتعارض بين الرجل والمرأة ينعكس سلبا على الأسرة،فبدل أن يكون هناك تكامل للأدوار بين الزوجين يحدث صراع دائم وتناقض بين انكسار وشعور بالنقص والضعف وبين جبروت وقوة لا تقهر .يحتل الرجل مركز القوة والثقل بمقدار ما تتحول المرأة إلى مركز الضعف والمهانة،فكل يلعب دوره المقرر له وكأنه لم يخلق إلا له،وكأن هذا الدور جزء من طبيعته ،فعندما تختل الأدوار يصاب توازن الأسرة في الصميم[138] .
يتواصل ذلك القهر ويلعب دوره السلبي على الأبناء ،بما فيهم البنت ؛ فهي تستقبل حين تولد بالتذمر والتبرم والضيق إذ لم تُستقبل بالرفض الصريح ،وهي توضع كطفلة في مرتبة ثانوية أو هامشية بالنسبة للصبي ...وهي تتحول إلى خادمة للأخوة والأب حين تستنزف طاقة الأم .وهي تستخدم كأداة لتمرس أخوتها ببسط النفوذ الرجولي من خلال الوصاية وبزعم الحماية لها[139].
وفي ظل هذا الوضع المتأزم هناك الكثير من الفتيات اللاتي يعانين في صمت من التسلط الجائر من قبل الأخ الكبير والصغير والأب ....الخ،ترضى البنت بهذا الوضع ويصبح عندها أمرا عاديا وطبيعيا وهذا ما يجب أن يكون خاصة إذا كان حظها من التعليم قليلا لا يرسم عندها ملامح الوعي التي تفتح عقلها وتفطنها لأمور كثيرة .
ذلك القهر يُحْدِث عند الفتاة نوعا من إنكار الذات الذي كرسته الأسرة ،فأساس التربية النفسية السليمة غرس قيمة **تقدير الذات** لدى الأبناء منذ نعومة أظافرهم ؛ يشير مصطلح تقدير الذات :" إلى القيمة التي يقدرها الفرد لذاته وتقدير الفرد لذاته ما هو إلا انعكاس للصورة التي كونها الآخرون عن شخصه .وبذلك فتقدير الشخص لذاته يتعلمه الفرد من خلال تفاعله مع الآخرين وانطباعاتهم عنه في مواقف التفاعل فالقيمة التي يقدرها لذاته هي القيمة التي يعتقد أن الآخرين قد قدروها لشخصه"[140].
وقد وجد فرانك مياهوت Sanford Dornbusch ، سنفورد درونبيش Frank Miyamoto, علاقة ايجابية مرتفعة بين تقدير الشخص لذاته وتقدير الآخرين لذاته،فوجدا أن الأفراد الذين أعطوا تقديرا أكبر لذواتهم هم الذين حصلوا على تقدير أكبر لذواتهم من تقدير الآخرين لهم [141].إن حرمان الفتاة من ذلك الشعور وعدم تعزيزه لديها بالقدر الوافي يُكَون لديها أزمات نفسية يصعب تجاوزها تؤثر على مسار حياتها فيما بعد .
العقلية الذكورية في التاريخ كانت هي العقلية الثقافية المهيمنة على المجتمع ،وغابت في المقابل عقلية المرأة المؤثرة [142].
تطرح مشكلة المرأة بكل حدتها ،نظرا لما تتميز به الطبقة المتوسطة عن غيرها من مرونة وتطور وسير في اتجاه التغيير،هذه الفئة هي التي تعي مشكلة المرأة...حيث تفرض على المرأة وظائف ثابتة فقد أتيح للمرأة في الفئة المتوسطة أن تخرج من سجنها التقليدي ،وأن تأخذ قسطا من العلم ،وأن تبدأ حياة منتجة،وتشارك الرجل الأعباء والمسؤوليات داخل الأسرة وخارجها كما أن

---

[138] - المرجع نفسه ، ص 204.

[139] - مصطفى حجازي : **التخلف الاجتماعي ... مدخل الى سيكولوجية الإنسان المقهور** ، المرجع السابق ،ص 205

[140] - سميرة أحمد ،مرجع سابق ، ص 144.

[141] - Sanford Dornbusch ,Frank Miyamoto A test Interactinist Hypothesis of Self conception, American journal of Sociology .61:399-403 March 1956.

[142] - عبد الله الغذامي :**ثقافة الوهم مقاربات حول الجسد والمرأة واللغة** ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،1998،ص 38.

الرجل من ناحية بدأ يعي وضعية المرأة الفعلية وأهمية مشاركتها وضرورة نمو شخصيتها وبناء كيانها الذاتي كشرط لارتقائه هو بدوره .إذ لا يمكن مطلقا أن يرتقي الرجل بمفرده ودون المرأة ،مهما دلت الظواهر الخارجية على العكس[143].

فالرقي مسألة حضارية يتعاون فيها أفراد المجتمع رجالا ونساءا ،ولا يجب أن يتم التفريق بينهما خاصة في إطار العمل على كافة المستويات الذي من شأنه أن يحقق ذلك الرقي.

مهما بدا ذلك الوعي تجاه المرأة إلا أن وضعية القهر لا يمكن القضاء عليها في لحظة فهي وليدة ظروف معينة مر بها المجتمع النامي ، وهذه الفئة في المجتمع النامي مازالت تعاني الكثير من رواسب الماضي وذلك عند كلا الجنسين على حد سواء والصفة المميزة هي الاختلال في توزيع الأدوار وغموض المكانة لكل من الرجل والمرأة ،فالمرأة تتوق إلى الانطلاق وتعي ضرورته لها وحقها فيه والرجل يتوق أيضا إلى الانطلاق له ولقرينته ولكن كلاّ منهما مازال أسير قيود تكبله من الداخل وفي أساس بنية شخصيته...فالمرأة تريد أن تنطلق ولكنها لا تجرؤ على طرح قضيتها جذريا .والحق يقال إن الرجل لا يشجعها على هذا الطرح الذي يضعه هو في المقام الأول موضع التساؤل [144].

تتعرض المرأة للكثير من أنواع الاستلاب التي يمارسها الرجل و المجتمع ،تؤثر فيها أيّما تأثير سواء على شخصها أو على من تقوم بتربيتهم .

ومن أبرز أشكال الاستلاب وأخطرها على الإطلاق هو الاستلاب العقائدي لأنه يتعلق مباشرة بالمنظومة الفكرية للأفراد ،والمقصود بالاستلاب العقائدي هو الذي تتبنى المرأة من خلاله كل الأساطير والاختزالات[*] التي يحيطها بها الرجل ،وهو أن تقتنع المرأة بدونيتها تجاه الرجل،وتعتقد جازمة بتفوقه وبالتالي بسيطرته عليها ومن جهة أخرى توقن المرأة أنها كائن قاصر ،جاهل ثرثار،عاطفي لا يستطيع مجابهة أي وضعية بشئ من الجدية والاستقلالية ،وهي بالتالي لا تستطيع الاستقلال وبناء كيان ذاتي لها [145].

الاستلاب العقائدي هو في النهاية اعتقاد وتصور تربت عليه المرأة في مجتمعنا تقتنع به حتى يصبح لديها عادة فكرية ومن وتُترجم إلى سلوكات وممارسات يومية .

من خلال ذلك الاستلاب يصل القهر أقصاه ،لأن المرأة تعتز عندها مظاهر قهرها،فهذا الاستلاب يطمس إمكانات الوعي بوضعها ويطمس الرغبة في التغيير..وهكذا تفتح أبواب استغلال المرأة على مصرعيها ،وتكون هي المتواطئة الأولى على مصالحها الحقيقية[146].

الاستلاب هو نوع من أنواع الاستبداد الثقافي والفكري وهو: " أن يقع المرء أسير أفكاره أو حبيس أصوله وثوابته ،وأن يتعامل مع المرجعية الفكرية كسلطة مطلقة لا تخضع للجدل والمساءلة أو يتصرف إزاءها بمنطق التسليم والطاعة ،يكمن أساس الاستبداد في فقدان المرء حريته الفكرية إزاء شخص أو نص أو حدث يجري التعامل معه كأصل ثابت أو كمرجع مطلق ،أو كرمز مقدس" [147].

---

[143]- مصطفى حجازي : **التخلف الاجتماعي ... مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور** ،مرجع سابق ،ص 204

[144] - المرجع نفسه ،ص207.

[*] -

[145] - مصطفى حجازي : **التخلف الاجتماعي ... مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور** ,مرجع سابق ,ص217

[146] - المرجع نفسه ,ص218.

[147] - علي حرب :**أين نحن من قضية الكواكبي** ، المنامة : مركز الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة للثقافة والبحوث ،2002 ، ص

المهم أن الاستلاب العقائدي للمرأة ،وما يتـلقـاه من تعزيز دائم من الخارج ومن الذات في آن معا ،يحكم عليها بالبقاء رهينة وضعية القهر ،لا هي تعيها،ولا هي تقبل أن تغيرها ،إنها تمسك بها باعتبارها طبيعة الأنثى وقدرها.وينعكس ذلك لا محالة على التغيير الاجتماعي بأكمله فيحبكه لا محالة فلا تطور ولا تقدم للمجتمع دون تغيير وضعية المرأة[148] .

تبدي المرأة مقاومة ضد ذلك القهر،تتعدد أشكال مقاومتها لقهر بطرق مشروعة وغير مشروعة كرد فعل على الوضعية التي تعيشها .فوضعية القهر التي تُفرض على المرأة في المجتمع المتخلف ولا تترك لها من سبيل سوى التمرد والصراع أو الاستكانة التي هي أسوأ من التمرد لأنها تتخذ طابع التوافق الزائف[*] بين الرجل والمرأة ،فكل توافق ليس معافى بالضرورة [149].

كما أن المرأة تمارس نوعا من السيطرة الخفية على الرجل ؛فتستغل ضعفها الظاهري كسلاح للتمويه عن قوتها الضمنية وتحس لذلك بأحاسيس الانتصار التي ترضيها .توهم الرجل أنه هو الذي يمتلك زمام الأمور،كي تحركها هي تبعا لرغباتها بشكل خفي ،سلاح الضعف تستخدمه المرأة حتى تضع الرجل في موضع الضعف ولذلك تجد في استعمال هذا السلاح متعة خاصة ،وقد تبالغ في ذلك أي مبالغة [150].

كل تلك الأسلحة التي تستخدمها المرأة هي في حقيقة الأمر غير مؤثرة ولا مجدية بالشكل الكافي، فهي بمثابة المخدر الذي يذهب تأثيره بمجرد انتهاء مفعوله ،ومادامت وسيلة المقاومة غير مشروعة وفيها الكثير من التمويه والمغالطة فالغاية منها ليست بالضرورة تكون ايجابية .

5-1 طقوس الشعوذة كممارسة نسائية في الوسط الشعبي :

يرتبط الاعتقاد في السحر بالنساء أكثر من ارتباطه بالرجال ،لأسباب منها الاعتقاد الخاطئ بأن المرأة هي الأضعف ظاهريا والساعية دوما لتعويض هذا النقص والضعف باللجوء إلى قوة خفية تعيد لها حقا مسلوبا أو تدفع بطشا مؤكدا أو تمكنها من الانتقام باستخدام هذا السلاح الخفي.

أعمال السحر والشعوذة والتنجيم تتعاطاها جل الطبقات الاجتماعية في المجتمع العربي بالرغم من أن الإسلام حرم كل تلك الأعمال ،فتلجأ المرأة إلى أعمال السحر إذ تستعملها كسلاح في علاقتها النزاعية مع الرجل ،حتى تحصل من خلال السحر عما لم تتمكن من الحصول عليه عن طريق التحاور معه وتحسين العلاقات [151].

لقد أوضح مالينوفسكي [152]وظيفة الجبروت (وتعويض النقص) في السحر بجلاء حين قال : انه السحر لا يوجد أينما كان العمل مأمونا ومضمونا ،ويمكن التحكم فيه والحصول على النتائج المرجوة بالخبرة والمعرفة والمهارة ...بينما يتم الالتجاء إلى السحر عن غرض،ويفصح عن حاجة..انه رد فعل لشعور الإنسان بقصوره وقلة حيلته في عالم لا يستطيع التحكم بظواهره.

---

148 - مصطفى حجازي : **التخلف الاجتماعي ... مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور** ،المرجع السابق ،ص219.

* - قد لا يكون ذلك التوفق زائفا بقدر ما هو حل يضع العبء على أحد الزوجين لكنه يخفف المشاكل وهناك مثل شعبي دارج :" كان لقيت زوز متفاهمين راهو الدرك عن واحد " ؛ و الدرك هنا بمعنى التنازل وتحمل الآخر اتقاءا للمشاكل

149 - مصطفى حجازي : **التخلف الاجتماعي ... مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور** ، مرجع سابق ،ص222.

150 - المرجع نفسه ،ص225.

151 - ريطا الخياط ،مرجع سابق ،ص 34.

152 - Malinowski ,Myth in Psychology .London ,Kegan Paul,1962,P110.

فالسحر يوجد في حالتين :في حالة الجهل بالنتائج ،وفي حالة الجهل بالأسباب .لذلك قيل في تعريفه " التماس للإنسان للنتائج من غير أسبابها " [153].

ولذلك نجد أن هناك إقبالا كبيرا من طرف عامة الناس على أعمال السحر والشعوذة ،وان كان يشيع ارتباط النساء أكثر بالسحر وخاصة في أمور الزواج .

ارتبط السحر عند المرأة بأمور الحب والزواج ،وتستعين بعض النساء بالدجالين والمشعوذين لتحقيق أغراضهن ،فان تحقق مرادهن بمحض المصادفة ازداد يقينهن وثقتهن في تلك الوسيلة وإذا لم يحدث المراد لا يعدمن حيلة في تجربة غيرها دون كلل أو مل .ومن العجب أن الأمر لم يعد مرهونا بالجهل والتخلف ففي أحوال كثيرة نجد أخريات على درجة من العلم والثقافة يسلك ذات الدرب المتخلف [154].

ذلك التخلف يمكن أن تكون له مبررات نفسية واجتماعية ،فيعبر لجوء المرأة إلى السحر نوع من التنفيس عن ما تعانيه من ضغوطات نفسية واجتماعية يمارسها المجتمع على المرأة التي فاتها قطار الزواج فلا تعدم حيلة ولا وسيلة لعلها تجد الحل الذي يخفف عنها ذلك الضغط ،وان كانت في قرارة نفسها ليست على يقين من جدوى ذلك السحر.

للسحر إذا وظيفة نفسية في استجلاب الحظ والنجاح، أو إبعاد الخطر والشر،فالسحر هو تحقيق للرغبات عزيزة المنال ودرء للمخاوف وسد للثغرات في قصور الحيلة [155].

نزوة السيطرة هي إذا المصدر النفسي لقوة السحر .لذلك فان عنصر القوة والبراعة هام فيه .فهناك قوة الساحر المضخمة بشكل مفرط،التي تبهر طالب السحر وتحوز إعجابه ،وتمكنها من السيطرة على الشخص المسحور الضعيف الذي لا قبل له بمقاومة تأثير السحر والساحر .فالعلاقة بين الساحر والمسحور وطالب السحر هي دائما علاقة قوة خارقة ،يقابلها رضوخ قلق عند المسحور،وإعجاب مفرط وأمل كبير عند طالب السحر..إذ من خلال طلب السحر يتماهى الساحر بالقوة الاستثنائية ويتخذها حليفة له،ما يعطيه الوهم بالسيطرة الخرافية على المصير [156]. فطالب السحر بهذه الطريقة يجب أن يلغي عقله ويغلق كل مساحات التفكير لديه،لأنه لو استخدم عقله حتى بشكل بسيط بانت له حقيقة تلك الأمور التي يدفع أمولا طائلة لعلها تأتي بنتيجة.

يرتبط الحسد بالسحر ،فالحسد أحد مسببات السحر فإذا تمكن الشعور بالحسد من الإنسان تجاه الآخرين فانه يحاول البحث عن طرق ترضي رغبته وتشفي غليله من الإنسان المحسود[157].

يجد المحسود في الحسد تفسيرا لظواهر فجائية من نوع النكبات التي تلم به ،وهو تفسير ينال الرضى عند المحسود إذ يسمح لعدوانيته أن تتفجر بدون رادع ،متخذة طابع الدفاع عن النفس من شر الحاسد الذي حسده.فالحسد هو إسقاط الرغبة الذاتية الدفينة في سلب الآخر مما يتمتع به من حظ [158].

والعين هي الأداة الأساسية للحسد (ضربة عين أو الإصابة بالعين)،فالعين الشريرة تدمر كل ما تحسده كي تمتلكه .ومن هنا الاعتقاد بخطورة نظرة الحاسد وقوتها التدميرية ،إذ تكفي نظرة واحدة ملؤها الرغبة في الامتلاك كي تحل المصيبة بالموضوع المحسود .ولذلك يخفي هذا الأخير ما

---

153 - مصطفى حجازي : **التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور** ،مرجع سابق ، ص 154.

154 -

155 - مصطفى حجازي : **التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور** ،مرجع سابق ، ص 154.

156 - مصطفى حجازي : **التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور**،مرجع سابق ،ص 155.

157 - المرجع نفسه ، ص 152.

158 - المرجع نفسه، ص 152.

يخشى عليه من العين (إخفاء الصبي المولود حديثا موفور الصحة والجمال ،إخفاء المتاع والأثاث،التكتم على الثروة..) [159]
وهناك العديد من الرقى التي تحمي من العين تختلف نصوصها وطقوسها باختلاف البيئات .مثلا بشيع في مصر بين الأوساط الشعبية رد مرض الطفل إلى تأثير الحسد .ولذلك تقام طقوس سحرية لإبطاله تتلى خلالها التعويذة التالية :" امباس امباس ،لحطك يا عين في قمقم نحاس .رقيتك واسترقيتك من عيون الناس .قايلها سيدنا سليمان في وسع الجبال قال لها (رايحة فين؟) قالت له : رايحة للي حبا ودبا ،إلي عرف الأم من الأب ،أديه بريشة من كتافيه ،أخلي أمه وأبوه يبكو عليه " قال لها :" خزيتي لحطك في قمقم نحاس أسبك عليك الزئبق والرصاص"[160].
تلك التعاويذ والرقى توفر نوعا من الراحة النفسية والطمأنينة للمحسود ،فمجرد تلاوتها يكون قد قطع نصف لطريق للشفاء من العين وهي حالة نفسية أكثر منها حقيقة واقعية .
ما يجب التنبيه إليه أن السحر والحسد والعين كلها أمور لها أصل شرعي ،لكن مكمن التخلف في تعاملنا معها والمبالغة في أثرها و إظهار عجز الإنسان التام أمهامها بشكل يجعله يستسلم ويرد كل أموره إلى شر الحاسد والسحر ،فينفي عن نفسه أية مسؤولية أو إرادة في مجابهة واقعه وما يواجهه من مواقف.
يبدو لنا من خلال كتابات المفكرين عن قضية المرأة ،أن العلاقة بين الرجل والمرأة هي علاقة صراع واثبات وجود أحدهما على حساب الآخر ،مع أن العلاقة إذا تمعنا فيها جيدا وأرجعناها إلى إطارها الطبيعي نجدها في حقيقتها وجوهرها علاقة تكامل وتواصل،فمن الصعب أن نتخيل مجتمعا دون نساء أو دون رجال،فهذه سنة الحياة بين الرجل والمرأة التي بنيت في الأصل على المودة والرحمة في منظومة متكاملة اسمها الأسرة .و إذا نحن ابتعدنا أو لم نفقه المعنى السامي لتلك العلاقة وما يحفها من مودة و رحمة فثم مكمن الخطر ونواة كل المشكلات التي تُثَار عن والمرأة والرجل على حد سواء.

ب- العـــمـــــــل

1- نمط التربية وعلاقته بسلوك العمل في المجتمع العربي :

العمل باعتباره مظهرا من مظاهر السلوك البشري فهو يكتسب صفات ذلك السلوك،فهو استعداد فطري تغذيه وتنميه عملية التربية و يستمد قوته ومكانته من المحيط والبيئة الخارجية (الفيزيقية ،الاجتماعية ...الخ).لذلك تكون التربية ذو اتجاهين سلبي بتثبيط ذلك السلوك ،أو ايجابي بتعزيزه ودعمه دائما .
لفت الدكتور عبد الله شريط انتباه المرأة العربية إلى نوع التربية الذي تتبعه في تربية أبنائها الذي لا يخلو من الدلال والحماية الزائدة ؛فيقول : " أنت تفهمين التربية على أنها تعويد الأبناء على الطاعة والامتثال وخصوصا تعويده على أن يعولوا عليك في كل شئ في إحضار الطعام وإحضار الدواء وتذويبه وإعطائه جاهزا لابنتك الصبية...ولا شك أنهم يقضون كامل يومهم في السأم من مراقبتك المستمرة وهذا خطر ,ولكن الأخطر منه أن ينتظروا منك أن تفعلي كل شئ في البيت : " الكنس والطبخ ..." [161].وهـذا فيه تعويد للأبناء على الكسل فكل ما يريدون مجاب ،كما أن فيه

---

[159] - المرجع نفسه ، ص 152.

[160] - نجيب يوسف بدوي ،مرجع سابق ،ص 104.

[161] - عبد الله شريط ، معركة المفاهيم ،مرجع سابق ،ص 110.

جانب آخر يتعلق بنظرة الأم العربية إلى أبنائها فهي في حالة خوف دائم عليهم تراهم دائما صغار مع أنهم يكونون في مرحلة من الرشد تؤهلهم إلى تحمل المسؤولية.
ثم يدخل في مقارنة بين الأسرة العربية والأسرة الغربية ،فيصف العائلة الأجنبية بقوله :" والعائلة الأجنبية تفهم التربية على أنها تعويد للأبناء على العمل،العمل الجماعي المنسق كل عضو يؤدي وظيفة في الحياة ،والنتيجة هي أن الطعام عندما يكون جاهزا يكون ثمرة مجهود الجميع " [162]
في إطار الحديث عن نمط تفكير الأسرة العربية في إنجاب الأبناء والطريقة المبالغ فيها في الإكثار منهم مع قلة الوعي ،كل ذلك يخضع للعرف الشعبي للمجتمع [*]،يصف أحد الأوربيين حال المجتمع العربي في تعامله مع هذه المسألة :" أنتم المسلمون تكثرون من الأبناء وتقضون حياتكم في توفير بيت يرثونه عنكم ،ظانين أن ذلك هو أول ما يلزمهم في الحياة...أما نحن فإننا أولا لا نكثر من الأولاد وذلك حتى نستطيع أن نعلمهم ونعدهم للحياة وثانيا لا نحرمهم من شئ لأن كل ما نملكه ننفقه في إرضاء رغباتهم لأننا نعرف أننا لن نترك شيئا يرثونه من بعدنا إلا صنعة تعلموها أو شهادة علمية يتوظفون بها ،وعندما يكبرون لا يتزاحمون على شئ لأن كل واحد منهم مستقل بعمله ومهنته على الآخر." [163]
تتجه التربية في الأسرة العربية إلى منحى يجعلها أقل فعالية ولا تأتي بالنتائج التي وجدت لأجلها ،لأننا عطلنا فيها روح العمل والاجتهاد الدائم في كل الأمور لا يقتصر الأمر على العمل كمهنة أو مصدر للرزق ،بل هو كل حركة وخطوة تسهم في النهوض بالفرد ومن ثم بالمجتمع .
يقول لسلي هوايت Leslie white: " إن المعرفة هي القدرة على التصرف بصورة ملائمة في وضع معين " . يشرح لنا هذا القول أهمية معرفة الأشياء،حتى نحسن التعامل معها وتحديد مواقفنا تجاهها[164]. لذلك يقل اهتمامنا بالأشياء كلما قلت معرفتنا لها وغابت عنا حقيقة وجودها ودورها في حياتنا ،وهذا ما تجسد بصورة واضحة في تعاملنا ونظرتنا إلى العمل ،وتحول من أولوية إلى شئ هامشي وثانوي يمكن الاستغناء عنه.
إذا همشنا العمل فالأكيد سيتبعه تهميش لمسألة غاية في الأهمية وهي الوقت الذي هو روح العمل .فعامل الوقت له ضلع كبير فيما بقي يعنيه الإنسان العربي من بعد عن الحضارة حتى أنه لا يقيم له وزنا[165].
فإذا حاولنا إجراء مقارنة بين الفرد الغربي والفرد العربي في تعاملهما مع مسألة الوقت فنتيجة تلك المقارنة واضحة أو أنه ليس ثمة مجال للمقارنة لأنها مقارنة فيها اختلاف جذري بين نمطي التربية في المجتمع العربي والمجتمع الغربي ولا نكاد نجد وجه شبه واحد .ولكن نتحدث عنهما من باب الوعي بحالة كلتا المجتمعين . "فالعالم الثالث هو عالم العاطلين عن العمل المزمنين عن العمل ،التخلف وانخفاض إمكانيات العمل يسيران معا"[166]

---

[162] - المرجع نفسه ،ص 111.

[*] - "كل واحد يجي ورزقه معاه" ، مقالة شعبية طالما سمعناها يرددها العامة لتبرير جهلهم عندما يحصل حمل وإنجاب ،وهذا فيه مغالطة لمعنى الرزق.

[163] - عبد الله شريط ، **معركة المفاهيم** ،مرجع سابق ،ص 129.

[164] - هشام شرابي ،مرجع سابق ،ص 43

[165] - عبد الله شريط ، **الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون** ، الجزائر :الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،1975، ص 225.

[166] - مصطفى حجازي ،مرجع سابق ،ص94.

إن الرجل الأمريكي إذا وجد لديه شيئا من الفراغ ينصرف إلى عمل ما ،فهو إما يحرث في حديقته وإما يقرأ...،أما العربي فيفتش عن سبيل إلى التسلية ،فيدعو صديقا أو يذهب لزيارة أحد معارفه وان لم يجد أحدا يتوجه إلى المقهى... [167].

إن العلاقات الاجتماعية التي يعيشها الغربي بما فيها من ارتباطات وواجبات ،هي التي تقرر نمط سلوكه في الأحوال المختلفة بما فيها وقت فراغه ،وانه في ثقافته ونشأته مدفوع لأن يعمل دائما وأن لا يهدر الوقت (لأن الوقت مال)،حتى في أسلوب تسليته .أما العربي فوضعه الاجتماعي والثقافي مختلف ،وبالتالي عاداته وأهدافه وقيمه مختلفة أيضا .إن الإنتاج في حياته لا يشكل هدفا أخيرا والعمل لا يرمز إلى قيمة أساسية ولا يشكل لديه كما لدى الغربي فضيلة كبرى يعتز بها[168].

هناك في الأخير ظاهرة غريبة يعززها نمط تربينا بشكل دائم وهي الخجل والتكبر على الأعمال البسيطة بالرغم من قلة إمكانياتنا وضآلة ثقافتنا. يسأل الدكتور عبد الله شريط شابا عن طبيعة العمل الذي يبحث عنه ؟ فيجيب الشاب قائلا :" أنا ما زلت أبحث عن عمل يليق بي "، قلت ما معنى يليق بك ؟ قال :" بمعنى يدر علي مكسبا أعيش به عيشة بعيدة عن البؤس "،قلت تقصد عملا حرا أو وظيفة في الدولة ؟ قال :" لا يهم المهم أن لا أعمل إلا عملا يليق بي " - كررها مرة أخرى- .

هنا تكلم رب العائلة ووجه كلامه للشاب :" إن العمل الذي يليق بك هو وظيفة من الدرجة الأولى ولكنك لا تحمل الثقافة التي تؤهلك لهذه الوظيفة انك لا تحمل إلا الشهادة الابتدائية .والعمل الذي يتناسب مع ثقافتك لا يتناسب مع طموحك..إن طموحك أكبر من إمكانياتك ". قال الشاب في شئ من الغضب : " أنا لم أطلب من أحد أن يتصدق علي بعمل أو أن يسعى لي لدى الوزير...إنني أعرف كيف أنالها وحدي ..سأختار أختار ما يليق بي !!؟." [169]. إذا بقي يفكر بهذه الطريقة لا أظنه سيحصل على عمل يليق به أو لا يليق به.وهـذا النمط من التفكير نجده عند السواد الأعظم من شبابنا فإما أنه يبرر فشله بالظروف والعراقيل،وإما يندب حظه الذي لم يمكنه من الظفر بالعمل الذي يريد .

2- الاتكالية والعجز والتهرب :

الاتكالية والعجز والتهرب تجسد شعورا بعدم المقدرة،فالاستجابة العفوية المباشرة تجاه التحدي والصعاب نجدها في قول الفرد : " لا أقوى على ذلك ". بمعنى أن الاحجام عن مواجهة الصعاب والاستعانة بالغير دون حاجة فعلية إليه والانسحاب والتهرب هي من صلب تلك الاستجابة وهذه في الأساس هروب من المواجهة ورفض الالتزام ومحاولة لتحاشي النزاع والتنصل من المسؤولية [170].

ليست الاتكالية خاصة من الخصائص العرضية بل لها أصول اجتماعية وثقافية عميقة،مثال ذلك أن تربية الطفل في بيئة تتميز بالمنافسة تؤدي إلى اكتسابه أخلاق المنافسة ،في حين أن البيئة التي تحدد سلفا مركز الفرد ودوره في المجتمع تجعل الفرد ميالا إلى الخضوع والاتكالية ،كذلك نجد في كلتا البيئتين أن عملية تحويل القيم الاجتماعية إلى حوافز داخلية تؤدي إلى تعزيز نمط السلوك المفضل في المجتمع.وهذا بالضبط هدف تربية الطفل [171].

---

[167] - هشام شرابي،المرجع السابق،ص 73.

[168] - المرجع نفسه،ص 74

[169] - عبد الله شريط ، **معركة المفاهيم**، مرجع سابق ،ص 49.

[170] - هشام شرابي ، مرجع سابق، ص 49

[171] -. المرجع نفسه، ص49

ذلك يؤكد على أن الاتكالية سلوك مكتسب من البيئة الاجتماعية أكثر منه معطى فيزيقي لأنه يلخص لنا نوع من العجز الذي تصنعه البيئة وذلك النوع من العجز الذي نربيه فينا يخالف الفطرة السليمة التي فُطر الإنسان عليها.

الثقافة تحاول أن تفرض على الفرد في سن الرشد أنواع من الرقابة التي فرضتها عليه في سن الطفولة ،فالأفراد وان بلغوا أشدهم وأصبحوا مستقلين،يتصرفون بعد ذلك كالأطفال في حضور آبائهم .فلا النضوج ولا والاستقلال المادي يمكنه من التحرر من السلطة المشخصة التي اختبرها في طفولته[172].تلك النظرة التي نقلل فيها من حجم أبنائها تعزز لديهم ذلك الشعور بالصغر حتى يصبح الأمر عاديا ويتصرفون على ذلك الأساس بذلك نربي فيهم أنهم لا يستطيعون مواجهة الصعاب لوحدهم بحجة أنهم ما زالوا صغار ،فتضيع المسؤولية ويحل محلها تواكل وشعور دائم بالعجز.

الفرد الأوربي ببلوغه سن الثامنة عشر تترسم عنده ملامح تحمل المسؤولية والاعتماد على الذات بتقدسيه للعمل وجعله في مرتبة العبادة،على عكس الحال عندنا مع أن العمل هو في الأصل عبادة ولكن مازلنا لم نصل إلى مرحلة الرشد التي تؤهلنا للقيام بطقوس تلك العبادة ،وهذا ليس تشاؤما مني فدائما هناك مساحة للرجوع والعمل دائما وأبدا ، فكلمة عبادة هي ليس كلام نظري بقدر ما هي منهج حياة فيه من التخطيط والجهد الكثير.

ومن الطرق المستعملة في التهرب وإعفاء الذات من المسؤولية طريقة تثبيت الشئ بعد حصوله : "مش قتلك هيك" ،مع اختلاف التعبير من بلد عربي إلى آخر..وهذا يعني أن صاحب القول لا علاقة له بما جرى وما يجري ،وأنه لن يلتزم بالأمر لأن المسؤولية مسؤولية طرف آخر،وإذا ذهبنا بموقف كهذا وجدنا له تعبيرا في القول المأثور :"فخار يكسر بعضه" (*)،بمعنى أن المرء لا يبالي بشئ طالما هو بخير [173].

كذلك فان تبرير التمنع عن العمل وتحمل المسؤولية يتم بتضخيم المصاعب والعقبات التي تعترض سير أي عمل أو فعل يمارس[174].و أبرز مثال يجسد ذلك هو التبرير الذي نجده عند السواد الأعظم من المجتمع الجزائري عندما يتعلق الأمر بالبحث عن عمل ،وإسناد ذلك إلى الواسطة (المعريفة بالتعبير الشعبي عندنا) ،وهذا مخالف لمعنى السعي فيبقى الشخص قابعا في مكانه حتى يتمكن من الظفر بواسطة جيدة .ذلك لا يعني إنكار وجود الواسطة كليا أو إلغاؤها فهي أمر واقع ولكن لا نجعلها شماعة نعلق عليها فشلنا في الحصول على عمل.

إن شعور العجز يتخذ أشكالا متنوعة في نمط السلوك السائد في المجتمع ...وهو ما يتجسد في القدرية ؛وهي نوع من عدم التبصر وعجز عن التهيئة للمستقبل يعبر عنه القول :"مرقني اليوم وغرقني بكرا"(*)، ونجد في سلوك كهذا أن رغبات اليوم تجري تلبيتها على حساب حاجات الغد ،وأن الاتجاه هو نحو الإشباع لا نحو التثمير والإنتاج [175]. تلك القدرية تتجلى في الكثير من عباراتنا وأمثالنا :(مكتوب – الله غالب – هذا ماك يا حوت أشربه ولا موت – مد لحافك على قد رجليك ...) ،فثقافتنا الشعبية في جانب منها تزرع فينا استعدادا نفسيا للفشل وتبريره.

---

[172] - هشام شرابي، مرجع سابق،ص 51.

* وفي التعبير الشعبي عندنا المقولة المشهورة :" أخطا راسي واضرب ". فالفرد يعفي نفسه من المسؤولية التي يمكن أن تعرضه للخطر.

[173] - هشام شرابي،مرجع سابق ، ص 54

[174] - المرجع نفسه ، ص 53.

* - والمثل الشعبي عندنا : " أحييني اليوم وميتني غدوة ".

[175] - هشام شرابي ،المرجع السابق ، ص 56.

3- العمل وعلاقته بالخرافة كنمط للتفكير :

لماذا الخرافة ؟ لأن التعلق بالأمور السحرية والخرافية يحد من عزيمة الفرد سواء على مستوى العمل أو حتى على مستوى التفكير الموضوعي والمنطقي فهو يعتمده كأسلوب لتدبير أمور،وهذا يحد من حركته وتوكله (اتخاذ الأسباب)

حيث يُعرف دوجلاس هيل (hill.d) : " بأنها فلكلور شعبي ،وهي نظرة فرع غير شرعي من التاريخ الديني وتعتبر الخرافات عبارة عن طرق للتنبؤ أو التحكم في بعض الأزمات عن طريق وسائل قوى طبيعية وغير عقلية"[176].

إن لم تتيسر للفرد الحلول الناجعة التي تمكنه من التحكم الفعلي في الواقع على مستوى ما ،لجأ إلى الحلول الخرافية و السحرية...وذلك يجعله لا يتقبل الكارثة أو الهزيمة كأمر واقع ،ولا يستطيع الاعتراف بمسؤوليته المباشرة على ما حل به [177].

يتناسب انتشار الخرافة والتفكير السحري في وسط ما مع شدة القهر والحرمان ،وتضخم الإحساس بالعجز وقلة الحيلة وانعدام الوسيلة [178].

فهو يميل إلى البسائط من الأمور فتلك الأمور السحرية لا تأخذ الجهد ولا الوقت الذي يتطلبه العمل كما وضح ذلك العلامة ابن خلدون بقوله :" ميل الإنسان العربي إلى البسائط من الأمور والى السهل منها فرارا من كل ما يدعو إلى العناء والجهد،فكل مستصعب لديهم هم تاركوه إلى ما أسهل منه "[179].

تشيع الخرافة بشكل يطمس الواقع كليا ويصرف الناس عن التصدي الفعال والموضوعي له ,تصل الخرافة إلى مرتبة تعطيل التفكير والنقدي والتحليل الموضوعي ...مشكلة بذلك عقبة فعلية أمام التغيير وعاملا قويا في استفحال التخلف [180].

وتتخذ السيطرة الخرافية على المصير شكلين أو نمطين من التأثير هما :

1- السيطرة على الحاضر وفيها (التعلق بالأولياء ومقاماتهم وكراماتهم،الجن والعفاريت،العلاقات العدائية :السحر والحسد والعين .)

2- السيطرة على المستقبل وفيها (التطيـــر،تـأويـــل الأحـــــلام).

وفيما يلي سيتم الحديث عنهما بشئ من التفصيل وتوضيح تأثيرها على نمط التفكير الخرافي للإنسان في المجتمع العربي :-

أولا – السيطرة على الحاضر :

1- الأولياء ومقاماتهم وكراماتهم :

تنتشر ظاهرة التعلق بالأولياء واللجوء إليهم لاستجلاب الخير ودرء الشر بكثرة حيث يعم الجهل والعجز وقلة الحيلة .

تعترف الجماهير إجمالا بحدوث ظواهر خارقة على أيدي هؤلاء الأولياء تدل على ما يتمتعون به من امتياز على سائر الناس ...فتحدث على أيديهم الكرامات وهي في المرتبة الثانية بعد المعجزات ؛ والكرامة قد تكون إجابة دعوة ,تحقيق أمنية .. [181].

---

[176] -

[177]- مصطفى حجازي : **التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الكانسان المقهور** ،مرجع سابق ، ص139.

[178] - المرجع نفسه ، ص 139.

[179] - عبد الله شريط : **الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون** ،مرجع سابق، ص 229.

[180] - مصطفى حجازي : **التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور** ، مرجع سابق ، ص140.

وهناك كما يقول الدكتوران (بدران والخماش) أسطورة تخصص الأولياء في قضاء الحاجات ؛فهناك من يشفي من الصداع ،وآخر من العقم ,وثالث يرد الغائب ,وسادس وسابع وهكـــذا .....[182])

يعمل شيوخ الطرق وخدام المقامات على تعقيد الأدعية وإدخال التكلف والتحذلق اللغوي عليها وإسباغ طابع الغرابة التي توهم الإنسان الجاهل بعلم وفير يقوم وراءها ,وسر دفين يكمن فيها ويجعلها مفتاحا للوصول إلى بركة الولي من خلال ترك هذا الأثر الباهر في نفوس الجماهير وإشعارها بالعجز أمام قوة علم شيوخ الطرق كوسطاء لدى الأولياء [183].

لقد استسلم الإنسان في المجتمع العربي لظواهر متخلفة جعلت إيمانه متحجرا إذ وقع تحت وصاية وسطاء بينه وبين الله أي الأولياء الصالحين أولئك الذين وقع تقديسهم فأصبحت ظاهرة منتشرة في معظم الدول العربية والإسلامية ،وهي ترتبط بعديد من مظاهر الوثنية لا علاقة لها بالإسلام [184].

2- الجن والعفاريت :

لا أحد ينكر وجود عالم الجن ،وقد دلت على ذلك مواضع عدة في القرآن الكريم، لكن المشكلة في التصور العام والخاطئ لوجود تلك المخلوقات،والمبالغة في منحها تلك القوة الخارقة التي تجعلنا نستسلم لها بشكل يجعلنا نرد لها كل مشاكلنا وعيوبنـا .

كم من حالات مرضية ،وكم من صراعات زوجية وكم من أزمات بين الآباء والأبناء في العالم المتخلف ...تـُفسر من خلال هذا التبرير وتلقي بالمسؤولية على الجن والعفاريت ...ثم هناك مشكلة تحكم الجن والعفاريت في مسائل الخطبة والزواج ..تلصق بهذه الكائنات الخفية ،بدل أن توضع في إطارها الحقيقي وترد إلى سببيها الفعلي الاجتماعي والأسري النفسي ...ليس هناك إذا أكثر تضليلا وخداعا من إلقاء المسؤولية على هذه الكائنات،ثم البحث عن ذلك الحل من خلال مختلف ضروب الشعوذة [185].

3- العلاقات العدائية : السحر والحسد والعين : فصلنا في هـذا العنصر في المحور السابق (طقوس الشعوذة كالممارسة النسائية في الوسط الشعبي).

ثانيا : السيطرة على المستقبل :

يعيش الإنسان بشكل عام والإنسان العربي بشكل خاص قلقا دائما على المستقبل،وهو ما يجعله في حالة خوف دائم من مصيره سواء في الدراسة أو اعمل أو الزواج أو غيرها من الأمور الحياتية .مبعث ذلك الخوف هو انعدام التخطيط ،لذلك يلجأ إلى وسائل خرافية بالضرورة طالما أن الضمانات مفقودة والتخطيط منعدم والتوقعات المبنية على الجهد العام والذاتي لا أثر لها في العالم المتخلف...يبحث عن دلالات ومؤشرات تنبئه عما يخفي له القدر ،دون أ يحس بإرادة ذاتية في تحديد ما سيكون [186].

ومن أبرز ما يعتمد عليه الفرد في المجتمع العربي :-

1- التـطيـــر :

---

[181] - المرجع نفسه ، ص144.

[182] - إبراهيم بدران و سلوى الخماش : **دراسات في العقلية العربية** ،بيروت ،دار الحقيقة ،1974 ،ص 135.

[183] - مصطفى حجازي : **التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور** ، مرجع سابق ، ص145.

[184] - ريطا الخياط ،مرجع سابق ،ص 70.

[185] - مصطفى حجازي : **التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور** ، مرجع سابق ، ص148.

[186] - المرجع نفسه ،ص156.

يقول الدكتور نجيب يوسف بدوي : " أينما وجدت عناصر المصادفة والحظ كان احتمال القابلية للتطير كبيرا ..."([187]).فالإنسان المتطير لا يعتمد على بذل الجهد واتخاذ الأسباب بقدر ما يعتمد على الصدفة والحظ ،والصدفة هي في النهاية مجرد احتمال يمكن أن يقع ويمكن ألا يقع،فمكمن الخطر عندما نبني حياتنا على الاحتمال وننتظر أن يأتينا بما نريد .

فالإنسان في هذه الحالات يحس بأنه معرض لاحتمالات متناقضة ،الحظ والخير أو النحس والشر ..يأمل في وقوع الأولى ويخشى وقوع الثانية ،ويعيش في كلا الحالتين بين خفقة الرجاء وقلق الخطر [188]

ويتلمس طريقة إلى ذلك الاستباق في علامات ومؤشرات خارجية .هذه المؤشرات رموز تأخذ شكل النذائر (في حالة توقع الخطر) أو البشائر (في حالة وقوع السعد) .والإنسان المتطير هو إذا ذاك الذي يتخذ من الأحداث الخارجية علامات يضفي عليها معنى ومغزى.فمن علامات الفأل الحسن الخارجية مثلا (حدوة حصان – حذاء طفل صغير – خمسة وخميسة ...)، ومن علامات الفأل الردئ (البومة – المرآة المكسورة – الغراب ...)،ومن العلامات الحسية (رف العين وهنا يعتبر رف العين اليسرى دليل شؤم والعين اليمنى دليل خير – طنين الأذن -أكال باطن الكف...) [189].

تعبر تلك الرموز عن المستوى الحضاري للمجتمع الذي تظهر فيه وتعكس في جزء منها ثقافته وتراثه،لكن تبقى المشكلة دائما هي في التأويل الخرافي لها والمبالغة في تقديسها واعتقاد النفع والضر فيها ,فتلك الرموز هي في النهاية أشيء مادية وحسية الإنسان هو من يعطيها تلك المعاني.

والرمزية هي نواة الدلالة في هذه العلامات .بعضها واضح وحسي ،والآخر يحتاج إلى تفسير .وكما أن البشائر والنذائر قد تختلف في تعددها حضاريا ،كذلك فإنها قد تختلف في دلالتها [190].

وإذا كانت نزوة السيطرة تشكل القوة المحركة للسحر،إن تجنب الأذى ،أو الاطمئنان إلى المصير ,يشكل أقوى دوافع التطير،وكلاهما وسائل خرافي للسيطرة على المصير[191] .

على كل حال يعبر التطير عن نوع من السلبية التي يحياها الإنسان العربي في مجتمعه ،فهو أي التطير مبعث للتشاؤم مما يجعل الإنسان راض بواقعه ولا يتحرك لغيره؛ (الباب باين من عنوانه – الليلة السعيدة تبان من مغربها...) وغيرها الكثير من الأمثال والخطابات الشعبية التي تربي فينا تلك السلبية .

و مع الرجوع إلى الدين الإسلامي الحنيف نجد أن التشاؤم منهي عنه ,فهو يتعارض مع (حسن الظن بالله – الحمد والشكر لله على كل حال)،كما أنه يتناقض مع مبدأ عظيم في الحياة وهو الأمل التفاؤل وتكفي تلك الكلمة لتعبر عن نفسها .على أن ما يعطي الأمل والتفاؤل معنى ومغزى هو العمل والسعي الدائم ،حتى لا نعيش على الأمل وحده فنرسم عالما من الأماني والأحلام الغير مشروعة لأنها ببساطة تخلو من الجهد والتوكل .

2- الأحـــلام :

---

[187] - نجيب يوسف بدوي : **سيكولوجية التطير** ،"مجلة علم النفس " ،مجلد 5،عدد سبتمبر ،1946،القاهرة ،ص 5.

[188] - مصطفى حجازي : **التخلف الاجتماعي مدخل الى سيكولوجية الإنسان المقهور** ، مرجع سابق ، ص157.

[189] - المرجع نفسه ،ص 157.

[190] - مصطفى حجازي : **التخلف الاجتماعي مدخل الى سيكولوجية الإنسان المقهور** ،مرجع سابق ، ص157.

[191] - المرجع نفسه ،ص 158.

تحمل كلمة الأحلام عدة معاني ؛فهي تعني الأماني والرغبات و قد تحمل إذا بالغنا في الاعتماد عليها معنى الأوهام .وإذا تمعنا جيدا في تلك المصطلحات فإنها جميعا تخالف النهج العملي الذي يُبنى على التخطيط ورسم الأهداف ,فالأحلام تجعل الفرد يعيش في عالم يخدعه إلى حد بعيد ويضيع عليه كثيرا من الوقت .

والأحلام كما هو متعارف عليها : أحلام اليقظة وأحلام المنام،ويرتبط تأويل الأحلام بالنوع الثاني منها ؛فهو يحتل مكانة فريدة بين أساليب السيطرة الخرافية على المصير في العالم المتخلف .فالأحلام تتصف من وجهة النظر الشعبية بأنها نابعة من الذات ولكنها تعبر عن الواقع الخارجي وما قد يخبئه لهذه الذات من ناحية ثانية..فيحتل تأويلها مكانة مرموقة بين وسائل استشفاف المستقبل [192].

الأحلام تعبر عن إحدى الحلول السهلة التي توعد عليها الإنسان العربي،فاتخذ من السهولة منهجا للحياة فكون ذلك صورة نفسية ومادية للإنسان العربي،انه الإنسان المستسلم لما فرضته عليه طبيعة وجوده سواء كانت طبيعة جغرافية أو تاريخية أو فكرية أو نفسية [193].

وما يجب التنبه إليه أن الاختلاف بين التأويل الشعبي والتفسير النفسي الحديث جوهري ،فإذا كانت الأحلام تنبئ عما يصيب الإنسان من الخارج في التأويل الشعبي ،فإنها في التحليل النفسي تشير قطعا إلى ما يعتمل في النفس من رغبات ومخاوف [194].

يبقى أن التطير والتفاؤل هما العاملان المشتركان بين أغلب التفسيرات الشعبية للأحلام .أحلام ميمونة وأخرى مشؤومة،أحلام تحمل البشرى بالسعد،وأخرى تحمل الهم وتدفع إلى توجس الشر .ويشيع كثيرا على المستوى الشعبي أن تدور الأحلام وتؤول حول الضيق والفرج .يستخرج لنا "نجيب يوسف بدوي"[195] مجموعة من الأمثلة عن أحلام الفرج أخرى على أمثلة الضيق:

* أمثلة عن أحلام الفرج : البكاء في الحلم (فرج)،الغم (دال على السرور)،الطيران (حظ سعيد ورفعة)،صعود الجبل (رئاسة)،العسل (الرزق الكثير)،الملح(يدل على المال)...الخ.

* أمثلة على أحلام الضيق : الضحك في الحلم (بكاء وحزن)،الفرج في الحلم (غم)، الحلم بالكعك (ضيق)،السقوط في الحلم (تغير في الأمر وتعذر في المراد) ، النار المشتعلة (مصيبة)...الخ.

فعندما تتمكن تلك الأحلام من عقل وتفكير الفرد يصبح لديه نوع من الوسواس ،فهناك من الناس من يستقيظ كل صباح وأول ما يفعل النظر في كتب تفسير الأحلام لعلها تأتي بالجديد وتساعد على تحقيق ما عجز عنه ،تبقى الأحلام مجرد أحلام أبعد عن التحقق في أرض الواقع وأن تحققت فان جلها يكون من باب المصادفة.

في السطور السابقة تم الحديث عن نمطي السيطرة الخرافية على المصير ,ويحوي كلاهما أمورا تتعارض مع مبدأ العمل ؛ فالتعلق بالأولياء الصالحين يتناقض مع مبدأ التوكل والسعي .وإسناد الأمور إلى الجن والعفاريت ينشر ثقافة الخوف والعجز أما تلك القوى الخارقة . والتطير ينشر نوع من السلبية في التعامل مع المواقف الحياتية.وتأويل الأحلام يجعلنا ننسى أنفسنا ونعيش على الأمنيات .

كل تلك الأمور تؤسس وتنمي في أنفسنا تخلفا وخللا زرعته فينا نمط من التربية المتبع في مجتمعنا . فتلك التربية ترسم فيه ملامحا يؤثر فيه إلى حد بعيد إلى درجة أنها تصبح جزءا لا يتجزأ من شخصيته،فتكون لديه مجموعة من الصفات السلبية نوجزها على الشكل التالي:-

---

[192] - مصطفى حجازي : **التخلف الاجتماعي مدخل الى سيكولوجية الإنسان المقهور**، مرجع سابق ،ص158.

[193] - عبد الله شريط ،مرجع سابق ، ص 232.

[194] - المرجع نفسه ،ص 159.

[195] - نجيب يوسف بدوي،**الفرج والضيق في أحلام المصريين** ،مجلة علم النفس ،مجلد 8 ،عدد3،فبراير 1953،القاهرة ،ص 341.

* العزوف عن العمل والميل إلى الراحة : الفراغ ،لنوم، الاستهلاك ،عدم تقدير القيمة الحقيقة للعمل .
* تبني الخرافة كنمط للتفكير فيتلاشى لديه التفكير المنطقي والعقلاني.
* الاعتماد على التفسير الغيبي في كل ما يعجز عن تحقيقه .
* التهرب من المسؤولية ورد الخلل إلى الحظ والآخرين.

خلاصـــــــــــــــــة :-
من خلال هذا الفصل تم التركيز على مسألتي من مسائل التخلف المتعددة واللذان هما محل الدراسة ؛ المـــــرأة والعمـــــل ،ومن خلال تلك المعالجة لاحظنا أن هناك نقاط التقاء بينهما في محوري التربية والخرافة فكلاهما لهما نفس التأثير سواء تعلق الأمر بالمرأة أو العمل إن لم نقل بأن نمط تربية المرأة أو الذي تتبعه في تنئشة أبنائها هو امتداد للعمل كسلوك اجتماعي وحضاري.فالمـــرأة بكل ما تحمله من ثقافة وتربية هي التي من شأنها أن تربي فينا سلوك العمل أو العزوف عنه إذا كان هناك خلل في نظرة المرأة لكل الأمور بما فيها العمل،فالمعادلة البسيطة هي : المرأة زائد ثقافة وتربية تساوي عمل،وإذا حدث خلل في تربيتها أو ثقافتها فالأكيد سيلحقه خـــلل في العمـــل . وتم الخروج بأهم ملامح التخلف المتعلقة بالمرأة والعمل :

- الجهل بطرق التربية التي لا تحط من قيمة الفتاة ومن ثم المرأة .
- هيمنة الرجل والدور المغيب للمرأة.
- إهمال تعليم المرأة واعتباره أمرا ثانويا.
- روح التواكل والسلبية التي طغت على جل أفراد المجتمع العربي.
- اعتماد التفسير الخرافي للأمور والتعلق بأمور السحر والعين .

تـمهـيـد :

من خـلال هـــذا الفصل سنعالـج مفهـوم الثقافــة الشعبيــة وكـيف أن مــن شأنهــا أن تسهـم في وبنـــاء الشخصية الاجتماعية للأفــراد بكــل ما تحـويه من ثـقـافــة وتـربية ... ، كـمـا سيتم التركيز عـلى عـلاقــة اللغـة بــالثـقـافــة وكـذا بــالمجتمـع وكيف لـتـلـك العـلاقــة مــن أهمية في تشكيــل خطــاب الجماعــة والــذي بـدوره يحمـل أنماطـا متنــوعــة هــي نفسهــا تـشكـل أنمــاط التــراث الشعـبي والتـي سيتم تناولها في هـذا الفصــل دون أن اغـفال أهـمية الــرمــز كــدلالــة سسيــولــوجيــة في بــنــاء الثـقــافــة الشعبيــة .

أولا : القول الشعبي كمظهر تعبيـري في خطــاب الجماعــة

قبل أن نتطرق إلى بحث علاقة اللغة بالثقافة بوجه عام والثقافة الشعبية بوجه خاص لابد من الحديث وبدقة عن معنى كلا المفهومين (اللغة – الثقافة)،حتى نتمكن من تحري العلاقة في إطارها الصحيح.

1-1 اللغــة والثقــافــة الشعبيــة عــلاقــة تكــامليــة :

1-1-1 مـــا هي اللــغــة ؟ :

إن بعض المعاجم لتعليم اللغات تعرف اللغة حسب المفاهيم التالية :

إن اللغة le langage بالمعنى الواسع وسيلة للتبليغ أو التواصل مستعملة من قبل المجموعة الإنسانية أو الحيوانية لبث مراسلات ،واللغة مركبة من وحدات دنيا تدعى علامات signes أو إشارات signaux [196].

واللغة le langage تعرفها اللسانيات بأنها الكفاءة الملاحظة لدى كل الناس للتبليغ بواسطة أو من خلال ألسن des langues وهي مجموعة كل الألسن أو اللغات الانسانية المأخوذة بعين الاعتبار في مزاجهم المشترك ، " واذا خالفنا الأصول ،والتفتنا إلى الاستعمال الفلسفي للغة فإنها الكفاءة للتواصل مع أنظمة أخرى مثل اللغات des langues الطبيعية (الوظيفة الرمزية) أو أخيرا مجموعة كل وجهات النظر الوصفية أو التفسيرية التي تخص كل المظاهر tous les aspects اللسانية والبسيكولوجية، والسوسيولوجية ، والسيميولوجية ،يمكن اعتبار ما تنطوي عليه هذه الأصناف لغات .[197]

---

[196]- عبد الجليل مرتاض : **اللغة والتواصل** ، الجزائر : دار هومة ، 2000 ، ص 28

[197] - Dictionnaire de linguistique p :196

فكل كلمة تدل على شئ إن لم تكن نتيجة مباشرة له ([198]). واللغة تتميز بكونها اجتماعية في ماهيتها ومستقلة عن الفرد ونحن نتعلمها من خلال إصغائنا للآخرين ، والكلام هو الذي يعمل عل تطويرها ،مما يدل على وجود تأثير متبادل بين اللغة والكلام أو بين ماهو اجتماعي وفردي.[199]

فاللغة ظاهرة اجتماعية بامتياز ذلك لأنها واردة في التحديد الذي اقترحه دوركايم ،اللغة توجد مستقلة عن كل فرد من الأفراد الذين يتكلمونها ،وعلى الرغم من أنها لا تقوم بمعزل عن مجموع هؤلاء الأفراد،فإنها مع ذلك خارجة عنه (أي الفرد)من خلال عموميتها ([200]).

وهذا يؤكد على أن لـلغة أهمية مفصلية سواءا داخل المجتمع أو على مستوى الدراسات السسيولغوية باعتبارها الأداة المباشرة للتواصل بين أفراد المجتمع،فهي تتجاوز الوظيفة الكلامية إلى الدلالات التعبيرية عن الثقـافة والمجتمع أي قراءتها في إطارها الاجتماعي والثقافي.

2-1-1 مـا هي الثقـافـة ؟:

لا أحد ينكر من هناك العديد من العلماء والباحثين قد خاضوا في مجال الثقافة وقدموا تعارفا عديدة كل حسب وجهة نظره ،لأن الثقافة مفهوم واسع وفضفاض وقد يشترك أكثر من باحث في تحديد مفهومة ،فيمكننا أن نقول أن الثقافة هي ذلك الكل المعقد والمركب كما عبر عن ذلك العالم تايلور عندما عـرّف الثقافة أنها : " هي ذلك الكل المركب من العادات والفن و...."

وهناك أيضا تعريف شهير أخذت به دائرة المعارف البريطانية ،عندما رأت أن الثقافة هي : " أسلوب الحياة السائد في المجتمع " [201] ، وهذا يدل على أنه لا يمكننا دراسة أو قراءة ماهية الثقافة بعيدا عن المحيط الاجتماعي التي هي جزء منه.

ويميل العديد من الاجتماعيين إلى استخدام مصطلح الثقافة بمفهومها الواسع الذي يعبر عن طريقة الحياة في المجتمع , وعند التأمل في معالم طرق الحياة التي تحياها المجتمعات البشرية يتضح أنها تشكل كيانا من أساليب السلوك التي تقوم على معايير وقيم ومعتـقدات ومهارات ونتاجات فكرية ونظم اجتماعية واقتصادية وعائلية وتربوية ومن معارف وقوانين وأساليب في التعبير ،ويعبر عن هذا الكيان بالثـقافة ويشير هـذا إلى أن الثـقافة هي كل الاتجاهات الفكـريـة والأنماط السلوكية التي يكتسبها الفرد ويشارك فيها أعضاء المجتمع.[202]

تسهم الثقافة في الكشف عن استجابات الناس نحو المحيط الخارجي ،وتفاعلات المجتمعات الإنسانية بعضها مع بعض والثقافة من صنع الإنسان .وهي ظاهرة طبيعية تخضع لقوانين الطبيعة مثل التطور والتغير ...وتعتبر قدرة الإنسان على إنتاج الثقافة أهم خاصية تميزه عن سائر

---

[198] - ذهبية محمد الحاج : **لسانيات التلفظ وتداوليات الخطاب** ، الجزائر : دار الأمل للطباعة والنشر،2005 ،ص 21.

[199] - عبد الجليل مرتاض : مرجع سابق .ص 51

[200] - لويس جان كاليفي : **علم الاجتماع اللغوي** ، ترجمة : محمد يحياتن ، الجزائر : دار القصبة ، 2004.ص 11.

[201] - children's Britannia ,b 2,E 2,1969,p92

[202] - أمينة حمزة الجندي : **ثقافة الطفل العربي** ، مجلة ثقافة الطفل العربي، تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .1992 .ص

المخلوقات .[203] فالإنسان لا يعيش في فراغ ومن الطبيعي أن يتأثر بكل ما حوله من معطيات ثقافية بما تحويه من عادات وتقاليد وسلوكيات بطريقة تلقائية أو مقصودة .

وإذا كانت الثقافة نوعا من المعرفة ،فمعنى ذلك أنها لا توجد إلا داخل رؤوس الناس ،ولذلك كانت هناك مشكلة دراستها وهي : كيف نعرف ماهية المعرفة الثقافية الموجودة لدى زيد من الناس ؟ والأكثر صعوبة من ذلك ،هو كيف نعرف ماهية الثقافة الموجودة لدى جماعة من الناس؟[204].
ومن هنا تبرز صعوبة دراسة الثقافة بمعزل عن المحيط الحضاري الذي ظهرت فيه ومراعاة ما يفكر فيه الناس والى أي مدى يكون ذلك التفكير

فالمعطى الثقافي محطة مهمة ومحددة لمعالم الحياة الإنسانية بكل جوانبها التربوية والجمالية والعلمية ....الخ .

3-1-1 ما هي الثقافة الشعبية ؟

تعرفنا في السطور السابقة على مفهوم الثقافة ، ولكن عندما تقترن مصطلح شعبي بمفهوم الثقافة فان هناك نوعا من التحديد لهذا المفهوم المركب ،فهنا يجب علينا أن نتعرف على معنى كلمة شعبي : إن كلمة Popular في اللغة الانجليزية تدل على الشيوع أكثر من دلالتها على كون الشيء شعبيا .فالشعبي يفترض الشيوع علاوة على العمق الزمني البعيد ولكن الشيوع لا يدل حتما على شعبية المادة فأغاني مطرب مشهور اليوم قد تكون شائعة ولكنها ليست بالضرورة أغاني شعبية . فالشعبي أمر يرجع إلى الشعب أو خاص بالشعب . ويعرف سانتيف Saintyves صفة شعبي تمييزا لها عن كلمة رسمي officiel بأنها ما يمارس أو ينتقل بين الشعب مع استبعاد كل ما تقوم السلطة القائمة بفرضه أو تعليمه [205].

ويرى أريكسون ARIXON خصائص أخرى لهذا المصطلح . فالعنصر الشعبي في نظره يجب أولا أن يكون جزءا من الشعب و ألا يكون شيئا يتمسكون به لفترة قصيرة من الزمن ،ثم يجب ثانيا أن يكون شامل الظهور داخل الجماعة البشرية ومتكيفا مع ثقافتها[206].

ونعتبر أن مصطلحنا العربي (الشعبي) ليس في الواقع ترجمة لكلمة الانجليزية ولكنه ترجمة لمصطلح سانتيف الأصلي وأقرب في رأينا للدلالة عليه ولا سيما إذا أخذناه بمضامينه الاجتماعية والسياسية السائدة [207] .

وفي اطار حديثنا عن الثقافة الشعبية يصادفنا مصطلح مهم وله علاقة مباشرة بالثقافة وهو مفهوم الأنثوبولوجيا ولتوضيحه أكثر نأخذ بتعريف الدكتور " شاكر سليم" في قاموس الأنثروبولوجيا الذي صدر عام 1981 ,يقول التعريف : (أن الأنثروبولوجيا هي علم دراسة

---

[203] - علي محمد مكاوي :**الأنثروبولوجيا وقضايا الإنسان المعاصر** ، القاهرة : الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ،2007 ص 16

[204] - هدسون :**علم اللغة الاجتماعي** ، ترجمة :محمود عياد ، ط 3 ، القاهرة :عالم الكتب، ،2002 ص 120.

[205] - عبد الحميد بوسماحة : **الموروث الشعبي : مفاهيم ...مقاربات حول إشكالية المصطلح** ،الموروث الشعبي وقضايا الوطن ،2006/04/25.

[206] - عبد الحميد بوسماحة : مرجع سابق .

[207]- المرجع نفسه .

الإنسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا) ,وبالرغم من بساطة وإيجاز هذا التعريف إلا أنه يحسم لنا مشكلة تعدد فروع الأنثروبولوجيا (الطبيعية والاجتماعية والثقافية) ،ولعل من أسباب اختيارنا هذا التعريف أنه يشير ضمنا إلى خاصية مميزة للأنثروبولوجيا وهي النظرة الشمولية في دراسة الإنسان[208].

إلى جانب دراسة الأنثوبولوجيا لكافة المجتمعات كجزء من منظورها الشمولي،يتجه الأنثوبولوجيون عند دراستهم لأسلوب حياة مجتمع معين إلى الربط بين الجانبين المعنوي والمادي لما يدور في حياة اليومية الناس[209].

نستطيع أن نقول الآن بأن الثقافة الشعبية هي أساسا مستمدة من الشعب بكل ما يحمله من تعقيد،فيمكن أن نطلق هذا المصطلح على عدة أشياء ومواضيع متعلقة أساسا بالمجتمع مثل السوق الشعبي أو الحي الشعبي أو الأغاني الشعبية ،القصص والأمثال الشعبية .وحتى على مستوى الممارسات اليومية البسيطة أو الطقوس التي تظهر في الزواج أو غيرها من المناسبات التي تجتمع فيها العائلات فتكون بذلك ملتقى شعبيا تنصهر فيه عديد من الثقافات و تتبدى فيه مختلف السلوكات مشكلة بذلك عالما طقوسيا مميزا يجب أن نتعمق في معرفته ودراسته أكثر.

بعد بحث لمفهومي اللغة والثقافة نتطرق الآن إلى دراسة العلاقة بينهما :

تحتل علاقة الثقافة باللغة الطبيعية مركزا هاما في الفكر الإنساني في أوروبا وأمريكا على السواء، حيث تتفق النظرة حول أن اللغة تحدد نظرة المجتمع إلى العالم المحيط بالإنسان بما يتضمنه من ثقافة لها انعكاساتها على طريقة تفكير أفراد المجتمع الذين يتكلمون لغة واحدة يرى سابير (1848-1938) أن البشر لا يعيشون في العالم المادي وحده ،ولا في عالم النشاط الاجتماعي بالمفهوم العادي ،وإنما يخضعون إلى النموذج اللغوي الذي يحدد التكيف الاجتماعي في المحيط الثقافي .ويرى أنه من الصعب فصل اللغة عن الثقافة ،واستعمال الثقافة هنا بالمعنى الواسع لتدل على التصورات والمفاهيم التي تكونها المجموعة البشرية عن العالم المحيط بها [210].

فقول سابير بالمصطلح الثقافي يعني أن الناس لا يعيشون في العالم الموضوعي فقط،ولا في عالم النشاط الاجتماعي بل هم واقعون تحت رحمة اللغة التي أصبحت وسطا للتعبير في المجتمع الذي يعيشون فيه ([211]).

الذين يعيشون في إطار ثقافة واحدة لهم نسق معرفي مشترك، يتشكل بفعل هذه الثقافة، ويعمل على تنظيم مكوناتهم المادية والاجتماعية والنفسية والفكرية، وهو ما يعني انه يمثل محاولة للإجابة عن تساؤلات من قبيل: ما هي طريقتهم في تنظيمها؟ وما هي قواعد السلوك المقبول ثقافيا بالرجوع إلى الطريقة التي يتكلمون بها؟ وكيف يستدل الانثروبولوجي على هذه الطريقة في لغتهم؟.

---

[208]- حسين سليم : **قصة الأنثروبولوجيا** ، الكويت : عالم المعرفة ،1986، ص 17.

[209] - المرجع نفسه ، ص 20.

[210] - نور الهدى لوشن، مرجع سابق، ص

[211] - ذهبية حمو الحاج :مرجع سابق ،ص 45.

وكثيرا ما يطلق على معرفة العوام اسم " المعرفة العادية الشائعة " ، وهو أهم أنواع المعرفة في نظر علماء الانثروبولوجيا ،مثلما أن علماء اللغة يهتمون بالاستخدام اليومي للغة [212]...

المعرفة الثقافية تعلمناها من الآخرين لذلك نعد بعض المفاهيم مفاهيم ثقافية بينما لا يمكننا وصف المفاهيم الأخرى بذلك. فنحن نقوم بتكوين المفاهيم الثقافية لأننا نعرف أن الآخرين حولنا يستخدمونها في تفكيرهم[213].

وبالتالي فان إن أفضل سبيل إلى دراسة المعنى أو الدلالة ،هو دراسته من ناحية علاقته بالثقافة والفكر[214].

ليس هناك أدنى شك في أن الثقافة تلعب دورا كبيرا في حياة اللغة ،وأن أي لغة ماهي إلا وسيلة تعبير عن تلك الثقافة ،كما أن الثقافة لا تستطيع أن تعبر عن نفسها ,وأن تدون مفاهيمها وتسجل محتوياتها من جيل إلى جيل إلا من خلال اللغة [215].فاللغة إذن تحيط بالمجتمع وتحويه من كل جانب ،وكلمات اللغة مفاتيح يفتح بها مؤرخ المجتمع والثقافة كثيرا من القضايا :وهي شواهد على المجتمعات والحضارات وعلى نظمها وعاداتها ومؤسساتها.

وفي موزاة الأنثروبولوجيا اللغوية ،ظهر علم اللغة الأثنولوجي Ethnolinguistics ،ويعني عموما بدراسة العلاقة بين اللغة والثقافة، ويشير هويجر H.Hoijer إلى الغموض الشديد لمضمون هذا البحث، حيث يتصل عند سابير بدور الدراسات اللغوية المتعلقة بتاريخ الثقافات ،ويعني عند فوجلين Voegelin بدراسة الارتباط بين السلوك الثقافي والكلمات في موقف معين، وعند جورج ميد G.Mead بدراسة اللغة كأداة من أدوات البحث في الأثنولوجيا، ولدى بينيامين وورف B.Ehorf بالتعرف على علاقة السلوك و التفكير باللغة [216].

إن الحديث عن علاقة اللغة والثقافة حديث له عدة جوانب وأطر تُعالج من خلالها تلك العلاقة وهذا نظرا لتعقد كلا المصطلحين ،فدائما يجب التحديد الدقيق أي يجب أن نجيب : عن أي لغة نتحدث؟ و ما هي الثقافة المقصودة بالدراسة ؟ أي تحديد الإطار الحضاري الذي ظهرتا فيه .ومن هنا ظهرت صعوبة البحث فيهما.

وخلاصة القول أن اللغة ترتبط ارتباطا وثيقا بالثقافة وهي العامل الأساسي الذي تقوم عليه العلاقات داخل المجتمع ،كما أنها الوسيلة التي تنقل الثقافات عبر الأجيال.

---

[212] - هدسون :مرجع سابق ،ص 122.

[213] - المرجع نفسه ،ص 124.

[214] - هدسون :مرجع سابق ، ص 119.

[215] - فاروق أحمد مصطفى، مرجع سابق، ص 105.

[216] - ايكه هولتكرانس : **قاموس مصطلحات الأثنولوجيا والفلكلور** ، ترجمة محمد الجوهري وحسن الشامي ، القاهرة :دار المعارف ، 1971، ص 299.

2-1 اللغـة والمجتمـع:

سبق لنا أن تعرفنا على مفهوم اللغة من خلال معالجتنا لمحور اللغة والثقافة ،أما الآن فسنحاول التعرف على مفهوم المجتمع

يمكن تعريف المجتمع على أنه مجموعة من الناس تحتل بقعة من الأرض لها حدودها الجغرافية والسياسية .تنظر هذه المجموعة ذات الثقافة المشتركة إلى نفسها كوحدة متميزة لها تاريخ وخبرات مشتركة .ويتميز المجتمع بقدر من الاكتفاء الذاتي وببناء اجتماعي يتكون من مجموعة كبير من الأدوار الاجتماعية المترابطة .كما يتكون المجتمع من شبكة من الجماعات الاجتماعية تمثل كيانا كليا[217].

تتجلى العلاقة أكثر فيما يُصطلح عليه علم اللغة الاجتماعي و هو العلم الذي يهتم بدراسة اللغة في سياقها الاجتماعي ، أما موضوعه فهو دراسة الواقع الغوي في أشكاله المتنوعة باعتبارها صادرة عن معان اجتماعية وثـقافية مألوفة أو غير مألوفة ,وذلك من خلال النمو المتدفق للتبادل الاجتماعي[218].

يعتبر مجال علم اللغـويـات الاجتماعي منتجا بصورة جيدة ،وذلك إذا كان يرتكز على حقائق مجتمعة بصورة منظمة كجزء من البحث أو من حيث اعتمادها ببساطة على خبرة الفرد الذاتية وهذا المجال يسمح لنا بأن نبدأ في تحليل الإطار العملي وذلك بما تحتويه من مصطلحات ... ومما لا شك فيه أن الخبرات الشخصية هي تلك المنبع الغني بالمعلومات في اللغة وفي علاقتها بالمجتمع[219].

فعلم الاجتماع اللغوي يدرس العلاقات بين الظواهـر اللغوية والظواهر الاجتماعية ،ومدى تأثر اللغة بالعادات والتقاليد والنظام الاجتماعي[220] .

باختصار فان علم اللغة الاجتماعي يهتم " بالحديث الكلامي " بين الأفراد داخل المجتمع[221] .وهنا يمكن أن نستخدمه كمؤشر لدراسة خطاب الجماعة .

مع العلم أن مجال علم اللغة الاجتماعي حديث العهد بالبحث ، وليس معنى ذلك أن دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع من ابتكار فترة الستينات ، فعلى عـكس ذلك هناك تراث قـديم العهـد في دراسة اللهجات وفي الدراسات التي تتناول العلاقات بين معاني الكلمات والثقافات المختلفة ،وكلاهما يقع في إطار تعـريفنـا لعلم اللغة الاجتماعي .أما الجديد الذي استحدث في الستينات،فهو

---

[217]- سميرة أحمد السيد : **مصطلحات علم الاجتماع**، السعودية : مكتبة الشقري ،1997 ،ص 162.

[218] - مها محمد فوزي : **الأنثروبولوجيـا اللغويـة** ، القاهرة :دار المعرفة الجامعية ، ،2008 ص 122.

[219] - المرجع نفسه ، ص 123.

[220] - محمد رشاد الحمزاوي : **المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية** ، تونس : الدار التونسية للنشر ، 1987 ، ص 135.

[221] - مها محمد فوزي، المرجع سابق ، ص 124.

الاهتمام الواسع و الإدراك بأن علم اللغة الاجتماعي قادر على كشف الكثير مما كان غامضا من طبيعة اللغة وطبيعة المجتمع [222].

و أكد "هدسون" على أن الكلام هو سلوك اجتماعي ،وأن للكلام وظيفة اجتماعية باعتباره وسيلة للاتصال وطريقة لتمييز المجموعات الاجتماعية المختلفة،كما أن دراسة الكلام دون الرجوع إلى المجتمع الذي يتحدث به هو استبعاد لاحتمالات وجود تفسيرات اجتماعية للأبنية والصيغ المستخدمة في الكلام[223] .ولذلك فانه من الطبيعي أن يدرك دارسوا المجتمع أن حقائق اللغة تزيد من فهمهم للمجتمع [224].

تعتبر دراسة اللغويات مدخلا هاما في فهم شكل الحياة الاجتماعية والثقافية في أي مجتمع، وعموما تدرس الأنثروبولوجيا اللغوية البناءات والأنساق السائدة في المجتمع . فاللغة ظاهرة اجتماعية كما أنها عنصر جوهري من عناصر الثقافة فالكلمة التي يستخدمه الإنسان تتكون من مجموعة من المعاني ، وتتألف من طائفة من الارتباطات تجمعت حولها، ولذلك يذهب ماليونوفسكي إلى أن الصلة التي تربط الفكر البدائي ولغته إنما تتيح لنا دراسة مشكلات منطقية وسيكولوجية حيث أن التجريد اللغوي والوسائل العقلية هي مسائل ذات أهمية كبرى. كما أن دراسة كيفية عمل الفكر عن طريق استخدام اللغة في أي ثقافة يعتبر أحد المجالات البكر في اللغويات الثقافية ,وأن دراسة لغة أي مجتمع تعتبر مجالا خصبا للحصول على المعلومات حول ثقافة هذا المجتمع [225].

ولا شك أن التصنيفات الأثنولوجية للمكونات المادية والعلاقات الاجتماعية والعادات والتقاليد ، والتعبير عنها بمفردات معجمية من وجهة نظر الجماعة اللغوية لها أهميتها الأنثروبولوجية ،في تأكيد الخصائص الحضارية لهذه الجماعة،عبر كشف دلالات المفردات المستعملة في لغتها،كما أن دراسة التطورات أو التغيرات داخل الحقل الدلالي تعني في نفس الوقت دراسة التغيرات التي طرأت على عناصرها الثقافية ،كما قد تفيد في الكشف عن علاقات التنافذ اللغوي و التثاقف الاثنوجرافي، وان تطلب الأمر بحثها بدقة ،تتجاوز النظرة الجزئية إلى الكلمة ،وتوضح دلالتها في إطار لغوي أو أنثوجرافي دقيق ،ويطلق فريك C.Frak على مبحث (الأثنوجرافيا الدلالية) تسمية (الأثنوجرافيا الجديدة)،ويحدد هدفه بتحليل المكونات التي تقوم عليها عملية تصنيف المركبات الثقافية،عن طريق تصنيف الدوال أو الكلمات التي تشير إليها في لغتها ،مستخدما مفاهيم وأدوات من مثل المجال الدلالي والمكونات، والمركبات الثقافية والتصنيف[226].

إن بحث اللغة في علاقتها بالمجتمع يحتم علينا النظر إلى اللغة وقراءتها في محيطها الدلالي وليست مجرد جمع من الكلمات ليس لها أي وظيفة اجتماعية خارج وظائفها البلاغية والجمالية .

---

[222] - هدسون :مرجع سابق ، ص 12.

[223] - المرجع نفسه ، ص 15 .

[224] - هدسون : المرجع السابق ، ص 17 .

[225] - محمد حسن غامري : **مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة** ، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، 1991 ، ص 23.

[226] - هدسون ، مرجع سابق ، ص 17.

والأمر هنا يتعلق بالنظر إلى اللغة كجزء من السلوك الإنساني،أو بتعبير "مالينوفسكي" كضرب من الفعل a mode of action ،وليست أداة عاكسة للفكر،وطبقا لهذا وجد مالينوفسكي أنه ينبغي علينا أن نربط ما بين دراستنا للغة ودراسة مجمل الأنشطة الاجتماعية والإنسانية الأخرى،وأن نفسر من ثم دلالة كل لفظة في إطار السياق الاجتماعي الذي تنتمي إليه .وبهذا الفهم يمكن للغة أن تعد نمطا من أنماط السلوك البشري [227].

وفي هذا الصدد،قدم سابير محاولته في إثبات أن الجماعات التي تتكلم بلغات مختلفة ،تعيش عوالم من الواقع مختلفة،وأن هذه اللغات تؤثر بدرجة كبيرة في مدركاتهم الحسية وفي أنماط تفكيرهم ورؤيتهم للعالم .ويتلخص مبدأ سابير في أن اللغة التي تنتمي إلى مجتمع معين،ويتكلمها أبناء هذا المجتمع ,ويفكرون بواسطتها هي المنظم لتجربة هذا المجتمع ,حيث كل لغة تنطوي على رؤية خاصة للعالم[228] .

فاللغة ليست مجرد نسق مرجعي System of reference ،بل هو نسق تعبيري كذلك .فكل رسالة لغوية تحمل مجموعة رموز موجودة دوما ,لكنها تظهر وتختفي وفقا للسياق والقرينة إذ لا يفترض لفهم قصيدة مثلا ،معرفة مختلف كلماتها في معناها العادي وحسب ،بل كذلك معرفة حياة الجماعة والمجتمع الذي تنعكس فيه هذه الكلمات [229].

اللغة إذن هي وسيلتك إلى دراسة المجتمع ووصفه ,وليس المجتمع وسيلتك إلى دراسة اللغة ووصفها ،ويعود هذا إلى ميزة تمتاز بها اللغة ولا يمتاز بها المجتمع ؛وهي أن للغة القدرة على وصف كل ما يراد وصفه ,بل وصف اللغة بواسطة اللغة وهو ما يسمى بـــ "وظيفة ما وراء اللغة ".فاللغة إذن تحيط بالمجتمع وتحويه من كل جانب وكلمات اللغة مفاتيح يفتح بها مؤرخ المجتمع والثقافة كثيرا من القضايا :وهي شواهد على المجتمعات والحضارات وعلى نظمها وعاداتها ومؤسساتها[230] .

مـن خـلال مـا سبـق يمكن أن نؤكد على أهمية اللغة ودورهـــا في بناء الثقافة المجتمعة للأفـراد فهي المحك و المعبر الحقي عـن خطـاب الجماعة في تُكَـونُـه وتـبلغـه في نفس الوقـت.

3-1 عـلاقــة الثقافــة الشعبية بالمجتمـع :

إن كل ما قيل في السطور السابقة يوصلنا إلى نتيجة بديهية وحتمية وهي العلاقة بين الثقافة والمجتمع الذي أنتجها ؛وهي تتمظهر في :

1-3-1 الثقافة الشعبية والتنشئة الاجتماعية :

التنشئة الاجتماعية عملية جامعة شاملة لكل ألوان السلوك البشري،والمحيط الذي ظهر فيه،واللغة المعبرة عنه .

والثقافة الشعبية هي التي ينتجها العامة وتكتسب الثقافة الشعبية صفتها "الشعبية " نتيجة لأن العامة من الشعب هم الذين ينتجونها ويستهلكونها ...وللثقافة الشعبية وسائلها و آلياتها التي تتضمن عدم

---

[227] - هدسون ، مرجع سابق ، ص 180

[228] - Sapir .E:Seleted Writing (Vol.2)Barkeley –Los Angelos 1369 P104.

[229] - Ibid .P 118.

[230] - نور الهدى لوشن : مرجع سابق ، ص 77.

سيرورة أي منتج ثقافي ما لم يتقبله العامة،وبالتالي فهم لا يدمجونه في ثقافتهم إلا إذا توافق مع متطلباتهم ورؤيتهم المتجددة مع تجدد أجيالهم وتجدد ظروف معيشتهم ([231]).

فالثقافة الشعبية بصفتها التلقائية والقريبة من لغة الجماعة لها القدرة على التأثير في عملية التنشئة الاجتماعية أيـّما تأثير ،فهي – أي الثقافة الشعبية- الوسط الذي تتغذى منه الجماعة التي أسندت لها مهمة التربية والتنشئة الاجتماعية سواء في الأسرة أو غيرها من مؤسسات الأخرى التي تقوم بهذه المهمة .

وعلى اعتبار أن التربية هي أهم عملية يمر بها الإنسان ؛فهو إذن لا يدخل العمليات الاجتماعية بوصفه مادة خاما ،بل يدخل في صورة معادلة شخصية صاغها التاريخ وأودع فيها خلاصة تجارب سابقة وعادات ثابتة تحدد موقف الفرد أمام المشكلات والمواقف التي يمر بها ([232]).

وعلى اعتبار أن الأسرة النواة الأولى لتطور عملية التربية فهي تبدو أكثر ارتباط بالثقافة الشعبية من خلال الطرق التي يتبناها الوالدان في عملية التنشئة ؛فالأسرة تحمكها علاقات طبيعية تلقائة فهي لا تخضع لأي قواني أو مراسيم .لذلك تنتعش فيها الثقافة الشعبية .ومن الأسرة إلى الشارع حيث يجد الطفل عوالم عديدة واتجاهات كثيرة للثقافة الشعبية بشقيها الايجابي والسلبي .

والأفراد الذين يخضعون لعملية التنشئة الاجتماعية يحمكهم عقل وفكر معينين ،وهنا تتجلى العلاقة بين الفكر والمحيط الخارجي ؛فهي علاقة تأثير من جانب وتأثر من جانب آخر..فالفكر في اتصاله بالبيئة والمحيط يتحول من القوة إلى الفعل ويصبح فكرا حقيقيا أما 1-3-2 **خطاب الجماعة كمنتج ثقافي :**

من الطبيعي أن يكون هناك همزة وصل بين الجماعة وخطابها ،وهذه المهمة تقوم بها اللغة باعتبارها وسيلة لتبليغ ذلك الخطاب ؛وتلك اللغة لم تأت من فراغ وإنما هي نتاج لبيئة المجتمع الثقافية .

فالقول باصطلاحية اللغة يعني أنها نتيجة من نتائج العادات والتقاليد والأعراف والعادات البشرية ،أي أنها عقد اجتماعي قائم بين أعضاء الجماعة اللغوية ([233]).

إضافة إلى كون اللغة وسيلة للتبليغ فهي أيضا أداة لتكيف الفرد مع بيئته ؛ فلا يمكن أن يتلاءم أحد مع الواقع دون استناد للغة ...فالعالم الواقعي مبني لا شعوريا على العادات اللغوية للجماعة([234]) .

واللغة لها أيضا علاقة بما يختلج من أفكار وأحاسيس في نفوس الأفراد تجاه المواقف المختلفة،ويظهر كل ذلك في شكل خطابات شعبية .فما من شك أن أي تعبير شعبي إنما ينبع من احتياج نفسي لهذا التعبير([235]) .

يمكن أن نختصر مفهوم الخطاب في كونه وضع اللغة موضع الفعل أي أن ينظر فيه إلى الجانب المتحرك من اللغة.لا على أنها بنية مغلقة كما تقول البنيوية بل باعتبارها كلا متفاعلا مع أطراف العملية التواصلية (المتكلم – السامع – الرسالة – ظروف تشكل الرسالة وظروف تلقيها) كل ذلك من زاوية كون اللغة وسيلة اتصال ([236]).

---

[231] - عبد الحميد حواس : **أوراق في الثقافة الشعبية**، دار الأمين للنشر والتوزيع ، القاهرة، 2002.ص 72.

[232] - مالك بن نبي : **تـأمـــلات** ،الطبعة5 ، دار الفكر ،الجزائر ،،1991، ص 183

[233] - ذهبية حمو الحاج ،مرجع سابق ،ص22.

[234] - المرجع نفسه ،ص 45.

[235] - نبيلة ابراهيم ،**قصصنا الشعبي من الواقعية إلى الرومانسية**،مكتبة غريب ،القاهرة ،1991، ص118.

[236] - نواري سعودي أبو زيد : **الدليل النظري في علم الدلالة** ،دار الهدى ،الجزائر ،2007، ص 64.

الثقافة ما يتقوم به الفرد ،والجماعة من مناشط الحياة القولية والفعلية ،ويغلب الكلام صفة للثقافة على الفعل عند الحديث عن الثقافة نظرا لأهمية الثقافة المعرفية وقدرتها على طبع الأفعال طبعا معينا ،وتوجيه السلوك الذي يعد محصلة طبيعية للثقافة،حيث يتحول الكلام والفعل الى سلوك مركوز في طبائع الناس ([237]).
إذن فاللغة والجماعة والثقافة يشكل كلا واحدا لا يمكن الفصل بينهم

ثـانيـــــا : الثقافة الشعبية الأبعـاد المجتمعية والدلائـل السسيولوجيـة

2 -1 التراث الشعبي كجزء من الثـقـافة الشعبيــة :

2-1- 1 ماهيـــة التـــراث الشعــبي :

في حين يشكل التاريخ ذاكرة الأمم والشعوب فان الموروث الشعبي يعتبر البصمة المميزة لها و هو أحد محدادات ومكـونـات الهوية في أي مجتمع أو أمة،وهو بالدرجة الأولى مفهوم قبل أن يكون مصطلحا ,يحمل أكثر من دلالة لأنه يرتبط بالإرث الجماعي المشترك.

- **المـفـهـــــوم :**

[237] - محمد بن مريسي الحارثي ، **ثقافة الخوف** ،جريدة الرياض، عدد 138287 ، ماي 2006.

* **التـراث** : هو ما ينتقل من عادات وتقاليد وعلوم وآداب وفنون ونحوها من جيل إلى جيل , نقول : " التراث الإنساني " التراث الأدبي " التراث الشعبي، وهو يشمل كل الفنون والمأثورات الشعبية من شعر وغناء وموسيقى ومعتقدات شعبية وقصص وحكايات وأمثال تجري على ألسنة العامة من الناس ,وعادات الزواج والمناسبات المختلفة وما تتضمنه من طرق موروثة في الأداء والأشكال ومن ألوان الرقص والألعاب والمهارات[238] .

أما جبور عبد النور : في المعجم الأدبي فيعرفه : " ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب ،وخبرات، وفنون، وعلوم ،في شعب من الشعوب،وهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي،والخلقي ويوثق علائقه بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث و اغنائه " [239].

ويعتبر الباحثون أن المأثور الشفاهي هو البذرة الأولى التي نما منها المأثور الشعبي بكل أشكاله و أجناسه[240] ، فالشفاهية تُعرف دائما مقابل الكتابية ؛فهي عدم معرف الكتابة وعدم استعمالها والاعتماد على الذاكرة الصرفة في نقل المعلومات و الاحتفاظ بها ، لذلك فان الشفاهية هي الأصل والكتابة فرع ،كما أن الكتابة لعبت دورا في حفظ جزء من المأثور الشعبي لدى كل الشعوب في شكل الأساطير والملاحم والقصص والغناء الشعبي ....وما إلى ذلك من الأشكال التي اتخذها الموروث الشعبي [241].

عندما يؤكد المؤلف بأن الكتابة قد لعبت دورا في حفظ جزء من المأثور الشعبي يدل دلالة قاطعة أنه ما يوجد في أذهان وعقول الأجداد والأبناء ليس كله بالضرورة يكون مدونا، وهذا يجرنا إلى البحث في ذلك الخطاب الشفاهي الذي إن تعمقنا فيه فإننا سنجد فيه الكثير من القضايا التي تستحق الدراسة والاهتمام .

ودعم ذلك العالم باير H. W.Beier بقوله : " أن التراث مصدر أساسي لمعرفة تاريخ التفكير الفلسفي والفكري لشعب معين " [242].

التراث الشعبي يـُدرس من خلال أنه جزء من الثقافة ،أنه جزء من التراث الإنساني المتناقل من جيل إلى آخر ،أنه التقاليد والعادات ،أنه الميراث الثقافي الذي له تأثيراته على الجوانب الثقافية المختلفة [243].

2-1- 2 أنمـاط التـراث الشعـبي :

يمكن تقسيم أنماط التراث الشعبي إلى نوعين :

*/ النوع الأول يحتوي على العادات و التقاليد وبعض الممارسات المتعلقة بكلا المصطلحين.

*/ أما النوع الثاني فيتعلق بالقصص والأمثال الشعبية والخرافات والأساطير .

وفيما يلي نعالج النوع الأول :

1- **التـقـاليـد** : جمع لكلمة تقليد ،وهي من الفعل قَلَّدَ يُقَلِّدُ تقليدا،ومعناها أن يقلد جيل أساليب الجيل الذي سبقه ويسير عليها ,إن كان ذلك في الملبس أو في السلوك والتصرفات أو في العقائد والأعمال المختلفة التي يرثها الخلف عن السلف .وفي المنجد ,التقليد :ج تقاليد وهو ما انتقل إلى

---

238 - بشير خلف ، مرجع سابق ،

239 - جبور عبد النور : **المعجم الأدبي** ، ط2 ، بيروت :دار العلم للملايين ،1984 ،ص 63.

240 - بشير خلف ، مرجع سابق ، ص 32.

241 -أحمد زغب : **الأدب الشعبي** ، الجزائر : مطبعة مزوار، 2008 ،ص 32.

242 - Beier .W : The Story of sacred Wood carvings , Nigeria : M lagos ,1956

243 - فاروق مصطفى : **الحكايات الشعبية دراسة أنثروبولوجية** ، القاهرة :دار المعرفة الجامعية ، 1991 ص 188.

الإنسان من آبائه ومعلميه ومجتمعه من العقائد والعادات .. ويقال قلد فلانا :أي اتبعه وحاكاه فيما يقول أو يفعل من غير حجة ولا دليل ,والطفل عندما يبدأ النطق فهو يقلد والديه ويحاكيهم في لفظهم وتصرفاتهم [244].

وكثيرا ما نرى ترادفا ظاهرا بين كلمتي عادات وتقاليد فنرى الناس يقولون من عاداتنا وتقاليدنا فعل كذا ... وإذا كانت المدرسة مؤسسة تربوية ممنهجة فان العكس يختلف تماما عن العادات والتقاليد داخل الأسرة فبعض تنتهج عادات وتقاليد ايجابية والعكس لبعض الأسر،لأنه من المنطقي أن العادات والتقاليد ليست كلها ايجابية [245].

فالتقاليد هي المحاكاة لسلوك القدامى والمتوارث عنهم،كما تمدنا بمجموعة من الأنماط السلوكية المعدة والجاهزة من قبل لكي نتبعها حتى نستطيع تحقيق الحاجات الأساسية،كما أنها ترسم لنا الأساليب والتصرفات التي تتيح التعاون والتفاعل والتكيف في المواقف المختلفة،ومهما كانت أهمية التقاليد إلا أنه لا يمكن أن نغفل سيطرتها وطغيانها على حياة الناس فهي تقيد سلوكهم وتتدخل في كل أنوع النشاط المتبادل بينهم وتمارس ضغطا قد يصعب على البعض التخلص منها[246].

وقد أولى ابن خلدون عناية كبيرة لتحكم الجماعة في حرية الفرد عن طريق التقاليد لما شاهده من تأثير حاسم لها في حياة الجماعات والأفراد .وعلل بها كثيرا من الظواهر الأخلاقية والسياسية والمعايشة أيضا .واتخذ قاعدة يفسر بها هذه الظواهر وهي أن الإنسان ابن عوائده ومألوفه لا ابن طبيعته ومزاجه،وهو يستعمل كلمة العوائد والتقاليد وكلمة العادة والاقتداء والمحاكاة دون أن يميز بينهما ولكنه يلح على أنها جميعها قاهرة ولا يقهرها شئ([247]) .

من خلال ما سبق نستطيع أن نقول أن التقاليد سلاح ذو حدين فمنها ما هو ايجابي ويعزز كل ما هو سامي ومفيد من تجارب الآباء والأجداد،ومنها ما هو على العكس تماما تقاليد أكل عليها الزمان وشرب وفيه ظلم لبعض الفئات الاجتماعية ..فيجب الحذر والتفكير النقدي في كل ما ورثناه .و أن نقوم بعملية غربلة وتصفية نأخذ من خلالها السمين والمفيد ونترك الغث والذي لا يقدم أية إضافة حضارية للمجتمع .

2- العـــادات :

أ – المفهوم :

يمكن أن نعرف العادات الاجتماعية بصفة عامة كما يعرفها " جلن وجلن " Gillin&Gillin ، هي (كل سلوك متكرر يكتسب اجتماعيا ،ويتعلم اجتماعيا ويمارس اجتماعيا ويتوارث اجتماعيا .) ،وليس معنى هذا أن كل سلوك متكرر يدخل في إطار العادات الاجتماعية ,فهناك أنواع من السلوك المتكرر تعتبر عادات خاصة بالفرد [248] .

---

[244] - بشير خلف ص 54

[245] - المرجع نفسه ،ص55

[246] - Rohden ,R ,Peter : **Tradition in Encyclopedia the social** ,Science, Vol 13,pp62.65

[247] - عبد الله شريط ، **الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون** ،مرجع سابق، ص 190.

[248] - فوزية ذياب : **القيم والعادات الاجتماعية** ،بيروت : دار النهضة ، 1980 ، ص 105.

بل تعد في كثير من الأحيان لوازم له شخصيا ،أي أنها ليست عادات تشترك فيها الجماعة .فالعادات الاجتماعية ظاهرة اجتماعية تمثل أسلوبا اجتماعيا ، بمعنى أنها لا يمكن أن تتكون وتمارس إلا بالحياة في المجتمع والتفاعل مع أفراده وجماعته [249]. فالتفاعل عملية ترتبط بالإنسان الذي يقوم بأداء فعل معين بغرض إحداث التأثير في الآخرين ...يخضع لثقافة سائدة تؤثر في عاداته ومعتقداته وطرائق تفكيره [250]. ويرى " ادوارد سابير" : أن العادة الاجتماعية مصطلح يستعمل للدلالة على مجموع الأنماط السلوكية التي تحتفظ بها الجماعة وتترسمها تقليديا (by tradition)[251].

وقد سماها ابن خلدون القيد الأكبر –أي العادة – فالإنسان ابن عوائده المناخية والاقتصادية والاجتماعية .بل وحتى فكره عبد لما يتعود عليه من أفكار أو أسلوب في التفكير ([252]).

ب- أهمية العادات الاجتماعية :

العادات الاجتماعية لها وجودها كحقيقة ملموسة في كل جوانب الحياة اليومية ،فهي ممارسة اجتماعية لما ترتضيه الجماعة وتفرضه على أعضائها،وعندما يستمر استعمال العادات الاجتماعية لفترات طويلة تصبح تقليدا[253] .

والعادات الاجتماعية لها قيمة معيارية ،بمعنى أنه تتطلب الامتثال الجماعي والقبول والموافقة الجماعية التي قد تصل في بعض الأحيان إلى الطاعة المطلقة ،وتتوقف العادات الاجتماعية على ظروف المجتمع ,فهي تختلف بحسب المجتمعات وحسب الأزمنة[254] .

والإنسان كما يقول عنه " باجوت Bagehot " حيوان صانع عادات ،فطبيعتة كانسان تحتم عليه أن يقيم صرحا من العادات والمعتقدات ،وهو إذ يفعل هذا إنما يرسي دعائم المجتمع،وأن وسيلته إلى هذا هي الشعور بالحاجة إلى الإشباع والقوة الخفية وراء المحاكاة [255].

وقد تمارس العادات الاجتماعية على نطاق شعبي كبير،فتصبح نتيجة للتكرار الدائم عادات شعبية أو أساليب وطرائق شعبية Folk –Ways على حد تعبير سمنر ,والذي يرى أن لها قوة مجتمعية societal force أو قوة على مستوى المجتمع كله[256] .

---

[249] - فاروق أحمد مصطفى : مرجع سابق ، ص 69.

[250] - فوزية ذياب: المرجع السابق ، ص 106.

[251] - المرجع نفسه ، ص 107.

[252] - عبد الله شريط ، **الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون** ،مرجع سابق، ص 193.

[253] - فاروق أحمد مصطفى ، مرجع سبق ذكره ، ص 79.

[254] - أحمد أبو زيد : **الأساليب الشعبية دراسة تحليلية لآراء ويليام جريهام سمنر في دراسة الفلوكلور** ، دار الطباعة للثقافة ، ،1972 ص 118.

[255]- فوزية ذياب: مرجع سابق ، ص 110.

ج – خصائص العادات الاجتماعية :

1- التلقائية :

لما كانت العادات الاجتماعية أو الطرق الشعبية تنبثق من حاجات الناس الطبيعية والحيوية،فان العلماء يميزونها دائما بأنه تلقائية (Spontaneous) أي تتكون داخل الجماعات بصورة غير واعية (unconsciously) وغير مقصودة ،ودون تأمل أو هدف منطقي ،ذلك لأن أساسها المحاولة العشوائية والتجربة والخطأ ،فهي تمثل ضرورة اجتماعية تلقائية وظاهرة جوهرية لمعيشة الناس بعضهم مع بعض إذ تربط فيما بينهم في الحاضر ,وتلقنهم تجربة الماضي ,وتسهل عليهم معاملاتهم المتبادلة ؛هكذا ينشأ كل منا فيجد أمامه "رصيد" مدخر من العادات التي ارتضتها جماعته فالعادات إذن سابقة على الفرد ،كما أنه ليست من خلقه وتفكيره الهادف،بل تنبثق من المحاولة والخطأ وتنمو مع التجربة[257].

2- الإلــزام والجبرية :

من مميزات العادات الاجتماعية أو الطرق الشعبية أنها ملزمة وجبرية ،أي أن لها سلطة وسلطانا على الأفراد يضغط عليهم ويشعر كل واحد منهم أنه مضطر للخضوع لها .وفي الوقت نفسه نجد أنفسنا متمسكين بها .فهي تلزمنا وفي الوقت نفسه نجد راحتنا في إطاعتها،وهذه الخاصية الإلزامية الجبرية يمكن تفسيرها على ما قاله دوركايم من أنها مستمدة من المجتمع ممثلا في العقل الجمعي ؛والعقل الجمعي في نظر دوركايم مصدر كل الوقائع أو الظواهر الاجتماعية .فالعادات ما هي إلا نماذج للعمل و أنماط للسلوك يرسمها العقل الجمعي لكي يسير عليها الأفراد [258].

3- الاتصال بنــواح أسطوريــة وعنــاصر خـرافيــة :

ومن مميزات العادات الاجتماعية أو الطرق الشعبية في جميع الثقافات بصفة عامة،وبصفة خاصة أيضا في الثقافات المتخلفة والقطاعات المنعزلة أو التي تنتشر فيها الأمية ،أنها تتصل بنواح أسطورية وعناصر سحرية وخرافية كالاعتقاد في أرواح أجدادنا وأسلافنا تغضب أشد الغضب إذا نحن حاولنا أن نغير أو نقطع عاداتهم التي ورثونا إياها, وفي ذلك تقول العامة في مصر : (قطع العوايد فال)* أي فال سئ ونذير شؤم محقق ،وكالاعتقاد في القوة الخفية الخارقة للشياطين والجان والأرواح الخبيثة والشريرة .فكثير من الناس في مصر ،وبخاصة العامة والسذج يخافون المبيت في منزل مهجور أو مكان منعزل خشية أن تصيبهم الأرواح المحبوسة .وكذلك يحرصون أشد الحرص على ألا ينام الطفل في حجرة وحده أو في أي مكان مظلم وإلا أضر به إخوانه من الجان وإذا استوحينا مصنفا مثل "موسوعة الخرافات" التي جمعها (أدون و مونا رادفور) لوجدنا أن مثل هذه العادات تشيع في ثقافات مختلفة ومتعددة[259] .

---

[256] - أحمد أبو زيد، مرجع سابق ، ص 119.

[257] - فوزية ذياب، مرجع سابق ، ص 119

[258] - المرجع نفسه ، ص 120.

* - وفي نفس السياق هناك مثل سوفي دارج وهو : (الله لا يقطعلك عادة) بمعنى الدعاء للآخر في أن يلتزم بعاداته و ألا يغييرها بغض النظر عن فائدتها من عدمها.

[259] - فوزية ذياب: مرجع سابق ، ص 123.

وحقيقة الأمر أنه لا يكاد يوجد مجتمع في العصر الحالي يخلو من الخرافات ومن أنماط السلوك المتصل بالتفكير الخرافي ,برغم ما يبدو في هذا من تناقض مع ظروف العصر وما وصلت إليه العلوم ومن تقدم هائل في مختلف الميادين .

ويمكن تفسير الخرافات السائدة في المجتمع الحديث بأحد أمرين : - أولهما :أن تكون الخرافات من مخلفات الماضي البعيد ومن نتائج خبرات الإنسان في عصور كانت خبراته فيها محدودة وإمكاناته في البحث عن المعرفة قاصرة و عاجزة ،ثم انتقلت تلك المعتقدات الخرافية من جيل إلى جيل عن طريق التربية والتعليم حتى أصبحت جزءا لا يتجزأ من التراث الثقافي للمجتمع . – والأمر الثاني : أن بعض الخرافات من صنع العقلية الخرافية التي ورثها الإنسان والتي يطبقها على ما يصادفه من مشكلات معاصرة [260].

ويبدو أن السبب الرئيس في التجاء الإنسان إلى ممارسة السلوك والعادات المتصلة بالتفكير الخرافي ،هو العجز و الضعف إزاء حاجاته الأساسية ومشكلاته المستعصية،وعدم القدرة على التفكير المنطقي السليم . فالمرأة التي تشعر بالقلق مثلا لعدم النسل عموما أو لعدم خلف الصبية بالذات وتخشى على حياتها الزوجية قد تلجأ إلى السحر .فالواقع أن الخوف الشديد والتوجس المستمر أهم الأسباب التي تساعد على شيوع العادات الخرافية ,وبخاصة إذا اجتمع مع هذا الخوف الشديد الجهل والشعور بالضعف والعجز على العمل الايجابي [261].

في قراءة نقدية لخصائص العادات الاجتماعية نـــلاحظ :

* نلتزم بها دون تفكير أو تأمل في معظم الأحيان , وغياب التساؤلات المنطقية في قراءتنا لهذه العادات

* نأخذ جل العادات دون النظر في فائدتها أو محاولة مقاربتها بضرورات واقعنا المعاش وما يفرضه علينا من تحيات .

*الجهـــل الـــذي يصاحب فهمنـــــا لكـــثيـــر مـــــن العـــــــادات .

* الخوف الذي تزرعه فينا بعض العادات وهذا الخوف هو نتيجة تربية فهو سلوك مكتسب وليس طبيعة فطرية تولد مع الإنسان،وهنا نعود لبعض الاتجاهات السلبية التي نتربى عليها وهي لم تأت من فراغ وإنما هي مترسخة أو مترسبة في عقلية آبائنا و أجدادنا .

وبعد معالجة النوع الأول من أنماط التراث الشعبي،فيما يلي نقوم ببحث النوع الثاني :

1- الأمثـــال الشعبيـــة :

أ- المفهوم :

---

[260] - فوزية ذياب: مرجع سابق ، ص 125.

[261] - المرجع نفسه ، ص 126.

وهي كثير تحمل حكم ومعاني متوارثة عبر الأجيال،وتلخص تجارب حياتية للأفراد والجماعات وهي ترتبط ارتباطا وثيقا بالتراث الشعبي[262] . والمثل هو ليس مجرد شكل من أشكال الفنون الشعبية ،وإنما ناتج عن صراع مع الحدث تدفع إلى قول أحد الأمثال لذلك فان المثل الشعبي يؤثر مباشرة في سلوك الناس([263]) .

الأمثـــال: باب من أبواب القول ،وهي في الوقت نفسه ميدان من ميادين التربية ,فهناك التربية بالقدوة والتربية بالقصة ،والتربية بضرب الأمثال [264].وهذا فيه تأكيد على الدور التربوي الذي يؤديه المثل الشعبي بصفة خاصة والتراث الشعبي بصفة عامة .

ب- نشـأة المثــل الشعــبي :

يرى الألماني فريدريك زايلر أن المثل الشعبي أبدعه الفرد ,فالشعب لا يستطيع أن يتواضع على خلق شكل أدبي مكتمل كالمثل الشعبي ،وترى الدكتورة نبيلة إبراهيم أن هذا القول ينطبق على كل الأنواع الشعبية من خرافة وحكاية وغيرها ،" فلا بد أن كل مثل نطق به فرد في وقت معين وزمن معين ,فإذا مس المثل حس المستمعين ،فهو حينئذ ينتشر بينهم ,وكأنه عبارة ذات أجنحة ،وعندئذ يتعرض المثل للتحوير والتهذيب حتى يُوضع في قالبه القانوني بوصفه مثلا شعبيا "[265].

وتعقب نبيلة إبراهيم على قول زايلر فتقول : " وان كان زايلر على حق في مساهمة الفرد والجماعة في إنتاج المثل الشعبي ،فان المثل الشعبي لا يصبح مثلا ولا يصبح عبارة ذات أجنحة إلا في المرحلة الثانية لانتقاله أي عندما يساهم الشعب في وضعه" [266]. وهذا يؤكد أنه لا معنى للمثل الشعبي بمعزل عن المحيط الثقافي الاجتماعي وأنه لا يمكن فهمه وقراءته إلا في تلك البيئة التي ظهر فيها .

ويرى الدكتور عبد القادر شرشار أن المثل فن قديم يصاغ انطلاقا من تجارب وخبرات عميقة ،يحمل تراث أجيال متلاحقة، يتناقلهـــا الناس شفاها وكتابة تعمل على توحيد الوجدان والطبائع والعادات ...لذلك ينظر إليها باعتبارها وثيقة تاريخية ،واجتماعية [267].

إن نشأة المثل غير واضحة تماما ،فليس هناك من يجزم بأمر في تاريخ نشأته ومكانته والأرجح أن يكون نشوء المثل قد ترافق مع ذيوع الكتابة .ومما يراه هذا الباحث أن الأمثال الشعبية نشأت مع وجود الكتابة واستدل على ذلك بالألواح السومرية والكلدانية التي دونت الأمثال ،غير أننا نرى كل الشعوب التي لا تعرف الكتابة لها أمثال شعبية ولم تفكر في تدوينها [268].

---

[262] - بشير خلف، مرجع سابق، ص 55.

[263] - http ://wesam333.jeeran. com / welcome7. gif

[264] - بشير خلف، المرجع السابق ، ص 56

[265] - نبيلة إبراهيم : **أشكال التعبير في الأدب الشعبي** ، ط3، القاهرة :مكتبة غريب للطباعة (ب ت) ، ص 173.

[266] - نبيلة إبراهيم : **أشكال التعبير في الأدب الشعبي** ، مرجع سابق ، ص 176.

[267] - أحمد زغب، مرجع سابق ، ص 88.

[268] - المرجع نفسه، ص 89.

ج – وظائف المثل الشعبي :

اختلف الدارسون في تحديد المثل الشعبي واعترف أكثرهم بأن تعريف المثل الشعبي صعب بل لقد ذهب"وتنج" إلى أن من المستحيل تعريف المثل الشعبي تعريفا موجزا ،كما أكد آرثر تايلور إن كتابه كله عبارة عن تعريف للمثل الشعبي لذلك لجأ البعض إلى تعريف المثل انطلاقا من وظيفته كما لجأ آخرون إلى تعريف انطلاقا من بنيته[269] .

وفي إطار الحديث عن وظائف المثل الشعبي تتجلى لنا وظيفة أساسية وجوهرية وجامعة لجل وظائفه وهي :

التعبيـــر عـــن التجـــربـــة:-

حين نتساءل عن سر استحواذ المثل على هذه الشعبية وعن سبب استخدام جميع الناس للأمثال تقول الباحثة نبيلة إبراهيم : " إننا إذا تأملنا الحياة بوصفها صنوفا شتى من المدركات والأحوال المعاشة فإننا نلاحظ أن هذه المدركات والأحوال تنتمي إلى ما نسميه بالتجربة، وعلى الرغم من أن هذه التجارب يتكرر حدوثها كل يوم، فانها تظل وحدات متنوعة وتظل كل تجربة تدرك في كل مرة في حد ذاتها,كما أن قيمتها تعيش فيها وحدها ،فإذا حولنا أن نخضع هذه التجارب لأحكام عامة ثابتة ،فإننا لا نستطيع أن نفعل ذلك ،لأن تجاربنا في الحياة قد تتفق في نتائجها وقد يتناقض بعض هذه النتائج مع بعضها الآخر وقد تعبر هذه التجارب عن النظام الكامل في حياتنا وقد تعبر عن أحوال عالمنا الذي تسير فيه الأمور على غير هدى ,فمثـــل (ابن الوز عوام) يعبر عن مدرك من مدركات الحياة ،يصح أن يصبح قاعدة ،لكننا نفاجأ بمثل آخر يناقضه تماما وهو (باب النجار مخلع) فإذا بالمثلين يقف كل منهما على حده ليعبر عن تجربة منفردة ,وهذا ..يدل على أن عالمنا ليس نظاما كونيا يخضع لقوانين محددة إنما هو عالم الغرائب عالم تجريبي اختباري [270].

ولما كانت تجارب الإنسان تشغله إلى حد كبير، فان الإنسان لا يعيش في عالمه بقدر ما يعيش في عوالمه الصغيرة ،أي في تجاربه ،وكلما عاش الإنسان هذه التجارب وأحس بوقعها على نفسه، كان أشد ميلا للتعبير عنها وعن نتائجها ،فقد يحدث أن يفشل في أمر ما ،كان يتوقع نجاحه فيه، فإذا شاء هذا الشخص أن يصف سوء مصيره وعجزه ،فانه يعبر عن ذلك بكلمة حظ [271] .

إذن الأمثال الشعبية تعبر عن الفلكور وتنقل الفكر والاتجاه الشعبي للمجتمع تجاه الظواهر والممارسات الحياتية المختلفة بما تحويه من معتقدات وأساليب شعبية، مما يجعلها جزءا هاما من ثقافة الشعوب وانعكاس للخبايا النفسية لكل شعب، كما أنها تنقل القوانين والأعراف الاجتماعية التي يلتزم بها الجميع، بما تنقله من صور ونماذج عديدة لجوانب من الحياة الإنسانية، فهي تعتبر موجز بليغ عن تجربة مر بها الإنسان عبر حياته وتناقلتها الأجيال .

تترجم المقولات السابقة خصائصا مهمة في الأمثال الشعبية وهي:-

---

269 - آلان دندس :**حول بنية المثل الشعبي** ، ترجمة : خطري عرابي ، مجلة الفنون الشعبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، عدد 53 أكتوبر 1996.

270 - أحمد زغب، مرجع سابق ، ص 90.

271- نبيلة إبراهيم : **أشكال التعبير في الأدب الشعبي**، مرجع سابق ،ص 177

* أن ظهورها يكون تلقائيا لا يخضع لأي قواعد أو أحكام مسبقة.

*وهناك أيضا شئ من التناقض الذي يشوب بعض الأمثال الشعبية .

*إضافة إلى كونها قد تعبر عن حادثة فردية جزئية وقد تعكس ظاهرة اجتماعية عامة.

لا تتوقف وظيفة الأمثال عند حد رسم معالم الحياة الاجتماعية ورصد الواقع الإنساني وتقييمه ،بل تقدم النموذج الواجب إتباعه ،أو صور من الحياة وأبعاد النفس الإنسانية في حالاتها المختلفة دون نقد وتقييم .

2- القصة الشعبية :

نجد لدى الدارسين العرب – في أكثر الأحيان – استعمالا عشوائيا ,أو على الأقل غير دقيق للمصطلحات التالية : القصة الشعبية ،الحكاية الشعبية ،الخرافة الشعبية ،الحكاية العجيبة ،والحكاية الخارقة ...الخ[272] .

وقد تستعمل بعض هذه المصطلحات استعمال المترادفات كالقصص الشعبي والخرافة الشعبية ،وقد تستعمل دون تمييز بين المصطلح والمفهوم الذي يشمله[273] .

ونميل إلى ما اقترحه الدكتور مصطفى يعلى في كتاب القصص الشعبي بالمغرب ([274])؛وهو التمييز بين خمسة مصطلحات في هذا الصدد :

أ- **القصص الشعبي** :وهو مصطلح عام يشمل جميع الأنواع السردية الشعبية بلا استثناء .

ب- الحكاية العجيبة : النوع السردي الشعبي ذو العوالم العجيبة .

ج- الحكاية الشعبية : النوع السردي الشعبي القائم على مفارقات الحياة ،اليومية الواقعية بأسلوب رمزي لغاية تعليمية محض .

د- الحكاية المرحة : النوع السردي القائم على مفارقات الحياة الاجتماعية الواقعية ،لكن بأسلوب مرح يسلي وينتقد .

و- الحكاية الخرافية الرمزية (الفابولا) : النوع السردي الشعبي الدائر في عالم الطبيعة بأسلوب رمزي لغاية تعليمية محض . فالحكايات الخرافية تتفق جميعها في كونها بقايا معتقدات تصل في تاريخها إلى أقدم العصور ([275]).

ما يهمنا من كل هذا هو تحديد والتعرف على مفهوم القصة الشعبية و الحكاية الشعبية ،فقد عرفتها نبيلة إبراهيم بقولها : " إن الحكاية الشعبية قصة ينسجها الخيال الشعبي حول حدث مهم

---

[272]- أحمد زغب، مرجع سابق ، ص 45.

[273] - المرجع نفسه ، ص 45.

[274] - مصطفى يعلى :**القصص الشعبي دراسة مورفولوجية** ، الدار البيضاء :شركة النشر والتوزيع المدارس ، 1999 ،ص 47.

[275] - فرويش فون ديرلاين :**الحكاية الخرافية** ، ترجمة :نبيلة إبراهيم ، القاهرة : مكتبة غريب،بدون تاريخ ،ص 32.

،وأن هذه القصة يستمتع الشعب بروايتها والاستماع إليها إلى درجة أنه يستقبلها جيلا بعد جيل عن طريق الرواية الشفوية "[276] .

الخيال محله العقل وهو ناسج القصة الشعبية وحافظها لأجيال متعاقبة ،وهي في نفس الوقت تؤثر في حياته وتشكل ثقافته من خلال ما تمارسه من سلطة على مسار تفكيره .

إن السمة الأساسية للحكاية الشعبية هي كونها مأثورة ،وعلى هذا فمن الممكن تلخيص مفهوم الحكاية الشعبية بأنها الحكاية النثرية التي انتقلت من جيل إلى آخر سواء كانت مدونة أو اعتمدت على الكلمة المنطوقة [277].

وفي إطار معالجتنا لأنماط التراث الشعبي يصادفنا مفهوم الأسطورة سنحاول تعريفه بصورة موجزة لأنه مفهوم مهم وله علاقة ضمنية بتساؤلات و أهداف الدراسة.

***الأســــــــطــورة :-**

جاء في قاموس الأنثروبولوجيا أن الأسطورة Myth قصة تقليدية من عالم غير موجود (متخيل) وزمن غير معروف ،ولمؤلف مجهول،أبطالها خياليون ،وهم رجال وحيوانات وآلهة وأرواح ومخلوقات فوق طبيعية ،وتفسر الأسطورة نشأة معاني والمعتقدات والظواهر الطبيعية ،أو أية حقائق أخرى يعجز أفراد المجتمع عن تفسيرها ...وتلعب الأسطورة دورا رئيسيا في الحياة الاجتماعية والدينية للشعوب البدائية خاصة و أن طقوس تلك الشعوب تحتاج إلى تبرير أو ربط بالماضي أو جو من التقديس [278].

ويرى ميرسيا الياد [*] أن الأسطورة حكاية مقدسة أو تاريخ مقدس ،ولحكايات التاريخ المقدس والذي يخص الآلهة حصرا مجموعة من الصفات والميزات ،فهي شكل من أشكال الأدب الرفيع تحكمه قواعد السرد القصصي ،وتكون هــذه القصص ذات ثبات نسبي تتناقلها الأجيال شفاهة وكتابة [279].

الأسطورة لا مؤلف لها لأنها ليست نتاج خيال فردي أو حكمة شخص بعينه ،بل هي ظاهرة جمعية ,وقد يعيد الأفراد صياغتها وفق صنعة أدبية ،كما أن الأسطورة تتمتع بقدسية عالية ولها سلطة عظيمة على عقول الناس ونفوسهم وعلى عصرها ،وهي مربوطة بنظام ديني معين إذا انهار تحولت إلى حكاية دنيوية وأصبحت تنتمي إلى نوع آخر شبيه بالأسطورة مثل الحكاية الخرافية أو القصة البطولية[280] .

---

[276] - ثريا التيجاني : ، مرجع سابق ، ص 14.

[277] - بشير خلف ، مرجع سابق ، ص 59

[278] - شاكر سليم ، مرجع سابق ، ص 659.

[*] - مؤرخ روماني معاصر اختص في تاريخ الأديان ولد في بوخاريست 1907 من مؤلفاته المقدس والمدنس مترجم الى اللغة العربية من طرف الأستاذ عبد الهادي عباس .

[279] - أحمد زغب ، مرجع سابق ، ص 13.

[280] - خزعل الماجدي ،أدب الكالا أدب النار ، سلسلة ميثولوجيا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، عمان ،،2001 ص 40.

لذلك فانه كثيرا ما تلتبس الأسطورة بالخرافة في الاستعمال العامي ،وقد يستعملان بوصفهما كلمتين مترادفتين ،وذلك لاشتراكهما في التعبير عن اللامعقول واللاواقعي وترى الأستاذة الباحثة نبيلة إبراهيم أنهما (أي الخرافة والأسطورة) يحققان في الغالب هدفا واحدا هو إعادة النظام إلى الحياة ،غير أن الأسطورة تتميز بسلوك روحاني يختلف عن الخرافة [281].

وتظهر أهمية الأسطورة من ناحية بحثها في عقلية الأمة العربية وخيالها في ضوء بيئتها الطبيعية والاجتماعية ، وذلك لأن البحث في أساطير الأولين هو بحث في التفكير ومناهج النظر البشري ،فهو يرينا كيف شرع الإنسان الأول يفكر في نفسه وفي خالقه وفي الرابطة بينه وبين الموجودات معنوية كانت أو مادية...تقدير الخيال العربي باعتبار قابليته لتوليد الأساطير [282].

بعد معالجة أنماط التراث الشعبي بكلا نوعيه تبين أن هناك ارتباطا بين مصطلحات النوعين ووجود علاقة تصل في بعض الأحيان إلى حد الخلط بينها ،إلا أن تلك المصطلحات جميعا تشترك في صفة أساسية وهي أنها تعبر عن مظاهر السلوك الجمعي وأساليب الناس في العمل والتفكير .

2-2 الـرمـز ودلالته السسيولوجية في بناء الثـقـــافة الشعبيـــة :-

يرى " لزي هوايت – le :lie white" أن كل ألوان السلوك الإنساني تنبع من استعمال الرموز ،فالرمز هو الذي استطاع أن يحول أجدادنا إلى أشخاص متفاعلين .فعن طريق الرموز نبعت جميع الحضارات ،وجميع أنواع السلوك الإنساني تتكون من الرموز وتعتمد على استخدامها ،فالسلوك الإنساني سلوك رمزي والسلوك الرمزي سلوك إنساني[283].

يرى "بيرس" أن الرمز علامة العلامة ،أي أنه أنتج ليقوم مقام علامة أخرى مقصودة،على أنها علامات عرفية لا رابطة بين طرفيها إلا ما يكرسه المجتمع من حالة الرمز على موضوعه([284]).

فالإنسان يستطيع عن طريق الرموز على اختلاف أنواعها نقل أفكاره إلى غيره وتصوير مواقف كثيرة ،ووصف أنواع السلوك والاتجاهات والمشاعر...وقد ورد في قاموس "فيرتشليد " : (أن أصل الثقافة كصفة مميزة للجنس البشري يرجع إلى قدرة الإنسان الفائقة على التعلم من خبراته ،وعلى نقل ما يتعلمه بواسطة الرموز...)[285].

فالرمز يشير إلى ظاهرة قد تكون مادية كشيء أنتجه الإنسان ؛فقطعة الذهب أو الفضة التي يُشكل منها مصحفا صغيرا أو صليبا لا تأخذ قيمتها من بعض الخصائص المادية للذهب و الفضة ،وإنما مما يضفيها عليها من المعتقدات [286].

هـذا يعني أن الرمز المستخدم بين جماعة معينة يجب أن يكون مقبولا وأنه يرتبط بفكرة معينة أو بحقيقة معينة [287].فالرمز المستخدم يلزم على الفرد في أدائه لسلوك معين إرضاء الجماعة التي

---

[281] - أحمد زغب ، مرجع سابق، ص 14.

[282] - محمد عبد المعيد خان : **الأساطير والخرافات عند العرب** ، الطبعة3،دار الحداثة ، لبنان ،1981،ص 16.

[283] - فوزية ذياب ، مرجع سابق ، ص 177.

[284] - ذهبية حمو الحاج،مرجع سابق ،ص 17.

[285] - فوزية ذياب ، المرجع السابق ، ص178.

[286] - فاروق أحمد مصطفى، مرجع سابق ، ص 65.

[287] - المرجع نفسه ، ص 66 .

شكلت شبه اتفاق على ما يجب استخدامه من الرموز وما لا يجب أن يُتعامل به اجتماعيا وإلا عُد الفرد شاذا عن سلوك الجماعة .

والرموز أشياء تدل على أشياء أخرى وهي تشتق معناها ووظيفتها الأساسية من إجماع الجماعة التي تستعملها على مدلولات معينة . فالرموز كما يقول " ميكفر": (تمثيل لمعنى من المعاني أو قيمة من القيم ،والرمز علامة خارجية أو ايماءة تُنقل عن طريق التداعي ،أو اتصال يحدث بين الأشخاص سواء عن طريق اللغة أم عن طريق آخر غيرها .لا بد أن يستخدم الرموز ومن النادر أن يستطيع المجتمع أن يعيش بدونها) [288].

فالدلالة السسيولوجية للرمـــز تـتـلخص في :

- يمثل اتـفـــاق الجماعـــة
- يـــدخل في تـشكيـــل المعـتـقـــدات وبـــالتـــالي يسهـــم في بناء الثقافة الشعبية .
- أن الرموز لا تستمد قـــيمتهـــا من ذاتهـــا وإنما من مـــا يضفيه الناس من معتـقـدات و تصورات
- أن الأشياء المادية شأنها شأن المعاني يمكن أن يجعل لها الناس هالة من القداسة.

يمكن الآن وفي نهاية هذا الفصل أن أؤكد أن للثقافة الشعبية أبعادا اجتماعية ودلائل سسيولوجية وهي:-

* **البعـد التربوي** : تكتسي الثقافة الشعبية أهمية خاصة مميزة ,فمن خلالها يكتسب الفرد أبجديات التعامل مع عامة الناس ويتطبع بأنماط من السلوكات والأفعال التي تؤهله إلى احتلال مكانته والقيام بأدوار اجتماعية يساهم بها في النهوض بنفسه ومجتمعه ،على أن ذلك التطور والتقدم في بناء الشخصية الإنسانية لا يسير دائما على ما يرام ويرجع ذلك إلى نوعية الثقافة المكتسبة ...فيمكن لنا أن نبني على أساس تلك الثقافة المكتسبة حياتنا كلها قياسها بالسيطرة التي تمارسها علينا وكذا رؤيتنا نحن لها

* **البعد التواصلي** لخطاب الجماعة ،وأهمية اللغة الشعبية أو العامية كوسيط بين الجماعة وخطابها .

* **البعد التاريخي** وكيف تمكنا سواء عن طريق الكتابة أو المشافهة أن نحافظ على ذلك التراث بشتى أنواعه عبر مراحل زمنية طويلة ومتعاقبة .

* **البعد الحضاري** : من خلال ثـقـافـة وتراث المجتمع ندرك ثقافته وحضارات رؤيته لشتى المواضيع ،فهي المرآة العاكسة أو الوجه الآخر للمجتمع .

إضـــافـــة إلـــــــى :

---

[288] - فوزية ذياب ، مرجع سابق ، ص 180

* **عـشوائية الثقـافة الشعبية** :وهـذا يطرح أكثـر من تسـاؤل ،ويمكـن أن يشكل خطرا، لأنـه للأسف لا يوجد في العالم العربي فـرع أكاديمي- وان وجد فهو على مستوى محدود- يهتـم بـدراسة هـذا النوع من الثقـافة ويقـننهـا ويجعلها تسير في مسارها الطبيعي الـذي من شـأنه أن يكـون معـول بنـاء للمجتمـع لا العكـس.

خـلاصـة :

مـن خـلال هـذا الفصـل تطرقنا إلى أهمية القـول الشعبي في خطاب الجماعـة ،وكـذا اكتـشفـت الأبـعـاد الاجتماعية والدلائـل السسيولوجية للثقافـة الشعبية ،وخرجـت بقاعـدة ملخصة لكـل ما جاء في الفصـل وهـي :

فكمـا أن الثقافـة الشعبيـة تبني شخصية الإنسـان فان شخصية هذا الأخيـر و سلوكاته هما من يشكلان الثقافة فالسلوك أساس الثقافة لأنه وبكل بساطة؛ تتجلى ثقافـة الإنسان بكل ما تحويه من لغـة معتقـدات وعـادات وطرائق تفكـير تتجلـى في سلوكاته . فممـارساتـنـا هـي المحـك الحـقيقي لثـقـافتنـا.

تمهيـد:
في هذا الفصل سيتم التركيز على الحديث عن مجتمع وادي سوف وذلك من خلال أربع محاور؛ في أولاها سنتعرف على الموقع الجغرافي لوادي سوف وكذا تركيبته الاجتماعية، وفي المحور الثاني سنتحدث عن التطور التاريخي للأسرة السوفية وأبرز مظاهرها الاجتماعية ،أما في الحور الثالث سنركز الحديث في عن التطبيع الاجتماعي للمرأة السوفية، و نختم الفصل في المحور الأخير بالحديث عن المميزات الثقافية لأهل سوف.

أولا :- وادي ســـوف الموقع الجغرافي والتركيبة الاجتماعية

1-1 الموقع :

تقع منطقة وادي سوف في الجنوب الشرقي من القطر الجزائري ،وسط العرق الشرقي للصحراء الجزائرية ،تبلغ مساحتها حوالي 82كم^2، يحدها شرقا ولايات قبلي وتوزر ونفطة ونفراوزة بالقطر التونسي ،و جنوبا واحات طرابلس وغدامس وما والاهما بالقطر الليب،وغربا تقرت وتماسين من ولاية ورقلة ،وشمالا ولاية تبسة والزاب من بسكرة [289] .

2-1 أصل تسمية سوف :

وادي سوف منطقة ذات تاريخ عريق ،وهي تحمل اسما مركبا من كلمتين :وادي ،وسوف وهي ذات عدة معاني دلالية تنسجم مع طبيعة المنطقة وخصائصها الاجتماعية والتاريخية[290] .

فأصل تسمية وادي سوف : فهناك عدة روايات وتفسيرات ؛ فيقال أنه في القديم كان يجري بها وادي من الماء ،ومع مرور الزمن جف ماء الوادي ،فذهب الرسم وبقي الاسم ،ونظرا لعدم وجود الغابات والأشجار بالوادي فقد غطته الرمال منذ القديم ،حيث أتته من جهة الجنوب ،من الصحراء الكبرى ،وما زالت تتزايد إلى وقت قريب،وتتشكل هذه الرمال في شكل كثبان يطلق عليها الأهالي اسم "السيوف" وهي من أبدع ما صنع الخالق ،كما تنتشر بها غابات النخيل ،فهي واحة جميلة غناء،حافظت على طابعا وشكلها المميز مئات السنين ،ويتميز بناؤها بالقباب المستديرة ،المنتشرة في أنحاء المدينة لذلك أطلقوا عليها اسم مدينة (الألف قبة)[291].

---

[289] - أحمد بن الطاهر منصوري : **الدر المرصوف في تاريخ وادي سوف** ، الجزائر :دار الهدى ،2000،ص 23.

[290] - رضوان شافو : **دور منطقتي وادي ريغ ووادي سوف في تموين منطقة الأوراس قبيل وخلال الثورة التحريرية** ،مجلة البحوث والدراسات،العدد التاسع ، المركز الجامعي بالوادي ،2010، ص63.

[291] - حسان الجيلاني : **من التراث الغنائي بوادي سوف** ، الجزائر : دار الشهاب ، بدون تاريخ ،ص 18.

كانت أرض سوف في القديم تسمى الظاهرة ،وقال القدماء أنها سُميت بذلك لأنها أول قطعة من الأرض ظهرت بعد نفطة حين انحصر عنها ماء الطوفان ،كما أن أرض نفزاوة ظهر منها جانب في ذلك الوقت وهو إلى الآن تسمى أرض سوف[*]، وقيل لأنها كانت محلا لأهل الصوفة لأن كل عابد من أهل التصوف ينقطع فيها للعبادة [292].

وقال القدماء حين أتى طرود إلى هذه النواحي قالوا تسكن تلك السيوف [**]، أي الأحقاف والكثبان من الرمل، والسيوف جمع سيف أي كثيب من الرمل فحذفت الياء بكثرة الاستعمال وتداول أول ألسنة العامة عليها مع عدم محافظتهم على أصول الكلمات فصار الذاهب والآتي يقول ذاهب إلى سوف أو كنت في سوف .

1-3 بنية المجتمع السوفي :

إن مجموع السكان في المجتمع السوفي ينتسبون إلى العنصر العربي مع تواجد الأمازيغية ،غير أن الهجرات العربية من قبائل هلال وسليم أصبحت تشكل العنصر الطاغي على المجتمع ،حيث أصبحت غالبية السكان ينتمون إلى عرشين كبيرين هما : طرود وعدوان ،تطورت منهما التركيبة السكانية التالية :

أ- عـــرش طـــرود : وهم في الأصل ينتمون إلى طرود بن فهم بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن سعد بن عديان ،وقد وصلوا سوف في القرن الرابع عشر ميلادي ،وهم يتوزعون إلى قبيلتين أساسيتين عمرتا مدينة الوادي ،وضواحيها وهما :

* الأعشـــاش : وهم ينحدرون من فرع بني سليم، منهم أولاد حمد، وأولاد جامع والفرجان والربايع، أما قبيلة القطاطية فهي الوحيدة التي قدمت إلى سوف في القرن التاسع عشر .

* المصاعبة : وهم أيضا من بني سليم ،غير أن بعض المؤرخين يروا " المصاعبة " ذات أصل أمازيغي في التسمية ،وهي من قبيلة " ماسوفة " البربرية ،لكن عوامل التأثير الاجتماعية جعلتهم عربا متمسكين بعروبتهم .وهم العزازلة والشبابطية والقرافين في حين نجد الشعانبة القادمين مؤخرا إلا في حدود 1886،وهم عائلات مهاجرة من ورقلة من أولاد عمران[293] .

ب- عـرش عـــدوان : وهم ينتمون في الأصل إلى عدوان بن عمرو بن قيس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان،تواطنو بادئ الأمر بالزقم ثم امتزجوا مع قبائل أخرى فتشكل منهم :

* أولاد سعود :وهم سكان تغزوت في بادئ الأمر الذين وقع لهم خلاف مع أحمد الشابي التونسي رئيس البادية التونسية [294] .ووصل إلى حد العدى والقتـال فـهُزم هذا الأخير أمامهم في حدود القرن التاسع الهجري[295]، وذلك على اثر خطة وضعها أحد شيوخهم يدعى سعود بعد استشارته فطلب منهم بعد تحقيق النصر أن يسموا أنفسهم باسمه إذا ما أطاعوه وسمعوا كلمته ،ومنذ ذلك الوقت أصبح يُشار عليهم باسم أولاد سعود.فصاروا يسمون بهذه التسمية وهم سكان تغزوت

---

[*] - وقيل أيضا أنها مأخوذة من لفظة أزوف وهي كلمة بربرية معناها الوادي ،وبحكم اختلاف تداول الألسنة حُرفت وصارت سوف.

[292] - إبراهيم العوامر : **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف** ، الجزائر : منشورات شالة ،2007، ص 43.

[**]- سيوف جمع سيف يطلق على الكثيب من الرمل الممتد وأعلاه حاد ،سمي بذلك تشبيها بسيف السلاح القاطع

[293]- ميهي عبد القادر : **سوف في كتابات إيزابيل ابرهاردت**، قمار: المركز الثقافي محمد يجور ،2008 ،ص45.

[294] - محمد العدواني :**تاريخ العدواني** ، تحقيق أبو القاسم سعد الله ،بيـــروت :دار الغرب الإسلامي ، 1996،ص 315.

[295] - علي الشابي : **مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية** ،المجلة التاريخية المغربية ،العدد يناير ، تونس، 1979،ص 57.

وكونين و ورماس ،أما الزقم وسيدي عون فقد ألحقتا إداريا بالمحكمة الشرعية بكونين بالإضافة إلى بعض السكان في هذه اللجج هم من عرش طرود [296].
أما سكان القرى والمدن الباقية، وهي قمار والدبيلة والبهيمة، إضافة إلى عميش والرقيبة ووادي العلندة، وغيرها من التجمعات السكانية هي مزيج من عرشي عدوان وطرود، ومع هذا نجد أن كثيرا من العائلات تتباهى بانتسابها إلى الأشراف من سلالة النبي (صلى الله عليه وسلم) حيث توجد لهذه العائلات شجرات النسب المنتهية إلى نسبه صلى الله عليه وسلم ،وهم عائلات كـثر ،وهي عائلات في غالبها ترتبط بالتصوف ،كما تلعب أدوارا هامة في توجيه السكان وكسب ودهم ،مع وجود عائلات من أصول أموية كعائلة الشيخ محمد الطاهر التليلي بقمار[297] .
إن التزاوج والاختلاط والمصاهرة بين العروش والقبائل بمنطقة وادي سوف جعل التمييز بينهما صعبا،لكن أغلب المؤرخين الذين تكلموا عن أصل سكان منطقة سوف يجمعون على أن أغلب قبائل سوف المهاجرة اليها ينحدرون من قبائل العرب العدنانية من شبه الجزيرة العربية ،فهم عدوان وطرود وهلال وسليم الذين ينتسبون جميعا إلى قيس عيلان[298].

ثـانيـا : الجذور التاريخية للأسرة السوفية و مظاهرها الاجتماعية:

انه لمن الأهمية بمكان أن نتعرض لتاريخ وادي سوف حتى نتمكن من تكوين رؤية متكاملة عن البنية الاجتماعية والثقافية لبيئة سوف ،على اعتبار أن التاريخ محك أساسي ومهم في بلورة التركيبة الاجتماعية لأي مجتمع ،فلا يمكن فهم مجريات الواقع الحالي للمجتمع إن لم نتعرف على الجذور التاريخية لذلك الواقع ."فالتاريخ هو أساس أي فهم اجتماعي حقيقي"[299].لذلك سنتعرف فيما يلي على التطور الاجتماعي للعائلة السوفية، إضافة إلى الحديث عن الزواج كمظهر اجتماعي للعائلة السوفية.

1-2 التطور الاجتماعي للعائلة السوفية:

كان يرعى شؤون العائلة ويقودها "الأب" ويخلفه عند غيابه، أو بعد موته أكبر أبنائه .وهو الرئيس الذي يتحكم في كل الأمور داخل العائلة، فيحتفظ بمفتاح "دار الخزين" التي تحتوي على مؤونة العائلة، فيرشد الانفاق بنفسه ،ويجنب النساء التصرف الحر في المواد الغذائية خوفا من الإسراف والتبذير لهذه المواد التي تعتبر عزيزة في مجتمع يعيش ظروفا اقتصادية صعبة، ولا يجوز لأحد من أفراد العائلة أن يتصرف بحرية في أحد الأمور الهامة إلا بعد إذن الرئيس[300] .
وعندما يتزوج الأبناء يبني كل منهم أسرته لكن يبقى الجميع يظلهم سقف المنزل الواحد ،فتتضخم العائلة ويعيشون في وضعية صعبة للغاية، فيتناولون غذاءهم بصفة جماعية ،ويستعملون أغراض البيت ،ومكان الراحة "الساباط" بشكل جماعي .وكل أسرة تملك داخل البيت الكبير حجرة واحدة يأوي إليها الرجل وزوجته وأبناؤه [301].
وأما النفقة فيتحملها رب العائلة وليس لأبنائه المتزوجين ادخار خاص بهم، ولا يملكون حرية التصرف في الأموال التي يوفرونها من أعمالهم، لأن الأب هو المسؤول الأساسي والوحيد عن

---

[296] - ميهي عبد القادر ،مرجع سابق ،ص 46.

[297] - ميهي عبد القادر ،مرجع سابق ،ص 47.

[298] - andre roger

[299] - السيد الحسيني : **نحو نظرية اجتماعية نقدية** ،ص 35.

[300] - علي غنابزية :**مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن الثالث عشر (هـ) التاسع عشر (م)**، رسالة ماجستير (غير منشورة)2001، جامعة الجزائر، ص 131

[301] - المرجع نفسه ، ص 132

مالية العائلة. وتبقى العائلة متماسكة محافظة على تلاحمها مدة طويلة، ولا تنفصم وحدتها إلا بعد وفاة "رب العائلة" أو عجزه عند مرضه الشديد ،حينئذ يعطي الإذن لأبنائه بالانتقال إلى منازل تُقام بمساعدته في أغلب الأحيان فيكونون أسرهم التي تكون نواة لعائلة جديدة بعد مدة زمنية محدودة[302].

وبعد التطور الحاصل في المجتمع السوفي فان بعض المظاهر التي ذُكرت سلفا قد تلاشت واندثرت خاصة في المدينة ،إلا أن بعضها مازال قائما إلى حد الآن في بعض القرى التي مازال ارتباطها بتلك المظاهر يمثل شيئا مقدسا من الصعب أن تتخلى عنه .

فقد حدث تطور كبير في تركيب العائلة السوفية التي بدأت تعيش الاستقلالية ،فبمجرد زواج الابن يمكث مدة في بيت والده ثم ينتقل إلى بيت خاص به بصفة اختيارية أو اضطرارية ،وبعد أن كان الأمر والرأي كله لرب العائلة ،بدأت المرأة بصفة محدودة تشارك الرجل في حياته الاجتماعية ،وصار لها دورا في توجيه الأسرة وإرشادها ..وهذا التطور له أسبابه المختلفة :

* الاحتكاك بمدن الشمال الجزائري (الهجرة المتبادلة) .

* الاحتكاك بسكان المدن الحدودية المجاورة (المجتمع التونسي) ، بعد رجوع المهاجرين (اللواجي) بعد الاستقلال من تونس.

* انتشار الوعي الثقافي ومحو الأمية[303] .

وبعد تطور الحياة وتكاليفها ومشاكلها التربوية وجدت الأسرة السوفية نفسها مضطرة إلى اتخاذ إجراءات مثل : تنظيم النسل وتباعد الولادات ،واضطرار الكثير من أرباب الأسر إلى البحث عن عمل إضافي لتوفير احتياجات الأسرة ،وخروج المرأة للعمل .لأن أغلبهم يضطرون إلى بناء بيوتهم بمجهوداتهم الخاصة ...مما يدفعهم للتقتير وترشيد الاستهلاك[304] .

2-2 حقيقة الزواج ودوره في بناء الأسرة السوفية :

كان بناء الأسرة السوفية يقوم أولا بالزواج، وعندما يتكاثر الأولاد تستقل الأسرة في مسكن خاص بها لتكون نواة العائلة جديدة تحت سيادة الزوج، ويمر الزواج بمراحل ،وأول خطوة هي اختيار الشاب لزوجه، إما برؤيتها عند الآبار عندما تخرج مع زميلاتها لملء قرب الماء ،فيقابلها ويحادثها ،وعادة يحدث هذا في المجتمعات البدوية، وفي بعض الأماكن العريقة مثل الزقم وقمار وكانوا يسمونه "التغرزين" أو يلمح هــذه الفتاة في حفل زواج في الحي الذي يسكنه، ولكن في أغلب الأحيان تتم الخطبة بين الأولياء بدون علم أصحاب الشأن بل هم آخر من يعلم بعد أن تتم الموافقة[305].

ويتم الزواج بين مختلف الطبقات والمجموعات المتمايزة، ومع ذلك فهو مكلف بالنسبة للفقراء ،ويحتاج إلى بذل المال في أيام العرس، ولهذا فالنساء يفضلن صاحب المال وفي مقابل ذلك تنطلق أصوات الحكمة تدعو الرجال إلى اختيار المرأة على أساس الخلق والدين :

اللي تحبك عن مالك ماتمنْهاش بعد فقرك اتفارقك في رمشة عين

واللي تحبك عن جمالك ماتسواش إذا القات خير منك اتبدلك في الحين

---

302 - Andre Voisin . op .eit . p 200.

303 - souf

304 -

305 - علي غنابزية ، **مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن الثالث عشر (هـ) التاسع عشر (م)**،مرجع سابق ، ص134.

واللي تحبك عن دينك ماتسيبهاش لو تصبر عن جالها عشر سنين[306]

وذلك نظرا لطبيعة المنطقة المحافظة، فالأساس في اختيار الزوجة هو الدين والأصل. فمظاهر الدين مهمة جدا في الزواج : كالحجاب بالنسبة للفتاة، الصلاة في المسجد بالنسبة للرجل ، وان كانت هذه مجرد مظاهر إلا أنها مهمة جدا في مسألة الزواج...

وقد يطول انتظار أهل المرأة في فترة الخطوبة ويخافون على ابنتهم ،ويكون الزوج فقيرا ،فيطلب منه أهل الفتاة أن يسرع في إتمام مراسيم الزواج أو يفسخ خطوبته وعند استرساله في التسويف يفسخونها بأنفسهم ،وتُعطى الفتاة لشاب من بني عمومتها أو غيره[307] .

وعموم الناس يخافون على بناتهم من "البوار" فيزوجوهن في سن متقدمة عند البلوغ أو قبله بقليل في سن الحادية عشر فما فوق ،ويكون زوجها شابا ،أو كهلا يكبرها بمرحلة هامة من العمر خاصة إذا كان تاجرا موسرا[308] .

نستنتج مما سبق ذكره أن :

* قضية الزواج تخص الأهل أكثر من المعنية بالأمر ،وهي الفتاة نفسها .

* تزويج البنت في سن صغير خوفا من البوار له عواقب سيئة على حياة الفتاة الزوجية، وقد يؤدي في بعض الحالات إلى طلاقها.إضافة إلى المشاكل النفسية التي قد تعانيها فبدخولها مرحلة المراهقة وجدت نفسها متزوجة ومسؤولة عــن أسرة و أطفال فيما بعد فكيف يمكنها أن تتعامل مع كل هــذا .

إضافة إلى ذلك هناك نقطة في غاية الأهمية وهي الأسرة السوفية تحاول تحميل الفتاة أكبر من سنها ،فهي تكبر قبل

* تحكم العادات والتقاليد في كل صغيرة و كبيرة في أمور الزواج . " فالعائلة السوفية متميزة بوحدتها ،خاضعة للعادات والتقاليد ،والتي تلقى الاحترام و التقدير من المجتمع بأسره "[309]

ثـالثــا: التطبيع الاجتماعي للمرأة بوادي سوف

1-3 دور المجتمع في تثبيت قيم الحياء لدى المرأة بوادي سوف :

بمجرد بلوغ الفتاة وظهور علامات الأنوثة ،تتجه إليها الأنظار ،ويفرض عليها الستر ،بكامل أشكاله ،فتراعي أمر اللباس ،وتحجب في البيت ،ويطلق عليها "الصوبية أو المحجوبة " .وكانت التقاليد الشعبية تزوج الفتاة في وقت مبكر ،والدافع هو المحافظة على عفافها لأن الحماية الحقيقية لها عندما تكون في كنف زوجها الذي يحرص على حماية عرضها ،وهو الشاب الذي يتزوج مبكرا ،لحفظه من الزلل والانحراف ،وشجعتهم التكاليف البسيطة لمراسيم الزواج [310].

وكان العرف الاجتماعي يحث الولي، على ستر أهل بيته، وصيانتهم عن كل شبهة، فإذا تهاون أو فرط يوصف بلفظ "الطحان" وهو الذي يرضى الخبث في أهله ،ويومئذ يصير ملعونا على كل لسان ،ومنبوذا في المجالس والمنتديات ،ويضيع منه الشرف ،وتؤكد الأحكام الشرعية على تحديد الفروق بين المحارم والأجانب من المسلمين ،وكيفية الستر في حضورهم

---

306 - حسان الجيلالي : **من التراث الغنائي بوادي سوف** ، مرجع سابق ، ص 170.

307 - علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن الثالث عشر (هـ) التاسع عشر (م)**، مرجع سابق ، ص 135

308 - Mohamed Rochd ,Isabelle Une Maghre

309 - علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن الثالث عشر (هـ) التاسع عشر (م)**، مرجع سابق ، ص 136

310 - علي غنابزية **: دور العادات والتقاليد في تثبيت هوية المرأة بمجتمع وادي سوف**، الملتقى الوطني الثالث حول الهوية والتراث في زمن العولمة، من تنظيم دار الثقافة بالوادي . يومي 2 و3 ماي 2010.

فقد كانت المرأة تحتل المرتبة الثانوية في الأسرة، ودورها ينحصر في تنظيم "الحوش" وترتيبه ،والعمل في المطبخ بتوفير الغذاء لأفراد العائلة ، ورعاية الأطفال وما يتبقى من وقت تقضيه في صناعة الصوف لتوفير المنسوجات المختلفة لأعضاء العائلة أو من أجل بيعها في السوق .وهي دوما ماكثة في البيت ولا تخرج منه إلا قليلا لزيارة أهلها أو تهنئة قريب أو تعزية مصاب ويكون الخروج ليلا[311]، وهي ترتدي لباسا سابغ يغطي محاسنها، ويستر كامل جسدها ويكون في بعض الأحيان برنس زوجها الذي يكون حارسا ومرافقا لها في تلك الأوقات [312].

تلك المكانة التي احتلتها المرأة في الماضي لم تفقدها إلى حد الآن ،فتلك النظرة لمحدودية دور المرأة في المجتمع وتقنينها بتلك الطريقة المجحفة والظالمة مازالت تسود إلى يومنا هـــذا،وان قلت وطأتهـــا،فمع كل التطور الحاصل إلا أن هناك أشياءا تتعلق بعادات وتقاليد المجتمع ،وبما يفكر به الآخرون وكيف ينظرون إلى المرأة ،كل تلك الأشياء من الصعب إدخال التطور عليها أو تغييرها بشكل يفيد المجتمع ويعطي المكانة الحقيقة للمرأة السوفية.

والجدير بالذكر أن العائلة السوفية يسود داخلها الحياء المفرط فالابن في أيام زواجه الأولى يحتجب عن والده لمدة سبعة أيام ،ولا يلتقي بزوجته إلا بعد حلول الظلام ،ويغادر حجرته قبل الفجر ،وعندما يُرزق بالأولاد يستحي من حملهم وتقبيلهم في حضرة والده ،أما زوجته فتمتنع بتاتا عن بعض التصرفات في حضرة الرجال وخاصة زوجها ،فتعتبر الأكل أمامه عيبا وعارا ،ويتطور التصرف الذي يعتبر جريمة في حضرة الرجال إذا تجرأت وطلبت منه أن يحضر لها بعض الأغراض في البيت وقد يكون سببا في طلاقها [313].

وتتعرض المرأة في المجتمع للطلاق إذا كانت عقيما أو تنجب البنات فقط ،وتكثر الطلاقات وتتعدد لأتفه الأسباب[314].

والجدير بالذكر أن المرأة لم تكن عاجزة على الرعاية الأسرية ،وتسيير الأملاك ،عند الضرورة ،ونجحت بامتياز،ونلمس ذلك عندما نفي الشيخ الهاشمي الشريف – بعد الانتفاضة الشعبية- وحينها ترك فراغا سياسيا كبيرا في وادي سوف ،وفي هرم الزاوية القادرية ،لأن أبناؤه الأربعة كانوا يدرسون في جامع الزيتونة *،فاضطرت انته "زهور" إلى تولي مسؤولية الزاوية وإدارة شؤونها في النهار ،والسهر ليلا مع بعض المريدات المتطوعات في نسج الصوف لتغطية التكاليف الضرورية للزاوية [315].

فعلى الرغم من تضييق الخناق على المرأة السوفية ووضعها في إطار محدود ،إلا أنها إذا أوكلت لها المسؤولية استطاعت أن تتحملها بكل أعبائها ،وهذا يدل على أن المرأة السوفيه إذا أُتيحت لها فرصة الظهور والتعبير عن إمكانياتها وقدراتها فتستطيع أن تفيد المجتمع وتستفيد.

2-3 مظاهر حماية المجتمع للمرأة من الغزو الثقافي الاستعماري :

---

311 - أحمد بن الطاهر منصوري : **الدر الموصوف في تاريخ وادي سوف** ، الجزائر : دار الهدى ،بدون تاريخ ، ص 90.

312 - المرجع نفسه ، ص 90.

313 - علي غنابزية ، **مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن الثالث عشر (هـ) التاسع عشر (م)**، مرجع سابق ، ص 133.

314 - المرجع نفسه ، ص 133.

* - الأبناء الكبار للشيخ الهاشمي الشريف هم :عبد الرزاق وعبد العزيز تابعوا دراستهم خلال موسم 1918.وإخوتهم الصغار عبد القادر ومحمد الصالح التحقوا بالجامع المعمور (الزيتونة) في الموسم الموالي 1919.

315 - صلاح الدين الشريف : **"المجاهد الشيخ محمد الهاشمي بن الشيخ إبراهيم (1853-1923)"** ، دراسة غير منشورة ، ص 12.

حاول المستعمر الفرنسي ،منذ أيامه الأولى ،أن يكشف ستر المرأة بوادي سوف ،ليطلع على جمالها ،ويدمجها في حياة الرجال ،ويخرجها إلى المجتمع بحجة نشر الحضارة ؛ولكن المجتمع فهم اختلاط المرأة بالرجال وخروجها الحر ،هو الاعتداء السافر على العقيدة والهوية في مجتمعهم المحافظ ،ومن مظاهر حماية المرأة من الغزو الأجنبي :

* موت الرجل في الدفاع عن عرضه وشرفه : وكان أهل سوف يعتبرون مجرد وقوع عين الفرنسي (الأجنبي) على المرأة ، انتهاكا لعرضها الذي يستوجب منهم الدفاع المستميت ،ولو كلف الرجل حياته ،مثلما فعل الطالب "صالح بالزلاسي"،الذي مر بعض الجنود بالقرب من بيته المكشوف ،فشاهدوا نساءه في المنسج، فاسترعى ذلك انتباههم، فبقوا ينظرون بفضول ،فخرج إليهم وواجههم لوحده ،واستمات في الدفاع عن عرضه المهان،فحاولوا أن يشرحوا له الأمر ،ولكنه أصر على مقاتلتهم ،فحملوه بعيدا عن بيته وقتلـوه [316].

* تجنب علاج المرأة عند الطبيب الفرنسي :لأن الكشف عن المرأة من طرف الطبيب الفرنسي – في نظر المجتمع المحافظ- يعتبر نوعا من الاستهتار الذي لا يجوز السكوت عنه ،ومجرد الكشف عن وجهها للأجنبي –من المسلمين- يعتبر جريمة نكراء ،فما بالك أن يلمس جسدها ،أو يعالجها رجلا من الفرنسيين ؛وهذا أدى الى تنظيم مظاهرة احتجاجية في منطقة اعميش في حدود 1910 عندما أراد الطبيب الفرنسي فصد النساء وتطعيمهم ضد الأوبئة[317].

* محاربة الاختلاط بين الجنسين :لقد وقف المجتمع متحفظا من كل سلوك تبادر به الادارة الفرنسية بوادي سوف ،ومنعوا أبناءهم من الاختلاط بهم في التعليم ،خوفا من تغيير عقيدتهم ،واعتبروا أي شكل من الاختلاط بين الرجال والنساء من المحرمات الشرعية ،ولكن المستعمر فسح المجال لبعض النساء المستهترات بالاندماج ،ومنهن المغامرة "ايزابيل ابرهارد "التي قدمت إلى الوادي في بداية أوت 1900، وتعرفت على الصبايحي سليمان هني، وتزوجته على الشريعة الإسلامية،واعتنقت الإسلام بوادي سوف في الزاوية القادرية التي انتمت إليها وجمعها نشاط كبير مع شيوخها،وقررت الاستقرار بالوادي [318]، ولكن سلوكها السيئ وتدخينها،واستهتارها،عرضها لعملية اغتيال كادت تودي بحياتها ،وسببت لها اعاقة في يدها مستقبلا، ولم تشفع لها رفقتها للشيخ الهاشمي الذي كانت تودعه في بلدة البهيمة يوم 21 جانفي 1901، وبعد خروجها من المستشفى أمرتها الادارة الفرنسية بمغادرة وادي سوف يوم 25 فيفري 1901 ،وحاولت الكتابات تفسير الاغتيال بتدبير من الطريقة التجانية التي تنافس القادرية،ولكن التفسير الغائب ،أن محاولة الاغتيال ربما كانت غيرة من المجتمع الذي تسعى ايزابيل إلى استدراجه نحو بؤرة الانحلال [319].

3-3 تعليم الفتاة بوادي سوف وسبل التغير الاجتماعي :

لقد حدث تردد كبير من سكان وادي سوف –في بادئ الأمر- وتأخروا في إرسال بناتهم إلى المدارس،وظل الإقبال بطيئا،ومنحصرا في فئة الذكور ،أما الفتيات فلم يكن لهن أدنى اعتبار في العملية التعليمية ،فالعائلة تستغل الفتاة في العمل المنزلي الذي تُدرب عليه لتكون ربة بيت في مقتبل عمرها ،واثر بلوغها مباشرة تجد الزواج ينتظرها ،وحينئذ سعت الإدارة المحلية إلى إقحام الفتاة الصغيرة وفق مرحلية دامت نحو عقدين من الزمن ،وبدأ دخولها بمبادرة من المعلم الأهلي "العيد بن الساسي هقي" بتدريس بناته الثلاث بالقسم المختلط بمدينة قمار في أكتوبر 1919 ،وهن

---

316 - علي غنابزية :**دور العادات والتقاليد في تثبيت هوية المرأة بمجتمع وادي سوف**، مرجع سابق ، ص 4.

317 - محمد الساسي معامير :**التقويم الجزائري 1345-1927** ،تونس : مطبعة النجاح ، بدون تاريخ ،ص 336.

318 - أبو القاسم سعد الله : **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر** ،الطبعة الثانية ،الجزء الخامس بيروت :دار الغرب الإسلامي ، ،1990، ص 123.

319 - علي غنابزية :**دور العادات والتقاليد في تثبيت هوية المرأة بمجتمع وادي سوف**، مرجع سابق .

الزهرة ،وفاطمة،وتبر،وفسح المجال لابنته الرابعة "مريم" بمدرسة الوادي،وتم تسجيلها يوم 1942/12/17،فكانت أول فتاة تدرس في المدرسة الأهلية .ثم فتح مشغل الأخوات البيض في 1942 بمدينة الوادي،وهو بمثابة مركز للتكوين الحرفي،والتدبير المنزلي ،وضم عددا معتبرا من البنات،يتلقين تكوينا ميدانيا،وذلك مهد لفتح مدرستي الوادي وقمار للبنات في أكتوبر 1948[320].

وتعتبر الكتابات الفرنسية أن إخراج البنات إلى المدارس بوادي سوف وغيرها،هو دفع لعجلة التطور قدما ،وفسح مجال الحضارة التي تغزو المنطقة شيئا فشيئا من قبل المرأة،وهكذا تم إقحامها واكتظت صفوفها بالبنات،وصار الإقبال مطلبا شعبيا في الخمسينات[321].

وكان وراء اندماج الفتاة في المجتمع ،ودخولها للمدارس عدة عوامل خارجية،ومؤثرات داخلية غيرت من حال الأسرة وأفرادها ومنها :

- مساهمة الصحافة في رفع الحرج عن تعليم المرأة ،وتصدى لهذا الأمر بعض أبناء سوف ،وطرح الأمر في الصحف،لأن المسألة تتعلق بالمرأة الجزائرية بصفة عامة،وقد مُهد الطريق لتغيير كثير من العادات،مع المحافظة على العفة والحياء،لأن حرية المرأة تتمثل في تعليمها ما يناسب مهمتها ودورها في الحياة،دون أن يعارض تعليمها بالفرنسية ،ونجد محمد الأمين العمودي ،يطرح الموضوع للمناقشة على صفحات جريدة الإصلاح في العدد الثامن الصادر في 28 نوفمبر 1926،فهو يؤكد على تعليم الفتاة أحكام الدين،وأصول الأخلاق،ومما قاله :"...أنا لا يروقني أن أرى الفتاة المسلمة من حاملات الباكلوريا ،أو من أعلام الدكاترة،بل حسبي أن أجدها تعرف الضروري من تعليم دينها،وتتقن كيفية الانتفاع بحقوقها كم تتقن أداء واجباتها بكافة أنواعها،وتعلم مع ذلك ما هي الشروط اللازم توفرها في البنت البارة والزوجة الصالحة،والأم المثلى،فتعلمها حينئذ يجب أن يكون عربيا إسلاميا قبل كل شئ..."، وهو في مقابل ذلك لا يمانع من مواصلة دراستها في المدرسة الفرنسية ،ولكن في حدود القيم:"...على أنني لا أحكم بمنع إرسال بناتنا إلى المكاتب الفرنسية قبل تجاوزهن السن الذي يجوز فيه ذلك،ومعه الاحتياط التام ،والتحفظ الحقيقي بما يلائم عوائدنا وأخلاقنا الخاصة بنا "[322]،وتعالت الأصوات المنادية بإعطاء المرأة مكانتها في المجتمع،واعتبارها بمثابة الروح من الجسد ،وحينئذ وقف الشيخ حمزة بوكوشة في وجه الآراء التي تنكر على المرأة التعلم بذريعة الاختلاط بالرجال،ولا ينكرون عليها في مواطن الخرافة والدجل،ومما قاله في هذا المجال :" والخلاصة أن الذين يحاولون أن يحولوا بين المرأة وسماع الوعظ والإرشاد والتعلم يجادولون بغير بينة ولا هدى ولا كتاب منير والذي حدا بهم لذلك مغالطة الدهماء بإظهار الغلو في الدين مع أنهم أبعد الناس عن إتباع الدين لتسامحهم في المسائل التي لا تمت للدين بصلة بل هي قاضية على تعاليمه ومعطلة لأحكامه كالاجتماع في زيارة المقابر والمشاهد الفاسدة المتولدة منها.وهم في ذلك(يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون) [323] ،ولكن المجتمع بقي متحفظا ،وظلت الفتاة بعيدة عن التعلم حتى في المدارس القرآنية إلى فترة الخمسينات.

رابعـا- المميزات الثقافية لأهل سوف :

1-4 الحياة الثقافية السوفية (في عهد الاستعمار):

قبل مجيء الاستعمار الفرنسي إلى منطقة سوف ،كان الجميع يعيش في وئام وأمان ،إلا أنه بدخول القوات الفرنسية إلى سوف سنة 1887م ،بدأ التنافر والتناحر بين القبائل والعشائر ،وكانت الفتن

---

320 - المرجع نفسه .

321 - المرجع نفسه.

322 - محمد ناصر : **المقالة الصحفية الجزائرية** ،الجزائر :الشركة الوطنية للنشر، 1978، ص 244.

323 - حمزة بوكوشة : **قيمة المرأة في المجتمع** ،البصائر ،العدد 8 ،21 فيفري 1936 ، ص 6.

تقوم لأتفه الأسباب ،وكان المستعمر يغذي هذه الفتن ،ويمنح الأموال الطائلة للذين يقومون بها، بل انه التجأ إلى بث التفرقة بين أعضاء العشيرة الواحدة ،أو الأسرة الواحدة تطبيقا لسياسته المعروفة "فرق تسد".

التجأ الاستعمار في البداية إلى الزوايا ،فشجعها على الانحراف الانحلال ،وكان يقوم بخلق بعض الحوادث ،وينسبها إلى قبيلة أولاد أحمد أو المصاعبة لكي تثور ضدهم "الأعشاش" أو "العزازلة"، فكان يحرك النوازع ،ويشجع على بث الفتن .

ومع هذا الجو المشحون إلا أن ذلك لم يمنع من وجود بعض المظاهر الثقافية التي ميزت سوف في تلك المرحلة ،والتي سنتعرف عليها من خلال كتاب ألفته السيدة "سيلي ميلي" الفرنسية الأصل ،وعنوانه (الحكايات الصحراوية بسوف) [324]، فالتطرق إلى أهم ما يميز أهل سوف من الناحية الثقافية والحضارية، ولأن هذه الحياة الثقافية تؤثر بوجه عام في جميع مناحي النشاطات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ،وان كانت هذه المعلومات تنسحب على فترة ما قبل الستينات، فهذا يؤكد أن الثقافة بسوف كانت مزدهرة حتى إبان الحكم الاستعماري.

تبدأ المؤلفة بقولها: " إن أهل سوف فخورون بشهرتهم ،وذكائهم وفطنتهم ،وهم لطفاء صبورون مقاومون ماكرون[*]، وأغلبهم من المتعلمين بالعربية، يعبرون بصفاء عن رأي قومهم ،وليس غريبا أن نجد واحدا من عشرة أشخاص يحفظ القرآن عن ظهر قلب.

2-4 التغير الثقافي في وادي سوف :

تُعرف الثقافة كما قدم لذلك "فيرث" بقوله : (إذا نظرنا إلى المجتمع على أنه يمثل مجموعة من الأفراد ،فان الثقافة طريقتهم في الحياة،وإذا اعتبرناه مجموعة من العلاقات الاجتماعية فان الثقافة هي محتوى هذه العلاقات ،وإذا كان المجتمع يهتم بالعنصر الإنساني وبتجميع الأفراد والعلاقات المتبادلة بينهم فان الثقافة تعني بالمظاهر التركيبية المادية واللامادية التي يتوارثهـا الناس ويستخدمونها ويتناقلونها) [325].

فتفاعلاتنا تنظمها الثقافة، وان كنا لا نشعر بذلك، فالثقافة تتمظهر في طريقة تخاطبنا وانفعالاتنا كل ذلك يشكل الثقافة، فنحن نتفاعل على أساس معين من الثقافة تغذيه عادات وتقاليد المجتمع والتي هي جزء منه.

ما الفرق بين التغير الثقافي والتغير الاجتماعي ؟:

أدى عدم التحديد الدقيق للكثير من المفاهيم إلى خلط كبير بينها.ومن ذلك نجد من يعتبر التغير الثقافي هو نفس التغير الاجتماعي ،كما أُثير جدل كبير حول أيهما أوسع انتشارا وأكثر شمولية .

ولما كانت النظم الاجتماعية مترابطة ومتداخلة ومتكاملة بنائيا ووظيفيا فان أي تغيير يحدث في ظاهرة لا بد أن يؤدي إلى سلسلة من التغيرات الفرعية التي تصيب معظم جوانب الحياة بدرجات متفاوتة[326].

فالتغير الثقافي أشمل وأعم من عملية التغير الاجتماعي ،إذ يتناول كل تطور أو تحول يحدث في عنصر من عناصر الثقافة سواء كان كل ذلك في الفن أو الفلسفة أو العلم أو الصناعة ،كما يشمل فوق ذلك كله مجمل التغيرات التي تحدث في أشكال وقواعد النظام الاجتماعي [327].

---

[324] - حسان الجيلاني :**التراث الغنائي بوادي سوف** ، مرجع سابق ، ص 159.

[*] وفي التعبير الشعبي عندنا نقول هذا فلان حيلي ،بمعنى أن يلجأ الى استعمال ذكاءه بطريقة فيها من المكر والحيلة الكثير ،ويستعملها حتى الأطفال الصغار عندما يلعبون مع بعضهم البعض ،فيتهمون بعضهم البعض بالحيلة باستخدام عبارة (هذا ايحايل علينا) .

[325] - محمد عاطف غيث : **قاموس علم الاجتماع** ، الإسكندرية : الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979، ص 111.

[326] - حسان الجيلاني :**التغير الثقافي في المجتمع الصحراوي** ،مجلة البحوث الدراسات،المركز الجامعي بالوادي، العدد التاسع ،2010،ص157.

وعليه فالتغير الثقافي بمفهومه الواسع يعني كل تحول يحدث في ثقافة المجتمع المادية والمعنوية ،فالتغير الاجتماعي يعتبر تغيرا ثقافيا ،فهناك نوع من التداخل والتشابك، ولا يمكن الفصل بينهما إلا من أجل البحث والتحليل العلمي.فكل التغيرات الاجتماعية ترد إلى التغيرات الثقافية إذا اعتبرنا أن الثقافة أشمل وأعم في مفهومها من التغير الاجتماعي [328].

لقد تصاهرت على أراضي سوف الكثير من الثقافات بما تحمله من عادات وتقاليد وقيم وأعراف أسهمت بشكل أو بآخر في عملية التغير الثقافي :

أولا : ثقافة البربر القدماء الذين وفدوا إلى "سوف" منذ القدم ولا زالت آثارهم موجودة الى اليوم ،فهناك الكثير من أسماء الأماكن المعروفة إلى اليوم كـ"تكسبت"،"تاغزوت" ،"الدريميني"..وغيرها،وحتى أسماء بعض التمور مازالت إلى اليوم مشهورة بأسمائها كـ:"تكرمست" ،"تفزوين"،"تفرزايت"...وغيرها.

ثانيا : ثقافة البربر هي للعرب الهلاليين الذين دخلوا مع البربر في صراعات ،ثم بمرور الزمن اندمج الجميع في وحدة ،حيث استطاع البربر أن يعتنقوا الإسلام وأن يتقنوا العربية ،وتصاهروا مع العرب.ومن القبائل العربية التي استقرت بوادي سوف من بني هلال وأحفادهم "طرود ،وعدوان" ،الذين مازال أحفادهم يعيشون إلى اليوم[329].

ثالثا: ثقافة الزنوج أو السود الوافدين من السودان،وليبيا،وبعض البلدان الأفريقية الأخرى .

رابعا: الاحتلال الفرنسي الذي حمل عناصر ثقافية جديدة،وان كان اعتناقها من طرف الأهالي قليل،وانسجامها مع الثقافة السوفية ضعيف إلا أنها تركت بصمات واضحة لا يمكن إنكارها.

فلا زالت إلى اليوم الكثير من العادات والتقاليد والقيم ترجع في أصولها إلى الهلاليين الفاطميين والعرب المسلمين بصفة عامة،خاصة المتعلقة باللباس وتقاليد الزواج والميلاد والتداوي بالإعشاب[330].

إضافة إلى الثقافات السالفة الذكر ،هناك عامل أسهم في عملية التغير الثقافي ألا وهو :الهجرة فلم تتوقف الهجرات على مر التاريخ من وادي سوف خاصة إلى تونس وليبيا والمدن الجزائرية،ولكن الهجرة التي شهدتها سوف مع بزوغ فجر الاستقلال في صائفة 1962 هي أكثر الهجرات تأثيرا في ثقافة سوف وما ساعد على قوة التأثر أن العائدين كانوا ممثلين في عدد كبير جدا من العائلات والأسر ،ولم يكونوا أفرادا منعزلين ،وهذا ما جعلهم يتوغلون في عمق المجتمع ويؤثرون فيه .فأحدثوا أولائك المهاجرين تطورا في الذهنيات والثقافات السائدة ،على الرغم من أنهم منذ البداية وجدوا نوعا من المقاومة والصدود ،إلا أن ثقافة أهل سوف القديمة لم تلبث أن تراجعت أمام اعتناق الشباب للثقافة الوافدة،والكثير منهم تزوج من بنات العائلات المهاجرة[331].

بالرغم من كل ذلك إلا أن عملية التغير الثقافي ظلت محدودة بسبب "السوافة حذرين من كل جديد فهم لا يقبلون على أي شيء إلا بعد تردد طويل .وأخذ وعطاء .ومن ميزات الثقافة السوفية أنها تتسم بالمحافظة وقلة المغامرة،والتردد والحيطة،فهم يفسرون أي شيء جديد بتحاليل

---

[327] - المرجع نفسه ، ص 159.

[328] - المرجع نفسه ، ص 159.

[329] - حسان الجيلاني :**التغير الثقافي في المجتمع الصحراوي** ، مرجع سابق ، ص 159.

[330] - المرجع نفسه ، ص 158.

[331] - حسان الجيلاني :**التغير الثقافي في المجتمع الصحراوي**، مرجع سابق ، ص 160

كثيرة،وتأويلات عديدة ،ولا يقتنعون به إلا بعد أن تفصل التجربة في صلاحيته وجدواه،وعندما يتأكدون من منفعته يقبلونه ويصبح جزءا من ثقافتهم " [332].

خـــلاصـــــــة :

من خلال هذا الفصل تم التركيز على عنصرين رئيسيين استطعنا من خلالهما معرفة تحديد هوية المجتمع السوفي هما (الطبيعة الجغرافية و الطبيعة الاجتماعية) ،و كان الوسيط بينهما التاريخ الداعم الأساسي لأي تركيبة اجتماعية. و اكتشفنا أن الفرد السوفي لا يتقبل التغيير بسهولة وكأني به أخذ بعض صفات الطبيعة الفيزيقية التي وُجد فيها و التي تحتاج إلى صبر وجلد حتى تتعايش معها، والأسرة بقيت محافظة على مكانتها وقدسيتها وهناك خط من التقاليد لا يجوز لأحد أن يتعداه، والمرأة كعماد لهذه الأسرة عانت كثيرا من خلال ذلك الحصار المفروض عليها والذي يحدد لها تحركاتها ومهماتها بشكل لا يجب أن تحيد عنه ،مع ظهور بعض التغيرات في العصر الحالي لصالح المرأة إلا أنها مازالت تسير ببطء كحركة التغير الثقافي ككل في مجتمع وادي سوف.

---

[332] - المرجع نفسه ، ص 162.

جدول(01) :مجموع الأمثال الشعبية المتعلقة بقضيتي المرأة والعمل

المثل	العدد	%
المرأة	18	%48.71
العمل	20	%51.28
المجموع	38	%100

جدول رقم (02) : مجموع الأفكار الموجودة في القصة الشعبية والمعبرة عن قضيتي المرأة والعمل.

مظاهر التخلف / رقم القصة	المرأة		العمل		المجموع
	التكرار	%	التكرار	%	
01	4	63.63	/	36.36	%100
02	2		/		
03	2		/		
04	2		/		
05	1		3		
06	1		/		
07	1		/		
08	2		1		
09	/		4		
10	1		2		
11	/		1		
12	1		1		
13	4		/		
المجموع	21	/	12	/	33

جدول (03):- يمثل مجموع الخطاب الشعبي الشفهي المتعلق بقضيتي المرأة والعمل :

الخطاب الشفهي	العدد	%
المرأة	34	%62.96
العمل	20	%37.03
المجموع	54	%100

جدول رقم : (04)يمثل المجوع الكلي للخطاب الشعبي المدون والشفاهي بالنسبة للمرأة والعمل.

جنس الخطاب / أبعاد التخلف	الأمثال	الشفاهي	القصة	المجموع
المرأة	18	34	21	73
العمل	20	20	12	52
المجموع	**38**	**54**	**33**	**125**

جدول (05) :- يمثل تحليل الأمثال الشعبية المتحصل عليها و المتعلقة بقضية المرأة :

الرقم	نص المثل	المؤشر المعبر عنه	الكلمات المفتاحية للمثل وشرحها القاموسي	المعنى الدلالي للمثل
01	ما في الشتا ليل دافي وما في النسا عهد وافي	التقليل من شأن المرأة	دافي : من الدفء أي دافئ وافي : من الوفاء	يعكس هذا المثل الاعتقاد السائد لدى العامة من الرجال بأن النساء لا يلتزمون بما يقولون ،فلا يجب أن نثق في النساء وهذا ينزع صفة أساسية للمرأة السوفية خاصة وهي الوفاء
02	إذا حلفوا فيك الرجال بات راقد،واذا حلفوافيك النسا بات قاعد	التقليل من شأن المرأة	راقد : نائم قاعد : لا يهنئ له بال	يدعم المثل السابق ،و فيه تحذير لعدم الاطمئنان للنساء
03	المرا شاورها وخالف عليها	التقليل من شأن المرأة	شاور : استشير خالف : من المخالفة أي فعل عكس الشئ	عدم الأخذ برأي شخص ما ،هو حط لقيمته كانسان ،وهذا يدل على أن رأي المرأة غير سديد ولا يعتمد عليه.فما تقوله يجب أن نفعل عكسه
04	النسا زراعة إبليس	التقليل من شأن المرأة	زراعة : تشبيه النساء بالبذور كناية عن الكثرة	شبهت المرأة منذ القدم بالشيطان ،والمثل عند أهل سوف يعني النمو المتسارع لجسم الفتاة ،فيقولون نافخ فيها الشيطان أي تبلغ بسرعة.
05	النسا ياسر والقربة يابسة	التقليل من شأن المرأة	ياسر : كثير القربة : مصنوعة من الجلد ويحفظ فيها الماء	وينم عن عدم الفائدة من النساء مع أنهم كثر ،وكذا العناد وكثرة الآراء عند النساء خاصة إذا كن في جماعة
06	البايرة إذا	العنوسة	البايرة : التي لم تتزوج	المرأة إذا لم تتزوج ،فان سعدها وحظها من

	بارت على سعدها دارت	والضغط الاجتماعي	سعدها: السعد ج أسعد وسعود :اليمن ونقيض النحس ([333]).	الزواج قد خانها ،وحتى ان حظيت بزوج فلن يكون زواجا كما تمنته ،لان فرصتها في الزواج قد فاتتها
07	رايح للبايرة تكتبله	الاستهزاء	تكتبله : تعمل له حجاب أي تسحر له	المقصود منه اللجوء الى ضعاف الحيلة الذين لا يملكون النفع لأنفسهم (حالة البوار)
08	أنعل اللي يدي وأولادها رجالة	الضغط الاجتماعي	أنعل :بمعنى لعنة الله عليك الهجول : المرأة البغي ([334])،والمقصود بالهجالة هنا : المرأة المطلقة أو التي توفي زوجها	المرأة التي طُلقت أو توفي زوجها لا يحق لها في العرف الاجتماعي أن تتزوج ،وخاصة إذا كان عندها أولاد كبار (رجالة)، فإذا عاودت الزواج فهي تستحق اللعن والنبذ.
09	الهجالة من ربي والمطلقة من فعايلها	السخرية والتهكم	فعايلها : من الفعل أي من أفعالها	تبعات الطلاق ترمى على عاتق المرأة من ملام وغيره ،وكأنها هي المسؤولة الوحيدة عن هذا الوضع
10	الراجل غابة والمرا خرابة	عدم الاعتراف بجميلها	خرابة : من الخراب	المرأة في هذا المثل عبارة عن الدار الفارغة والرجل هو من يعمرها ،فالمرأة خلاء لا معالم له والرجل هو من يعطيها الكيان.
11	المرا غدارة لوكان تنعس بسبعين جارة	التقليل من شأن المرأة	تنعس : أي تحرس	يتوالى ذكر الصفات الذميمة للمرأة ،وهنا تظهر صفة الغدر والحيلة حتى إن كان عليها حراس
12	يالواقف بالباب عيط وكون فاهم واش يفارق بين لحباب غير النسا والدراهم	التقليل من شأن المرأة	عيط : عيّـط: تعييطا :صاح ،والعامة تقول (عيط له) أي ناداه ([335]).	تشبيه النساء بالمال في بث الفرقة بين الأحباب والأصحاب ،وان كانت هذه حقيقة يثبتها الواقع لكن من الاجحاف تعميمها على كل النساء.
13	لمعيز خير من الفقر والبنات خير من العقر	السخرية والتهكم	لمعيز : من الماعز العقر : بمعنى العقم	يتكرر تشبيه المرأة بالحيوان وهنا البنات كحل أخير أو كما يقال خير من بلاش،وهذا المثل صادر عن بيئة رعوية لذلك اقترن ذكر البنت بالماعز .
14	يالولدت لبنات هاز الهم للممات	التقليل من شأن البنت		لطالما ارتبط الهم بالبنت لماذا؟ مع التربية هي عبء ثقيل على الوالدين سواء تعلق الأمر بالذكر أو الأنثى ،بل ما ناحظه أن الأنثى لا تتعب والديها مثل الابن الذكر .
15	لعياط والزياط وجابت بنت	الاستهزاء	لعياط : تم شرحه في المثل الثاني عشر الزياط : من الفوضى	ارتباط الفرحة بالمولود الذكر جعل الفرحة عند ولادة البنت شيئا غير مقبول .
16	الي متعرفش تنوح علاش يموت راجلها	التقليل من شأن المرأة	تنوح : من النواح علاش : بمعنى لماذا	المرأة ملامة في حياة زوجها ويبقى يلاحقها ذلك حتى بعد وفاته ،فيجب عليها أن تحسن النياحة عليه وإلا فان زوجها لايجب أن يموت،كما يُقال هذا المثل في الشخص الذي لا يملك زمام أمره .
17	القرد في عين أمه غزال	التربية		وهذا عبارة تدل على الدلال الزائد أو ما يطلق عليه (التربيج في وادي سوف)،فذلك الدلال لا يجعلها ترى عيوب ابنها أو تتغاظى عنها ،وهذا ينعكس سلبا على شخصية الطفل.

[333] - المنجد في اللغة والأعلام ، دار المشرق ،بيروت ، 2005،ص333.

[334] - المرجع نفسه،ص856.

[335] - المرجع نفسه،ص540.

18	حم امرايّه	السخرية والتهكم	حم : تصغير لاسم محمد ايمرايه: المرأة	تقال هذه العبارة للاستهزاء بالرجل الحط من قيمته فيشبهونه بالمرأة ،ويعكس هذا المثل الذل والمهانة ،وقرينه مثل آخر تُنعت به المرأة : عيشة راجل ،وهو مثل أصله يهودي.

ملاحظة : بالنسبة للمعنى الدلالي للمثل تم الرجوع للأستاذ أحمد ضوء[336].

* باالنسبة للأمثال المتعلقة بموضوع المرأة وجدنا كما هو مبين في الجدول رقم (5) بأن هناك :

- 9 أمثال من أصل 18 مثل فيه تقليلا من شأن المرأة أي بنسبة 50%
- 5 أمثال من أصل 18 مثل فيه من السخرية والتهكم الكثير تجاه المرأة أي بنسبة 27.77%
- مثلين من أصل 18 مثل فيه ضغطا اجتماعيا (العنوسة)ممارسا على المرأة أي بنسبة 11.11%
- مثل واحد من أصل 18 مثل فيه عدم الاعتراف بجميل المرأة أي بنسبة 5.55%
- مثل واحد من أصل 18 مثل تعلق بالتربية أي بنسبة 5.55%

وهو ما يوضح أن أكبر نسبة من الأمثال الشعبية تعلقت بمؤشـــري :التقليل من شأن المرأة ،وكذا السخرية والتهكم ،وهذا فيه احتقار لشخصها ،وحط من قيمها كانسان.

* وكانت نسبة الضغط الاجتماعي في مسألة (العنوسة) متوسطة إلى حد ما .في حين جاءت نسبتي (عدم الاعتراف بجميلها و التربية) متساوية على قلتها.وهذا فيه دلالة على عدم اهتمام الأمثال الشعبية بقضية التربية على أهميتها إلا على مستوى محدود ، وينسحب الأمر حتى على التوجه الايجابي للأمثال الشعبية من مثل (ربي ولدك على الرخا والشدة – كب القدرة على فمها تجي البنت لأمها..).

والملاحظ في هذه الأمثال أن اللغة المستعملة فيها تحمل معاني قاسية وصعبة في حق المرأة من مثل (بايرة ،هجالة ،ابليس، لمعيز ،غدارة ...)،وهذه الكلمات لا تحتاج إلى شرح فهي كلمات لا يجوز في أي حال من الأحوال وصف المرأة بها ولا تعميمها بطريقة تساوي بين كل النساء؛وفي هذا السياق أجريت مقابلات تبين منها أن لفظي (بايرة ، هجالة) بأنها ألفاظ تنم عن انحطاط الذوق والأدب ،وقالوا أيضا أنها أفكار بالية وتافهة ولا تمت للدين بصلة .

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا لماذا فكر الفرد في المجتمع السوفي قديما في المرأة بهذه الطريقة ؟ وهل أثر ذلك النمط من التفكير على الفرد السوفي حاليا؟.

ويجيبنا الدكتور علي غنابزية(*)عن هذا السؤال في إطار المقابلة التي أجريناها معه بتاريخ 2010/11/30، بقوله :" أنه في زمن الاباضيين الذين سكنوا المنطقة كانت للمرأة مكانة مميزة ،فقد كانت تقول الشعر...ولكن بدخول العرب القادمين من شبه الجزيرة العربية ،ظهر ما يسمى بالفهم الخاطئ للإسلام ،فعندما أكد القرآن الكريم على أن في المرأة ضعفا على الرجل أن يراعيه ويحترمه ،فاستغل الرجل ذلك الضعف بما يخدمه ،فظهرت عـدة ممارسات ظُلمت فيها المرأة ،ومازالت آثار ذلك الفهم الخاطئ مستمرة إلى حد الآن".

يظهـــر لنا من الحديث السالف الذكر بأن المجتمع هو من أسس لهذه النظرة السلبية إلى حد معتبر في لحظات تاريخية مشجعة سيما تلك التي شاعت فيها البدع والمستحدثات والبعد عن الاسلام، لكن هذا جانب،على هناك جانبا آخر أسهمت فيه المرأة بشكل أو بآخر ففي حديثي مع بعض الأمهات المتقدمات في السن وفي سؤالي لهن عن الوضعية التي تعيشها المرأة يجبن بقولهن:" يابنتي حني ثورنا هكا،المرا تبقى مرا والراجل يبقى راجل كل واحد في بلاصته "، بمعنى أن الوضع الذي وجدت فيه المرأة لم يأت من فراغ وإنما يمتـد إلى عـقود ضاربة في الـتاريخ وبالتالي فان هـــــذا الوضع التي تعيشه طبيعي ولا يجب تغييره وإنما هـــو ما يجب أن يكون ،وعبارة (حني ثورنا هكا) تشير إلى عملية التربية التي تربيّنـا بها ،وفي الوقت ذاته هي التربية التي يـربين بها بناتهم؛ " يقف كبار السن ،والمحافظين من التغير الثقافي موقف الحائل دون إحداثه ويعارضون أي عنصر جديد يدخل على ثقافتهم،وهم يمثلون العائق الأساسي لكل تغيــر وتطور.."([337]) .

لكن ذلك لا يلغي وجود أشخاص كبار في السن وهو على قدر عال من الوعي مع أنهم لم يدخلوا مدرسة ،وهذا ما تجسد في "خالتي حدي" فكل حياتها مبنية على النظام ،وتفهم التربية فهما صحيحا ،فهي ليست ككل النساء اللاتي تغلب عليهن العاطفة وخاصة في التربية ، فهي تزن عاطفتها بميزان صحيح وتُطبق المثل الشعبي (ربي

---

[336] - مهتم بجمع وتحليل الامثال الشعبية في وادي سوف .

[*] وهو أستاذ مختص في التاريخ ،وله عدة أبحاث ومقالات تتعلق بالتاريخ والتراث الشعبي لوادي سوف .

[337] - حسان الجيلاني : التغير الثقافي في المجتمع الصحراوي ،مرجع سابق ، ص 167.

ولدك عالشدة والرخا) تطبيقا أفادها في تكوين أبنائها بطريقة صحيحة ،ووهي تواصل عملها إلى حد اليوم مع أحفادها.

* وتلك الأمثال تقدم لنا صفات تفرد بها الرجل السوفي ،فيما يتعلق ببعض قضايا المرأة ،خاصة عندما يكون في تفاعل وتعامل يومي معها ، فعلى سبيل المثال وفي المثل الثالث (أنظر الجدول رقم 5)،فالرجل هنا عندما يستشير زوجته ويأخذ برأيها يتستر على الأمر ،فلا يعلن ذلك صراحة وهذا السلوك لم يأت من فراغ وإنما هناك عوامل تقف وراءه : مخافة لوم الآخرين ،فيسخر منه العامة بأنه يأخذ برأي النساء أو ربما الخجل من إظهار بأن رأي الزوجة يمكن الأخذ به ...فالرجل هنا مع إيمانه بجدوى رأي المرأة إلا أنه في الوقت ذاته هناك حاجز يقف بينه وبين بث هذه الفكرة الغير مألوفة لدى مجتمع الرجال ،وهنا تظهر سيطرة الوعي الجمعي على رأي الأفراد . " فحسب الدكتورة سامية الساعاتي :" إن الأمثال الشعبية تعكس الصورة النمطية التي يرى المجتمع أنها الصحيحة للرجل والمرأة على السواء، ولكن معظم هذه الأمثال لا تعبر عن حقائق ومسلمات ،ولكن الأجيال تتوارثها كما هي ولا يمكن تغييرها...."[338]

بعض هاته الأمثال لها تأثير بالغ على وعي الأفراد وحتى على أطفال المدارس ،وهذا ما تجسد في المثل الرابع (أنظر الجدول رقم 5)، فهذا المثل وجدته مكتوبا على جدران أحد المتوسطات بالولاية ، ربما يصعب تفسير هذا السلوك ،فحتى من كتبه على الجدار ربما لا يعي معناه أو ماذا يقصد به المجتمع السوفي .إلا أنه في كل الحالات يعبر عن تمثل للمرأة لدى أفراد المجتمع سواء كانوا صغارا أو كبارا.وهنا يظهر لنا دور التربية بشكل جلي ." فعندما يفسر العامة استنادا لهذا المثل بأن بلوغ الفتاة أسهم فيه الشيطان (نافخ فيها الشيطان)، والبلوغ هنا أمر بيولوجي بحت ،فهذا التفسير تفسير غيبي ،فعندما عجز الفرد السوفي فهم البلوغ المتسارع لجسم الفتاة ظهر له أن ذلك أمر غير طبيعي فادعى بان قوى غيبية تقف وراء ذلك "[339]

إن ذلك التمثل لوضع الفتاة في وادي سوف يفرض عليها عدة حسابات ،فهي لا تعيش مرحلة الطفولة بكل تفاصيلها ،فسرعان ما يقحم بها في البيت لتتقن تدبير أمور المنزل وهي مازالت طفلة استعداد لمرحلة الزواج والأمومة ...إن المظاهر المتخلفة في تربية الفتاة اندست في جغرافيا اجتماعية محددة ،وهي وان بدت في مواقف شعبية محدودة بالوسط الحضري فإنها ترمز إلى أن التصور الاجتماعي التقليدي يظهر من خلالها وبشكل استثنائي طالما أنها موروث ثقافي تطور عبر التاريخ فظهر في مواقف اجتماعية .

جدول رقم (06): يمثل تحليل الأمثال الشعبية المتحصل عليها و المتعلقة بقضية العمل

الرقم	نص المثل	المؤشر المعبر عنه	الكلمات المفتاحية للمثل وشرحها القاموسي	المعنى الدلالي للمثل

[338] -

[339] - مقابلة مع الأستاذ : أحمد ضوء ،بتاريخ 2010/12/07.

01	الله غالب يا الطالب	الكسل	غالب: من الغلبة أي الانتصار الطالب: وهو الامام الذي يقوم بالرقية	هذا المثل يطمئن إليه الفرد ويجعله يعتقد أنه فعل ما عليه ،وأنه ليس في الإمكان أحسن مما كان .وهو محاولة لتبرير فشل الفرد في تنفيذ أمر ما
02	إلي خاف سلم	السلبية	سَلِم : سلامة و سلاما من عيب أو آفة :نجا وبرئ منها ([340])	الخوف من المبادرة ،فيبقى الفرد قابعا في مكانه لا قوة له على التغيير أو حتى التجريب
03	احييني اليوم وميتني غدوة	عدم التخطيط	/	عدم التخطيط للمستقبل ،وهذا ينافي لجوهر الاستخلاف في الأرض والعمل الدؤوب حتى آخر لحظة
04	على قد فراشك مد رجليك	القدرية	/	الرضى بالوضع الذي وجد الإنسان فيه وعدم القدرة على تغيير واقعه لأن ذلك ما قُدر له .
05	هذا ماك ياحوت أشربه ولا موت	القدرية	/	يؤدي نفس المعنى للمثل السابق
06	بعد ما شاب علقوله الكتاب	التقليل من شأن المتعلم	علقوله : أي وضع على صدره كوسام الكتاب : كناية عن الدراسة	وفيه استهزاء من الشخص الذي كبر في السن وحاول تدارك ما فاته من التعليم ،فيأتي هذا المثل ليثبط من عزيمته ؛وخاصة أن الشخص في هذا السن يحتاج إلى دفعة قوية تشجعه على مواصلة تعليمه
07	إلي قري قري بكري	التقليل من شأن المتعلم	قري: أي تعلم بكري: في الماضي	يدعم المثل السابق ، وهو توجه بعض الناس من عدم فائدة العلم وأن من يفني عمره في التعليم لن يحصل أي فائدة
08	جيب ولدك فاهم ويجعله ما قري	التقليل من شأن المتعلم	جيب: هات يجعله: الدعاء بعدم اتمام الأمر	يبرز هذا المثل أهمية أن يكون الطفل فاهما وذكيا ،والتعليم الذي ينمي كل هذه الاستعدادات غير مهم .حتى أنه في خطاباتنا يلام دائما على تعليم الطفل إذا لم يفهم شيئا ما وتُـقال له هذه العبارة (تقرى في العمى)
09	زهره يكسر الحجر	الاعتماد على الحظ	زهره : أي الحظ	يقال هذا المثل للشخص المحظوظ ،وأن حظه قوي- يكسر الحجر كناية عن القوة - إلى درجة أنه يوفق في كل أمر يقوم به
10	ادعي بزهرك ولا موت	الاعتماد على الحظ	الشرح وارد في المثل التاسع	إما أن يكون لك حظ يُعتمد عليه ،وإلا فالموت أحسن لك.
11	الليلة السعيدة تبان من مغربها	التطير	تبان : تظهر	وفيه توجه نحو التشاؤم ،يُـقال عندما لا يوفق الإنسان في قضاء أمر ما
12	موالف عن لمدود امغرب	التطير	موالف : متعود لمدود امغرب:أي الاتجاه	وهي حالة يعبر فيها الفرد عن أنه متعود على التضحية وكثير التنازل.كما تعبر عن نوع من التشاؤم
13	سعدك وسعودك وقرعتك ووعودك	الاعتماد على الحظ	سعدك:تم شرحه في المثل السادس في الجدول السابق قرعتك : الحظ	له نفس معنى المثل السابق
14	اذا عطاك العاطي لا تشقى ولا تباطي	الكسل	العاطي : العاطي هو الواهب تباطي:	اذا رزقك اله المال الكثير وأعطاك كل ما تريد ،فلا حاجة لك للعمل والتعب
15	ناكلوا في القوت ونستنوا في الموت	الكسل		الاستسلام وعدم بذل الجهد ،و تضييع الوقت في انتظار الموت

[340] - المنجد في اللغة والأعلام ، مرجع سابق ، ص 347

16	أخطا راسي واضرب	الاتكالية والسلبية	أخطا: هنا بمنى ابتعد	الهروب من تحمل المسؤولية
17	الهربة تسلك	السلبية	الهربة : من الهروب تسلك : أي تنجي	يدعم المثل السابق
18	علم ولدك كل شئ كان الخوف يتعلمه وحده	التربية		يؤدي نفس المعنى للمثل الثاني
19	صباحه بأخذة	التطير التشاؤم	صباحه : من الصباح أخذة : بمعنى مصيبة	يؤدي نفس المعنى للمثل الحادي عشر
20	جت منك يا الجامع	السلبية		يطمئن الفرد في ترديد هذا المثل ،وهي حالة ينفي فيها الفرد المسؤولية عنه

بالنسبة لموضوع العمل وجدنا لموضوع العمل كما هو مبين في الجدول رقم (6)
- 4 أمثال من أصل 20 مثل فيه السلبية وعدم تحمل المسؤولية أي بنسبة 20%.
- 3 أمثال من أصل 20 مثل يتعلق بالكسل أي بنسبة 15%.
- 3 أمثال من أصل 20 مثل يتعلق بالاعتماد على الحظ أي بنسبة 15%.
- 3 أمثال من أصل 20 مثل يتعلق بالتطير والتشاؤم أي بنسبة 15%.
- 3 أمثال من أصل 20 مثل يتعلق بالتقليل من شأن المتعلم أي بنسبة 15%.
- مثلين من أصل 20 مثل يتعلق بالقدرية أي بنسبة 10%.
- مثل واحد من أصل 20 مثل فيه عدم التخطيط أي بنسبة 5%.
- مثل واحد من أصل 20 مثل يتعلق بالتربية أي بنسبة 5%

وهو ما يوضح أن أكبر نسبة تعلقت بمؤشري السلبية وعدم تحمل المسؤولية ،في حين تساوت الأمثال الشعبية التي عبرت عن مؤشرات (الكسل ،الاعتماد على الحظ ، التطير والتشاؤم ، التقليل من شأن المتعلم) ، أما فيما يخص مؤشري القدرية وعدم التخطيط فقد عبرت عنها أمثال قليلة اثنان بالنسبة للقدرية وواحد بالنسبة لعدم للتخطيط..

فقضيتي السلبية وعدم تحمل المسؤولية بدأت بالانتشار بصورة سريعة ،خاصة مع التقدم الحاصل في المجتمع وتوفر وسائل الرفاهية والراحة ،وان كانت لها تلك الأسباب الخارجية والموضوعية فان هناك أسباب تتعلق بذات الفرد في المجتمع السوفي بشكل خاص والفرد في المجتمع العربي بشكل عام "فعقيدة الإنسان العربي فيها تحبيذ للقناعة والرضى بالمكتوب ويستعين الإنسان المقهور على كل ذلك بالأمثال الشعبية...." [341] (راجع صفات الإنسان العربي الاتكالية والسلبية في الفصل الثالث).

إضافة إلى تلك الأسباب هناك تأثير بالغ للبيئة الجغرافية وكيف أنها أسهمت في تعزيز صفات السلبية وعدم تحمل المسؤولية ؛ " وإذا كانت منطقة سوف تتميز بفصلين طوال السنة وهما فصل البرودة الذي يقتصر على ثلاثة أشهر تقريبا ،وفصل الحر الذي قد يمتد إلى تسعة أشهر فان ذلك لعب دورا أساسيا في التأثير على السلوك والثقافة ، بل وأدى في بعض الأحيان إلى نوع من إعاقة الإبداع ،وسيطرة نسبية لثقافة الخضوع السلبية .."[342]

إن صفات السلبية وعدم تحمل المسؤولية هي نتيجة حتمية للكسل، وكذا الاعتماد على الحظ والزهر،فاعتماد الفرد العربي على الحظ هو نتيجة لكسل وسلبية أسست له طرق معينة في تربية الأسرة العربية ." تؤكد الأمثال الشعبية على الحظ أو الزهر ،أو البخت ،وإذا كان من الصعب تحديد رؤية المثل الشعبي بطريقة قاطعة في هذا المجال ،حيث يمتزج مفهوم الحظ بموضوع القضاء والقدر ... وقد لا يقر المرء دوما أن وضعه نتيجة لقضاء أو قدر ،أو هو حظ عندما يتعلق الأمر بفعل كان من المفروض أن يقوم به ويتقنه مثل الآخرين ،فيتهرب من المسؤولية بتعليل فاشل يحاول من خلاله أن يبرر عجزه "[343]

الملاحظ أن اهتمام الأمثال الشعبية بالتربية كان محدودا ،فالمثل الشعبي هنا نقلها كما وجدها في بيئة المجتمع ،وهذا المثل يوضح أن دور الأسرة هنا في عملية التربية لا أثر له ،(كان الخوف يتعلمه وحده) وهنا الطفل لا

---

[341] - مصطفى حجازي :التخلف الاجتماعي مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور ،مرجع سابق ، ص 146

[342] - حسان الجيلاني : التغير الثقافي في المجتمع الصحراوي ، مرجع سابق ، ص 162.

[343] - التلي بن الشيخ ،مرجع سابق ، ص 172.

يتعلم الخوف وحده وإنما يتعلمه من المجتمع وهذا يعبر عن توجه عام للمجتمع حيال هذه القضية بالذات ، فمن غير المعقول أن يتعلم الطفل أي شئ دون مساعدة الآخرين . " والتربية كغيرها من القضايا لا يعالجها المثل الشعبي في إطار واضح وإنما يطرحها كرؤية شعبية مستمدة من معتقدات يتحكم فيها ما هو شائع من أفكار عامة "[344] فهنا ليس بالضرورة أن تكون تلك الأفكار العامة صحيحة .

* حتى نتمكن من تحليل الجدولين :رقم (05) و رقم (06) تحليلا دقيقا لا بد من طرح مجموعة من الأسئلة تكون الإجابة عليها مفاتيح لذلك التحليل ، وهاته الأسئلة هي :

1- لماذا جاءت نسبة الأمثال الشعبية قليلة ؟.

2- لماذا وعلى قلتها بقيت محافظة على تأثيرها إلى يومنا هذا ؟.

إن قلة الأمثال من الناحية الكمية لا تلغي تأثيرها ولا تحد منه ،فمن مجموع 1500 مثل وجدنا 38 مثل فقط له علاقة مباشرة بالدراسة .لكن تأثير تلك النسبة القليلة من الأمثال وجدناه في:

* تكرار تلك الأمثال الشعبية بشكل دائم في خطاباتنا اليومية، " تداول الأمثال الشعبية القديمة ،وترديدها لا يزال يعبر عن الحاجات النفسية للمجتمع، يؤكد استمرار دور المثل في العلاقات العامة ، إن الحاجة إلى هذا النوع من التعبير لا تزال قائمة "[345].

* في الخطابات الشعبية تكون له أهميته وقدسيته فهو يُقال كدليل على صحة الخطاب .

* التطبيق لتلك الأمثال الشعبية في التعامل اليومي بين الأفراد سواء على مستوى الاعتقاد أو الفعل

الإجابة على السؤالين السابقين تسلمنا إلى طرح الأسئلة التالية :

1- كيف يشكل الناس قضاياهم وكيف ينظرون إليها، وما هي العوامل المحركة لذلك ؟

2- من الذي يضع معنى الحقيقة الاجتماعية ،وهل للمثل الشعبي القدرة على تشكيلها ؟

يمكن القول بأن الثقافة بكل جوانبها (التاريخية - الشعبية)هي العامل المحرك والباعث للسلوك البشري والمثل الشعبي باعتباره كجزء منها له القدرة على بلورة الحقيقة الاجتماعية.

وللتوضيح أكثر نأخذ المثال التالي : عمل المرأة كحقيقة اجتماعية معاشة تثير عدة آراء بين مؤيد ومعارض،فمن يعارض عمل المرأة بناء على ماذا تكون لديه ذلك الاعتقاد؟الأكيد أن هنا عوامل محركة لذلك .وهنا يصادفنا مصطلح مهم وهو الدافع وتُعرف الدوافع على مستوى علم النفس بأنها "الحاجات المختلفة التي تحرك السلوك وتوجهه لتحقيق بعض الأهداف لإشباع هذه الدوافع" .

يمكن القول بأن هناك عاملان أساسيان يشكلان الحقيقة الاجتماعية في التصور العام للجماعة وهما :

البنية الاجتماعية والتاريخية والثقافية للمجتمع .ويأتي في المرتبة الثانية الواقع الاجتماعي المعاش الذي يعزز تلك البنية ،ويعمل على استمرارها .والذي يقوم بكل ذلك هو الإنسان بكل خلفياته التاريخية والنفسية والثقافية ..الخ."فالزمان والمكان ،التاريخ والبنية أمران متلازمان يتبادلان التحديد والتأثير. تاريخ ظاهرة ما يحدد بنيتها الراهنة ..."([346]).

جدول رقم (07): يمثل العبارات الدالة من القصة الشعبية على تناول قضيتي المرأة والعمل :

رقم القصة	العبارات الدالة من القصة	
	المرأة	العمل
01	- قلي على حاجة تصعب عليك وماقديتهاش تو نقدها نايا ،- العزوز ظهرت واعرة ومحتالة وباش دير الفتن في البلاد ،- دارت بي حيلة ولصقت في هكاكه بالكذب ،- ثار للمرا يخبط فيها	/
02	- قاتله :"نايا عاد الاغالب أبيا عطاني مانقدش نخرج على طوعه ، - كشفاتني قالت يامبهاه ..وغمزتني بلشفار .	/
03	- سكروا الباب وما تحلو حتى لواحد ،- املغدوة جتهم الغولية اطبطب في الباب .	/

[344] - التلي بن الشيخ ، مرجع سابق ، ص 177.

[345] - التلي بن الشيخ ،مرجع سابق ، ص 182.

[346] - مصطفى حجازي : التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ،مرجع سابق ،ص 70.

04	- ما نعطيشي بنتي كان الي يجيبلي محلامة نتاعت ذهب ، - سمع بيه الغولي جاب له محرمة نتاعت ذهب .	/
05	- يتهز السلطان يتنطر يخرج من هك السقف لقي روحه في فج من خلا ،مرا تحطب في السجر .	- خش ليني خدم شغوله ودار أسحاره ،- نكتب لك خطين وسط الجبهة نتاعك راه ما عاد يشوفك حتى واحد ،- ضربوا خط الرمل .
06	- حب هك الغولي يخطفهلهم ،يهزها ،هزها وهرب بها .	/
07	- عدهم سكنة في جهة وحدهم يجيهم الغولي في الليل	/
08	- كاين واحد الراجل ملهوثاته نسيبته ،عنده واحد النسيبة شريرة ، نصرعها ونخليها دايخة تجن وتخرج من عقلها .	- هيا نتفاهموا نايا وياك لبلاد اللي نلقوها نقعدوا فيها ورانا نغنوا
09	/	- يجي وقت الصلاة يبدو يسمعو في التفرفير ويجو يشوفوا فيه مايلقوهش ،- جابه في فج من خلا ،- راك ضربت لمام نتاع الجهة ،- كان عندك الزهر ..ترجع للبلاد .
10	- قاتلهم راهو راجلي تقاز كان شتيتو جيبوه يتقز عليه	- احرق عشتك يا تغنى يا تفقر انت الزهر ، -اتقزلي على الخزانة ولا نقص راسك .
11	/	- أنت سعدك هاوينه راقد في البلاصة الفلانية .
12	- قاتله مرته : اماله ثور أربي هذا عيد وماعدناش روح لغنم فلان جيبنا كبش .	- هيا نعزملك عليه تو نشوفهلك .
13	- سلطان عنده كان بنت واحد في الدنيا لا تخرج لا تخش لا من يجيهم ،- وتقعد هي وياه في السرايا حتى أصبحت المرا بالكرش ،- لاحوها في دار وخرجو من هك الحوش ،- سقدها وخلاص وكذب عنها .	/

تراوحت القصص المعبرة عن واقع المرأة بين صورتي ؛المـــرأة الشريرة والمرأة الضعيفة الخاضعة ،وتعكس كلتا الصورتين نظرة سلبية للمرأة .

* فبداية عبرت القصص (1-2-8-10-12-13) – أنظر الجدول رقم (7)– عبرت كلها عن كون المرأة أداة للشر والفساد في عرف مجتمع القصة ،فقد ظهرت في القصة الأولى المرأة بدور المحتالة التي تجاوز كيدها كيد الشيطان ،وفي القصة الثانية ظهـرت بدور الخائنة التي أحبت رجلا قبل زواجها وبعد زواجها أوهمت السلطان بإحضاره كخادم في القصر.والقصة الثامنة تبين لنا صورة الحماة الشريرة ،أما القصة العاشرة فتظهر المرأة فيها كمصدر للشر الذي يصيب الرجل ،فالرجل لم يخطر بباله فكرة الشعوذة لكن زوجته هي من أوحت له بذلك ،وفي القصة الثانية عشر تبدو المرأة في دور المحرض على سلوك مشين كالسرقة ،وهـذا فيه إشـــارة إلى أن المرأة مصدر للآفات الاجتماعية ،أما فيما يخص القصة الثالثة عشر فتظهر المرأة بدور الزانية ،وتتعرض البطلة في هذه القصة لموقفين متناقضين ؛ففي الموقف الأول تخدع أهلها وتدخل في علاقة غير شرعية مع الشاب الذي أحبته ،والموقف الآخر أن ذلك الشاب يخدعها ومن ثم يقتلها. كل تلك القصص تعكس : - تقليلا من شأن المرأة والحط من قيمتها إلى درجة تشبيهها بالشيطان . – مبالغة في تصوير الشر والمكر لديها .

* وفي الوجه المقابل نجد القصص (2-3-4-5-13) – أنظر الجدول رقم (7) – تعبر عن صورة المرأة الضعيفة والخاضعة ،فالقصة الثانية تبين لنا كيف أن الأب له حـــرية التصرف في مصير ابنته حتى وان تعلق ذلك بأمر يخصها كالزواج حيث لا تملك الفتاة حق اختيار الزوج الذي تريد ،أما القصة الثالثة فتعبر عن فكرة سائدة في الوطن العربي عامة وفي مجتمع القصة خاصة ؛ وهي ترك المرأة في البيت والضغط الذي يـُمارس عليها من طرف المحيط الاجتماعي .وفي القصة الرابعة نجد ازدراءا للمرأة والتعامل معها كسلعة تـُـباع وتشترى في أمر زواجها ، وفي القصة الخامسة نلاحظ وجود احتقار من طرف أهل المنطقة للمرأة حتى أنهم إذا أرادوا اهانة رجل شبهوه بالمرأة .أما القصة الثالثة عشر ففيها تدعيم لما جاء في القصة الثالثة وتمثل نموذجا آخر للضغط الاجتماعي والنفسي الممارس على المرأة ،والكذب عن المرأة في القصة يعني احتقارها وكذلك ما عبرت عنه كلمة (لاحوها) خوفا من العار الذي سيلحق العائلة .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن : لماذا ذهبت القصة الشعبية هذا المنحى في التعبير عن واقع المرأة (إما شـريـرة أو ضعيفة) ؟

من المتعارف عليه أن القصة الشعبية تعتبر بمثابة وثيقة تاريخية نستطيع من خلالها معرفة بعض المراحل التي مر بها المجتمع الذي ظهرت فيه القصة في وقت ما . فهل الوقت الذي ظهرت فيه القصة كانت المرأة فعلا بتلك

الصورة التي أظهرتها القصة الشعبية ،بمعنى آخر هل عكست القصة الواقع كما هو أم أن الخيال لعب دوره فيها ؟

يقول الكاتب التلي بن الشيخ في هذا المضمار :" أن الموقف في القصة الشعبية غير واضح ،بل لا يصح أن نصف الأحداث بالواقعية باعتبار القضايا في القصة الشعبية افتراضية أكثر منها واقعية " ([347]).

إن الحديث السابق لا يعني نفي صفة الواقعية عن القصة الشعبية إلا أن الغالب فيها هو الأحداث الافتراضية. لذلك نجد القصص (1-2-3-4-5-8-10-12-13) تدخل في إطار حكايات الواقع الاجتماعي حسب التصنيف الذي قامت به الكاتبة نبيلة إبراهيم حيث عرفت هذا النوع من القصص بقولها : " حكايات الواقع الاجتماعي هي تلك الحكايات التي تكشف الصراع الطبقي ،وعن علاقة الجماعات الشعبية ببعضها البعض " ويظهر الصراع في قصة الستوت (راجع القصة في الملاحق) ،وواقعية القصة الشعبية تستلزم تلك الوظيفة التي تقوم بها الحكايات الشعبية ،والتي أكدت عليها الأديبة نبيلة إبراهيم بقولها : " تقوم القصة الشعبية بوظيفة أساسية في الكشف عن القيم الأخلاقية الفاسدة في المجتمع الشعبي .." ([348]) ، وهذا فيه دلالة قاطعة على وجود بعض القيم الفاسدة والتي تعرقل تنمية المجتمع ،وهنا تظهر وظيفة القصة الشعبية بنقل ذلك الواقع ووضعه في قالب أدبي .

إلا أن هناك قضية مهمة يجب أن نلفت الانتباه إليها ،وهي أن القصة الشعبية لها الحرية في إظهار الشخصية بالشكل الذي تريده فعلى سبيل المثال " يكون وراء إظهار المرأة بمظهر المتفوق في الذكاء ،أن القصة ترمي إلى رفع مكانة الطبقات الشعبية إلى المراكز العليا في الحياة لا يعني عجزها ،وعدم قدرتها .وإنما يرجع إلى أسباب أخرى لا علاقة لها بالكفاءة والذكاء .."([349]) .

كما لا تخلو القصة الشعبية من الأساطير والخرافات " يطرح القصاص الشعبي موضوع المرأة في إطار تغلب عليه رؤية أسطورية ، تعتمد المبالغة والجري وراء الخوارق غير الواقعية .." ([350]).

هل تعبر تلك القصص على الواقع الحالي والى أي مدى أثرت في تشكيل المواقف اليومية للانسان الشعبي ؟

* أظهرت القصة الشعبية عدة صور لها علاقة بالواقع الحاضر :

1- صورة الحماة الشريرة والنظرة النمطية التي يأخذها المجتمع عن أم الزوجة ، فالي حد الآن هناك خطابات وممارسات تؤيد ذلك الواقع ، حتى أن بعض الأمثال الشعبية تلتقي مع هذه الصورة من مثل : (النسيبة ذيبة).

2- مسألة اختيار الزوج بالنسبة للفتاة ، فهناك إلى وقتنا الحاضر نجد في بعض الفئات الشعبية رفضا تاما لهذا الحق ، وهذا منافي لتعاليم الدين الإسلامي يقول صلى الله عليه وسلم: (لا تُنكح البكر حتى تُستأذن) .

3- حبس المرأة في البيت فمن خلال الدراسة الميدانية تبين لي أن هذا الأمر يؤدي إلى إثارة غضب المرأة وخنقها والانتقام بسلوك غير محمود ،ويبرر بعض الرجال لجوءهم إلى هذا الأمر بالأحكام الشرعية .وفي هذا الإطار يؤكد الأستاذ الإمام نور الدين مهري : " الفهم الخاطئ للكثير من للكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ،قد أدى إلى عدة ممارسات وضغوطات على المرأة لا أصل لها في الشرع ،إضافة إلى انتشار الفكر المتطرف والمتعصب لدى الكثير من الشباب في الوقت الحاضر، وهم ما أخذوا من الدين إلا القشور والأمور الظاهرة " [351]

* هذا لا يعني أن القصة الشعبية هي السبب في كل ذلك ،ولكنها تعبر عن مرحلة من التشكل الثقافي الذي مر به المجتمع ،وعكس إلى حد كبير نظرة الناس إلى الأمور وتقييمهم للأشياء ." ساعدت القصة الشعبية الجزائرية على حفظ العادات والتقاليد باستمرار من خلال رواية الخرافات القديمة التي تتوارثها الأجيال بالتواتر..... " [352]

* أما القصص (6-7-8-9) ،فنجد في هاته القصص الأربع تكرارا للفظي الغول والجن ،واندماجهما في حياة الناس العاديين ومشاركتهم في أمورهم الخاصة كالزواج مثلا ،وهذا ينم على مدى الاعتقاد المبالغ فيه للجن

---

[347] - التلي بن الشيخ ، مرجع سابق ، ص 15.

[348] - نبيلة ابراهيم ، قصصنا الشعبي من الرومانسية الى الواقعية،مرجع سابق ، ص 183.

[349] - التلي بن الشيخ ، المرجع السابق ، ص 144.

[350] - المرجع نفسه ، ص 148.

[351] - مقابلة معه بتاريخ 2010/12/08.

[352] - روزلين ليلى قريش : القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي ، الجزائر :ديوان المطبوعات الجامعية ، 1980، ص 215.

ومدى تأثيره في حياتنا .تدخل هاته القصص في إطار حكايات المعتقدات "تلك الحكايات التي ترتبط باعتقاد الإنسان الشعبي في الأولياء وباعتقاده في الأرواح الخيرة والشريرة " ([353])
وان كانت هاته القصص تنمي خيال النش إلا أنها في الوقت ذاته تزرع فيه نوع من الخوف وكذا تنمي لديهم التمثل الغير صحيح للعالم الآخر .وعلى اعتبار أن القصة الشعبية جزء لا يتجزأ من ثقافة المجتمع لذلك يطرح الكاتب على المزغني التساؤل الآتي : لماذا يسود ثقافتنا كل هذا الخوف ؟ ، وقد عـــرّف الخوف :"شعور من لا قدرة له على مواجهة الآخر" ([354]).
وفي نفس السياق يؤكد الكاتب محمد بن مريسي الحارثي بقوله :"أن الخوف على أي مستوى من مستوياته ،وفي أي نوع من أنواعه ذات العلاقة بالثقافة يولد صورا من الرهبة والحذر ومنهما يولد العقم الثقافي " ([355]). وهذا العقم الثقافي يسمح بانتشار وتأثير أوسع للثقافة الشعبية.
* والحديث عن الخوف له عـــدة أوجه يتعلق بعضها بالعمل وهــذا يقودنا للحديث عن القصص (8-9-11) فالرجل في القصة الثامنة عندما لم يجد عملا يؤمن به قـوت عياله ، لجأ إلى الاتـفاق مع الجن ،فأوهم الناس بأن "الطالب" الذي يستطيع إخراج الجن من الإنسان . والذي يجنيه من عمله يتقاسمه مع الجن .
وفي القصة التاسعة نجد لفظ الزهر الذي يعتمد عليه في الخروج من المأزق الذي وقع فيه الأخ العاقل ،وكذلك لفظ السعد الذي يجده صاحبه من خلال القصة الحادية عشر نائما فيحاول ايقاضه لعل أموره تتيسر، فقد شُبه السعد في هذه القصة بالإنسان .وهذه القصة تتكرر دائما في الأوساط الشعبية و تُحكى بطريقة هزلية ؛ فهذه الحاجة "سعدية" تحكيها وتجعل كل من حولها يضحك ، ففيها تجد تـنـفيســا لما عــانـتـه مع زوجها المتوفى وكيف أن الحظ خانها معه.
وهذا يــدل على أن حكايات الحظ والزهر تجد قولا اجتماعيا شعبيا .
وما يمكن أن نخلص إليه من خلال هذا التحليل النقاط التالية :
* القصة الشعبية وثيقة تاريخية تعبر عن الواقع الاجتماعي وتبلور موقف الإنسان من ذلك الواقع .
* الخلط بين بعض المفاهيم الشرعية ، وبين المفاهيم الناتجة عن عادات وتقاليد المجتمع .
* التقاء القصة والمثل الشعبيين في تعبيرهم عن بعض القضايا ؛كقضية الخوف (اللي خاف اسلم)،وكذا قضية الحماة الشريرة (النسيبة ذيبة).
* رغم أن القصة الشعبية تعكس الماضي ،إلا أنها في الوقت ذاته تعبر عن قضايا موجود حاليا (حبس المرأة في البيت ،والضغط عليها في مسألة الزواج ....).

[353] - نبيلة إبراهيم :قصصنا الشعبي من الرومانسية الى الواقعية ، مرجع سابق ، ص 200.

[354] -

[355] -

جدول رقم (08) يمثل نماذج من الخطاب الشعبي الشفوي والمتعلقة بقضية المرأة :

مؤشر الدراسة	رقم الصحيفة	العبارات الدالة على الموقف	مؤشر الدراسة	رقم الصحيفة	العبارات الدالة على الموقف
التقليل من شأن المرأة	01	قادة روحك راجل وتحبسي في الطكاسة .	السحر والزواج	14	حابة ندي واحد مايزيرشي عني
	02	انت اربي تاخذ في راي النساوين ربي يهديك		15	حتى شايب نقبل المهم يولي عنده الدفيز .
	02	المرا راهي محقورة ياسر عدنا		16	شفت هاك المعلمة عرس عنها راجلها راحت تسحرها
	04	الي عنده زريعة بنوت ربي يقاويه ،يالطيف هالبنوت وين تروح تلقاهم		17	شفت هاك البنوت كي عرسوا جابوا الهدايا للشباحة .
	05	نايا نقلك طلقها راهي أختها في السوق		18	جابت قمجة ولدها للشباحة وقاتله راهو ولدي ما يخدمشي وحاب يعرس .
الضغط الاجتماعي	06	نايا حابة نقرا ،وأهلي ديمة حابيني نعرس .	عمل المرأة	19	نحوس عن مرا خدامة ومترصمة .
	07	مرته دارت أكسدن ومرضت عرس عنها .- كون جي هو الي دار اكسدن مرته تصبر عنه .		20	كون يجي راجلي من الخدمة ومايلقاش الفطور ينوض لاخرة
	08	شفت مرت فلان طلبت الطلاق عيب عنها	الابتزاز المادي	21	راجلها هازلها الشيك
	09	هاي قرت وما دارت حتشي بقرايتها ،أندادها راهم بذرهم .		22	راجلها قاعد وهي تخدم فام دومیناج
	10	مانيش حابة نخسر أخوتي خلي يدوه الورث .		23	كان بطلتي الخدمة روحي لحوش أهلك
	11	ماجبتشي الذر راح عرس عنها ،كون جي هو الي ما يجيبش وعرست هي راهم لاموا عنها .		24	
السحر والزواج	12	لعل راهي بنتك مربوطة ،روحي اكتبيلها أندادها	.السخرية والتهكم	25	أهلها ديمة يعكوا عنها وينادوا فيها كان بالبايرة

		عرسوا وهي وشبيها			،شوي انتحرت .

المرأة و التربية	27	تو ربي ايديرك في النار
	28	تو ربي يعلقك من شفر عينيك
	29	ثور اضرب أختك
	30	رودبالك متكلمي حتى واحد .
الخجل من مرافقة المرأة	31	تو نمشي قدامك وانبعد ألحقيني .
	32	من اليوم والله ما عـدت نخرج معاك ،حشمتيني
عدم الاعتراف بجميل المرأة .	33	الراجل مايعجباشي العجب قد ما نذير وهو مايقرش فيه الخير .
	34	نخدم ونجي نقالد في الذر ومايبان حتشي .

				26	

كما هو ملاحظ في الجدول رقم (08) أن أكبر نسبة تعلقت بمؤشري : التقليل من شأن المرأة و الضغط الاجتماعي في مسائل (الدراسة والزواج والطلاق)، فهناك عدة ضغوطات تتعرض لها المرأة كابنة أو أخت أو زوجة ..

* تقع الفتاة التي تريد إكمال دراستها تحت الضغط ،خاصة إذا كان كل من حولها بما فيهم الأهل يقفون حائلا بينها وبين الدراسة ،ويحاولون إقناعها دائما بأن المرأة ليس لها إلا بيتها وزوجها .وهذا ليس خطأ ،وإنما يجب ألا يكون عل حساب مستقبلها ؛ وهذا ما عبرن عنه بعض الفتيات في إطار مقابلات معهن ،فالكثيرات منهن أبدين ندمهن ، ولسان حالهن يردد (كون كملت قرايتي خير...).(أنظر الصحيفة رقم 06 و رقم 09)

* تعـرض الفتاة للحبس في البيت يجعلها دائما تتطلع للارتباط بشخص يعوضها عما كانت تعانيه في بيت أهلها ،فهي لم تعش بطريقة طبيعية مما يجعل تفكيرها في الزواج حلا بغض النظر عن هدفها من هذا الزواج ،" المرأة في المجتمع العربي تتزوج للزواج..فهي من البداية لم ترسم أهدافا لهذا الزواج الذي يُبنى على الحوار والتفاهم؛ فهي تلجأ إليه من جراء ضغط المجتمع وهاجس الطلاق "[356]

* فقضية حـرمان المرأة من التعليم وحبسها في البيت ليس لها أصل شرعي ،وإنما كانت نتاجا لتقاليد وعادات المجتمع ، وما درج عليه المجتمع في النظر إلى المرأة ،" فلقد قام الشيخ عبد الحميد بن باديس بمهمة تنقية الثقافة الإسلامية من التقاليد البالية على خير وجه فاستطاع أن يخلص الجزائر من تلك التقاليد الزائفة. [357]...فقد اهتمت الحركة الإصلاحية بالمرأة باعتبارها ظلت مهملة وباعتبارها عضوا أساسيا في إصلاح المجتمع، وكانت دروس ابن باديس العامة منذ البداية موزعة بين الرجال والنساء، وقد أعطى هو المثل والقدوة في ذلك ،وفي مجلة (الشهاب) التي أنشأها ابن باديس باب خاص بالحديث عن المرأة في الشريعة والتاريخ الإسلامي مع ربط ذلك بالواقع في الجزائر..." [358] .فلو اكتفينا فقط بآراء العلامة ابن باديس عن المرأة وكيف حاول أن يرفع الظلم عنها لاستطعنا أن نسير قُدما بالمرأة والمجتمع على حد سواء .

وفي قضية خروج المرأة من البيت عبر الكاتب حسن الترابي بقوله : " وتخرج المرأة لحاجتها في الطريق وتشهد السوق ولو تاجرة أو مترفة ولو كانت تقع بعض الايذاءات لها وقد أذن النبي صلى الله عليه وسلم لهن في الخروج لحاجتهن بعد الأمر بالحجاب " حديث عائشة قالت : خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتهن وكانت امرأة حسيبة لا تخفى على من يعرفها فرآها عمر بن الخطاب فقال : " يا سودة أما والله لا تخفين علينا

---

[356] - حصة في دائرة الضوء : قناة حنبعل ، 2010/02/25.

[357] - مالك بن نبي : وجهة العالم الإسلامي ،ترجمة :عبد الصبور شاهين ،الطبعة السادسة ، دمشق :دار الفكر ،2006.

[358] - أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق ، ص 352.

فانظري كيف تخرجين ؟ قالت فانكفاءت راجعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وانه ليتعشى فدخلت وقالت : يارسول الله صلى الله عليه وسلم إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا قالت فأوحى الله اليه ثم رفع عنه وان العرق في يديه ما وضعه فقال "إن الله قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن" (رواه البخاري)، ولا عـزل بين النساء والرجال فللمرأة أن تستقبل ضيوف الأسرة وتحدثهم وتخـدمهم ومن النساء من كان يزورهن الرسول صلى الله عليه وسلم ويأكل عندهن ويصلي ويعودهن مثل أم أيمن " [359].

وقضية خروج المرأة إلى الشارع في وادي سوف ،نجد له تعارضا شديد اللهجة في الخطاب الشعبي الشفاهي اليومي، فالمرأة في مجتمع سوف عندما تخـرج إلى الشارع فإنها تشعر في بعض الأحيان بنوع من الحرج والخجل من السير معها في الشارع؛ " ويصل التشدد عند بعض المتدنيين،فلا يمكنه إخراجها إلا بعد ساعة متأخرة من الليل، فيدخل البغل إلى السقيفة، ويـركبها عليه ويسير بها إلى بيت أهلها ،لأنه يعتبر مجرد النظر إلى شكلها الخارجي –وهي تسير معه- معرة ، وحياؤه الفياض يمنعه من مرافقتها في وضح النهار ،وأمام ملأ من الناس ،تلك هي المنطلقات التي جعلت المرأة تحافظ على هذا المستوى من التخفي "[360]، فتلك النظرة لم تأت من فراغ وإنما كانت نتيجة تراكمات ثقافية عبر التاريخ ،وعززها خطاب شعبي يومي تسمعه المرأة في حالة خروجها من البيت ،من مثل :(يا لطيف النساوين وين تروح تلقاهم – السوق كلها نساوين ...). و قضية السير مع المرأة في الشارع تثير حساسية نوعا ما ، فحتى من تلقوا تعليما جامعيا عندما سألتهم عن هذه القضية صرحوا بالرفض فمن مجموع 10 اثنان فقط من أيدوا فكرة خروج المرأة معهم، أما عن ذوي التعليم المحدود فقد كانت إجابتهم كلهم بالرفض القاطع لهذه الفكرة.

* إن ذلك الرفض الصريح لخروج المرأة إلى الشارع ،يجعلها تعيش حالة اغتراب في مجتمعها "المرأة تعيش حالة اغتراب في مجتمعاتنا ،فهي تُحمل مسؤولية أشياء لا ذنب لها ،فهي تُلام في حالة ولادة البنت ،فالاغتراب حالة لا تشعر بالانتماء إلى المجتمع أو الأسرة تقوم بوظيفة من دون اقتناع...وهذا تكون نتيجة للموروث الاجتماعي ،والإسلام سكت عنه فلم يدعمه أو يحرمه ...ومع مرور الوقت يصبح عندهم تداخل في بعض الجزئيات، فيختلط الدين مع الموروث الاجتماعي الشعبي... "[361]

فالمرأة في مجتمع البحث مطالبة بالكثير مطالبة بالوفاء والصبر والتحمل، وإذا وُضع الرجل على نفس المحك فهو ليس مطالب بشئ ،ففي هذا الموقف من أول أزمة تـقع فيها الزوجة يلجأ الزوج للطلاق ومعاودة الزواج والمجتمع هنا لا يلومه بل يطالبه بذلك ،وان حدث العكس فالمجتمع يلوم الزوجة إذا فرطت في زوجها المريض (أنظر الصحيفة رقم 07) ، وإذا طلبت الزوجة الطلاق وهو أبسط حقوقها ،فان مجتمع البحث يلومها ويعتبر ما تفعله عيب (أنظر الصحيفة رقم 08)، كل ذلك يؤسس لحالة الاغتراب.

* والمرأة لم تخرج من البيت من فراغ،فعندما تخلى الرجل عن مسؤوليته تلقتها المرأة ؛وهذا يقودنا للحديث عن عمل المرأة ،وتوجه الشباب اليوم للارتباط بالمرأة العاملة .

دلت ألفاظ (خدامة – متـرصمة – الشيك ..) ،على سيادة التفكير المادي، فقد طغى البحث عن المرأة العاملة على أغلب الشباب الذي يفكر في الزواج، والمشكلة في أولئك الذي يودون الارتباط بالمرأة العاملة تكون لديهم أعمال بسيطة من حيث المكانة الاجتماعية والدخل المادي، ومنهم من لا يكون له عمل أصلا، فلماذا فكروا في ذلك؟ هناك سبب رئيس وهو الاعتقاد السائد لدى العامة بأن المرأة سوف تقبل وترضى.فذلك الاعتقاد ولو لم يجد التجسيد الواقعي فانه في حد ذاته تقليل من شأن المرأة بغض النظر عن عملها.

فالبحث عن المرأة العاملة ليس عيبا في حد ذاته وإنما العيب هو جعله هدفا. وخاصة في ظل الظروف الاقتصادية الراهنة والمتطلبات المتزايدة لتكاليف الحياة ،و إن كان هـذا السبب، فان البحث عن المرأة العاملة له ما يبرره .

وبقبــول المرأة بالزواج من رجل بطال أو دخله ضعيف فهي بذلك وضعت نفسها تحت عدة ضغوطات :

- الابتزاز المادي: فللزوج حرية التصرف في الأجر الشهري لزوجته (أنظر الصيحة رقم 21.)
- عـدم تفهم الزوج لوضع زوجته العاملة يؤثر على أدائها الوظيفي ،فهي دائمة التفكير في بيتها وأولادها وغضب زوجها إن لم يجد الغذاء جاهزا على سبيل المثال.(أنظر الصحيفة رقم 20.)

---

[359] - حسن الترابي ، مرجع سابق ، ص 24.

[360] - علي غنابزية : دور العادات والتقاليد في تثبيت هوية المرأة في وادي سوف ، ص 3.

[361] - مقابلة مع الدكتور سلمان العودة عبر الأنترنت بتاريخ : 2010/11/12.

- الطلاق : فهناك من الأزواج من يهدد زوجه العاملة أنه إذا تخلت عن العمل بالطلاق (أنظر الصحيفة رقم 23.) ،وكأن مايربط بينهم هو الأجر المادي فحسب.
- التضحية من أجل أولادها : فالمرأة في مجتمع البحث ترضى بالعمل البسيط والمتعب من اجل أو أولادها ،والزوج هنا لا يحرك ساكنا ،وهذا النموذج للأسف بدأ ينتشر بصورة خطيرة . (أنظر الصحيفة رقم 22.).
فعمل المرأة لم يحرم من الناحية الشرعية ففي الكتاب الأخير عبر أبو يعلي (السعيد بن الشريف الزواوي) عن رأيه في عمل المرأة وتعلمها ورؤية الخاطب لها، وخلص إلى القول أنه " لا يليق أن تكون المرأة عضوا أشل في الهيئة الاجتماعية الإسلامية "[362]
* وفي الوجه المقابل نجد في مجتمع البحث من يعارض عمل المرأة أو الارتباط بالفتاة الجامعية ،وفي هذا مفارقة غريبة، ففي إطار المقابلة عبر بعض الشباب عن رغبتهم في الارتباط بالفتاة ذات التعليم المحدود، وعندما سألتهم عن السبب ،لم يقدمو لي إجابة مقنعة ولكن هناك شاب منهم صرح بالحقيقة التي أخفاها الجميع بقوله (نايا حاب ندي وحدة ماتفهمشي !!!.....) ،طرحت لي هذه الإجابة الصريحة عدة تساؤلات، فالشاب باختياره ذلك الاختيار يكون مُقرا ضمنيا بأن المرأة إذا تمكنت من إكمال دراستها والعمل تفتحت لها أبواب جديدة مما يُصّعب عليه مجاراتها أي بالتعبير الشعبي (ما هوش حاب يكسر راسه.).
فلماذا لم يفكر ذلك الشاب وغيره من الشباب الذين ذهبوا في اختيار الزوجة هذا المنحى، في الأسرة وكيف لفتاة لم تتشبع من العلم والثقافة أن تربي أولاده فيما بعد ؟....
وهذا يقودنا للحديث عن قضية التربية (أنظر الصحيفة رقم27-28-29) ،فالخطاب الشعبي الشفاهي أقوى تأثيرا على الطفل لأنه يُقال له بشكل مباشر ومستمر، ولأنه أيضا موجه إليه من طرف الأم ،فهو في مرحلة لا يميز فيها بين الصح والخطأ، فما قالته الأم يصبح لديه من المسلمات ،وفي هذا الخطاب نوع من الترهيب الغير مرغوب فيه . عدم وجود نوع من الوسطية في التربية إما دلال زائد وإما ترديد عبارات تخيف الطفل.
إضافة إلى ذلك هناك نوع من التربية الحذرة التي تُعامل بها الفتاة (أنظر الصحيفة رقم 30)، مما ينعكس ذلك سلبا على تحركاتها وثقتها بنفسها ،فتتكون لديها "فوبيا الرجال"، التي دائما تسمع تحذيرا منهم من طرف الأهل . و مما ينتج عنه فيما بعد أزمة ثقة بين الرجل والمرأة ،فكل طرف منهما يشعر انه مظلوم لم يحظ بالاهتمام الكافي ،تداخل الأدوار وإحساس المرأة بأن الرجل لا يعترف بما تقوم به من أجله واجل أولاده مما يؤدي للكثير من المشاكل.(أنظر الصحيفة رقم 33 و 34)
* تم الحديث في السطور السابقة عن هاجس الطلاق ،مما يجعل المرأة تلجأ للبحث عن الزواج بطرق مشروعة وغير مشروعة سواء الرقية أو السحر (أنظر الصحيفة رقم 18،16،12) ،فقدان الزواج معناه الحقيقي وجعله هدفا يجب الوصول إليه بكل الطرق و هو في الأصل وسيلة يحقق فيه الفرد معنى الاستخلاف في الأرض ،ويربي فيها جيلا قادرا على الانجاز .
ويفسر الكثير من النساء تعطل زواجهن بسبب (التابعة) وهي نوع من التفسير الخرافي تُرجع إليه كل العراقيل التي تصيب المرء، في الزواج أو غيره من الأمور الأخرى "ينتشر عند الكثير من الجزائريين الاعتقاد بخطورة الإصابة بالتابعة ويبرز هذا التشاؤم والخوف المربك بدرجة أكبر وسط شريحة النسوة اللائي كثيرا ما يلجن عالم المغامرة بحثا عن وصفة دواء حقيقية تخلصهن من هذا الكابوس الذي يقف في وجه سعادتهن والمغامرة تبدأ عادة بالبحث عن متخصص راقيا أو عرافا ،وقد يكون شوافة أو ساحرة.."[363]
ويصل التفكير الخرافي الفتيات إلى حمل الهدايا إلى (الشباحة) التي أمنت لهن زوجا على حسب تفكيرهن(أنظر الصحيفة رقم 17) "وكلما زاد القهر والعجز تفشت الخرافة ،ولذا فليس من المستغرب أن نجدها تعشش في عالم المرأة ومجابتها للحياة في العالم المتخلف،لأنها أكثر من غيرها قد حُرمت أهم إمكانات المجابهة العقلانية الموضوعية للواقع "[364]

---

[362] - أبو يعلي الزواوي : الإسلام الصحيح ، دمشق ،حوالي 1924، ص 26.

[363] - الهام ب : **نساء يمارسن طقوسا غريبة تخرق تعاليم الدين**، جريدة الجديد ، العدد ،الوادي ،17 جويلية 2010 .

[364] - مصطفى حجازي : **التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور** ، مرجع سابق ، ص 74.

جدول (09) يمثل نماذج من الخطاب الشعبي الشفوي المتعلق بقضية العمل :

مؤشر الدراسة	رقم الصحيفة	العبارات الدالة على الموقف	مؤشر الدراسة	رقم الصحيفة	العبارات الدالة على الموقف
الكسل	01	أرقد مازال بكري الخدمة ماهيش هاربة	**الحظ**	11	نايا عارفة روحي فيا التابعة الخدمة الي اروحلها متكتبشي
	02	تو نخدمها غدوة هاني رايح اليوم		12	حنايا معدنــاش الـزهــر
	03	نايا نحوس عن خدمة مريحة		13	
	04	روحي حطي الكاس في الكوزينة	**التعلق بالأولياء والصالحين وخطر الإصابة بالعين**	14	روح لسيدي الشيخ تو يسقملك الدنيا اكل
عدم تحمل المسؤولية والاتكالية والسلبية	05	اربي شوفلي المدير خرج باش نخرج بكري اليوم		15	حابة ولدي يخدم يا سيدي الشيخ
	06	سقدها ويالها اروحو		16	الناس الدنيا اكل ايعاينوا عليها
	07	يقد روحها ويخرج يميطر في الطريق ومرته تخدم عنها		17	نايا عارف روحي بيَّا عين
	08	حوسلي عن وحدة خدامة ومترصمة .	**التقليل من شأن المتعلم**	18	قري وما دار حتشي بقرايته
	09	هو راقد ونايا نخدم عنها وأمها جايا معا		19	وهذه قراية يقروا فيها ،راهم يقروا في العمى
	10			20	القراية تو ما عداتش توكل الخبز

كما هو ملاحظ في الجدول رقم (09) أن أكبر نسبة فيما يخص قضية العمل استحوذ عليها مؤشر عدم تحمل المسؤولية والاتكالية والسلبية ،وقد ركــزنا الحديث على هذا المؤشر في تحليل الجدول رقم (06).وهذا يدل على أن هذا المؤشر قد استحوذ على اهتمام معتبر سواء من الخطاب الشعبي المدون (الأمثال الشعبية) أو الخطاب الشعبي الشفاهي . وهذا يدل على تجذر هذه القضية في مجتمع البحث وسيطرتها على الخطابات اليومية في الوسط الشعبي سواء بشكل يدعمها أو بشكل ناقد يحاول معالجتها .

أما بقية المؤشرات (الكسل ، الحظ والزهر ،التعلق بالأولياء والصالحين، التقليل من شأن المتعلم) فقد جاءت نسبيا متقاربة.

* فالكسل : تم الحديث عنه في تحليل الجدول رقم (06)

* و تكثر في خطاباتنا الشعبية اليومية الحديث عن ما يسمى " بالتابعة" وكذا الاعتماد على الحظ والزهر (أنظر الصحيفة رقم 12،11 ،13) ،مما يبث في النفوس نوع من القدرية والاستسلام للظروف وعدم القدرة على مواجهتها، " يأخذ الغربيون على الانسان العربي خصوصا ،والشرقي عموما ،قدريته واستسلامه للظروف ،دون أن يحاول التأثير فيها .كما يلومونه على تخاذله وسلبيته اللذين يعتبروهما عيبا خلقيا وحضاريا .ولم ينتبه

هؤلاء إلى أن هذا الإنسان لم يتراجع إلى هذه المواقع القدرية الاستسلامية إلا بعد عصور طويلة من القهر الداخلي .. "[365]

* والتعلق بالأولياء والصالحين في تيسير الأمور، وكذا أمور العين والسحر.كلها أمور يُرد اليها عجز الإنسان عن تحمل فشله وتحويله إلى نجاح، فيرد الأمر دائما إلى أمور غيبية وانه ليس مسؤول عن شئ. أن الفئة المتعلمة تعارض إلى حد بعيد أمور التعلق بالأولياء والصالحين وأمور السحر والعين.

* التقليل من شان المتعلم طغى بصورة غريبة على الخطاب الشعبي الشفاهي ويرجع ذلك إلى أسباب تدعمه موجودة في واقع المجتمع :

- البطالة لخريجي الجامعات ، وانتشار ظاهرة الوسائط لتأمين الوظائف.
- عدم الثقة في قدرات خريجي الجامعة الجزائرية.
- السلبية التي تميز جل المتخرجين من الجامعة، وعدم فاعليتهم في المجتمع ،فعندما تحاور أحدهم في بعض الأمور أو تطرح عليه بعض الأسئلة ينتابك إحساس بأنه يعاني من خواء معرفي وثقافي رهيب ،وهناك مقولة شعبية يرددها الكبار في السن (تـقرى في العمى) تصدق عليهم أحيانا؛ فان كان العلم الذي تعلمته تنساه بمجرد تخرجك من الجامعة ولا يجد طريقه للاستثمار والاستفادة منه، إن كان ذلك العلم لا يُبصّرك بالطريق الذي يجب أن تسير فيه فهو إذن أشبه بالعمى.
- ترك التعليم واللجوء إلى الربح السريع كالتجارة ،وهو النشاط الأكثر انتشار في مجتمع البحث ،وغيرها .
- الوضع الاجتماعي للمعلم والتقليل من شأنه في بعض الأحيان .
- عدم الوعي واضمحلال دور التربية، "تحقيق الوعي الفردي لا يمكن أن يتم إلا بمقدار ما يعمل هذا الوعي على أن يتجاوز ذاته ،وبمقدار ما يرسم لنفسه منظومة من الأهداف تستهدفه فعاليته "[366]

(الجهد و المبادرة وتحمل المسؤولية و العلم و التفكير الموضوعي والعقلاني في الأمور) وان كانت لا تمثل العمل في حد ذاته إلا أنها تعتبر من متعلقاته الأساسية والتي بدونها لا يمكنه أن يظهر أو يستمر، وان اضمحلت فسيحل مكانها :(الكسل ،عدم تحمل المسؤولية ،التعلق بالأولياء والصالحين ،والتقليل من شأن المتعلم والجهل) ، فكان حريا بنا أن نفّعل قيمة العمل في ذواتنا حتى نتمكن من النهوض به فعليا وواقعيا.

الخلاصة

ما يمكن أن يشكل خلاصة لهذا الفصل، وفي نفس الوقت يقدم إجابة عن تساؤلات الدراسة النقاط التالية:

* في الخطاب الشعبي سواء المدون أو الشفاهي اتجاه سلبي نحو المرأة ونحو العمل تمثل في عدة مؤشرات وممارسات تبينت من خلال تحليل الجداول. لكن ذلك لا يلغي أو يحد من أهمية الخطاب الشعبي ذو التوجه الايجابي.

* الخطاب الشعبي الشفاهي كان اعم و احتوى على مؤشرات أكثر من الخطاب الشعبي المدون ،فهناك قضايا لم يتناولها الخطاب الشعبي المدون مثل : أمور السحر والشعوذة التي لم تذكر في الأمثال الشعبية ،وذكرت على مستوى محدود في القصة الشعبية، إضافة إلى مؤشر عمل المرأة وذلك نظرا لأنه مفهوم ظهر حديثا ،والخطاب الشعبي المدون ظهر في وقت مضى. وهذا يزيد من أهمية الخطاب الشعبي الشفاهي فكما أن يعكس التاريخ إلا أنه يعبر عن واقع وحاضر المجتمع بكل مستجداته.

---

[365] - مصطفى حجازي : التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ،مرجع سابق ، ص162.

[366] - رونيه أوبير ،مرجع سابق ، ص 317.

* بمرور التاريخ بعض الأمثال الشعبية لم يعد لها تأثير هذا من جهة ،ومن جهة ثانية بعض الأمثال الشعبية لا تُقال بشكل صريح،إلا أن مضمونها يجد التطبيق الفعلي من خلال بعض الاعتقادات والممارسات سواء تعلق الأمر بالمرأة (الضغط الاجتماعي في قضية الزواج ...) ،أو العمل (الحظ والزهر و عدم تحمل المسؤولية...)
* التقاء العوامل التي أدت إلى التخلف التربوي في قضيتي المرأة والعمل على حد سواء (الجهل – الخرافة – الفهم الخاطئ لتعاليم الإسلام – نمط التربية)
*ومن خلال المقابلة أن الإجابات ليست لها علاقة بالمستوى التعليمي بقدر ما لها علاقة بدرجة الوعي-وخاصة في بعض القضايا المتعلقة بالمرأة كتوجه بعض المثقفين بالارتباط بالمرأة ذات التعليم المحدود- فان كان التعليم هو إحدى روافد الوعي إلا أنه وحده لا يكفي وضرورة وجود عوامل أخرى تدعمه كالإصغاء الاجتماعي و الحس الثقافي والمرونة ،الذكاء الاجتماعي.

خلاصة البحث

ما يمكن أن يشكل خلاصة لهذا الفصل، وفي نفس الوقت يقدم إجابة عن تساؤلات الدراسة النقاط التالية:

* في الخطاب الشعبي سواء المدون أو الشفاهي اتجاه سلبي نحو المرأة ونحو العمل تمثل في عدة مؤشرات وممارسات تبينت من خلال تحليل الجداول. لكن ذلك لا يلغي أو يحد من أهمية الخطاب الشعبي ذو التوجه الايجابي.

* الخطاب الشعبي الشفاهي كان اعم و احتوى على مؤشرات أكثر من الخطاب الشعبي المدون ،فهناك قضايا لم يتناولها الخطاب الشعبي المدون مثل : أمور السحر والشعوذة التي لم تذكر في الأمثال الشعبية ،وذكرت على مستوى محدود في القصة الشعبية، إضافة إلى مؤشر عمل المرأة وذلك نظرا لأنه مفهوم ظهر حديثا ،والخطاب الشعبي المدون ظهر في وقت مضى. وهذا يزيد من أهمية الخطاب الشعبي الشفاهي فكما أن يعكس التاريخ إلا أنه يعبر عن واقع وحاضر المجتمع بكل مستجداته.

* بمرور التاريخ بعض الأمثال الشعبية لم يعد لها تأثير هذا من جهة ،ومن جهة ثانية بعض الأمثال الشعبية لا تُقال بشكل صريح،إلا أن مضمونها يجد التطبيق الفعلي من خلال بعض الاعتقادات والممارسات سواء تعلق الأمر بالمرأة (الضغط الاجتماعي في قضية الزواج ...) ،أو العمل (الحظ والزهر و عدم تحمل المسؤولية...)
* التقاء العوامل التي أدت إلى التخلف التربوي في قضيتي المرأة والعمل على حد سواء (الجهل – الخرافة – الفهم الخاطئ لتعاليم الإسلام – نمط التربية)
*ومن خلال المقابلة أن الإجابات ليست لها علاقة بالمستوى التعليمي بقدر ما لها علاقة بدرجة الوعي-وخاصة في بعض القضايا المتعلقة بالمرأة كتوجه بعض المثقفين بالارتباط بالمرأة ذات التعليم المحدود- فان كان التعليم هو إحدى روافد الوعي إلا أنه وحده لا يكفي وضرورة وجود عوامل أخرى تدعمه كالإصغاء الاجتماعي و الحس الثقافي والمرونة ،الذكاء الاجتماعي.

قـــــائـــــــمة المـــــراجـــع

*** القرءان الكريم : رواية ورش عن نافع .**

أولا- القواميس والمعاجم:-

01- **المنجد في اللغة و الأعلام**، الطبعة 24، بيروت : دار المشرق ، 2005.

02- ايكه هولتكرانس: **قاموس مصطلحات الأثنولوجيا والفلكلور**، ترجمة: محمد الجوهري وحسن الشامي، القاهرة: دار المعارف ، 1971.

03- جبور عبد النور: **المعجم الأدبي** ، الطبعة 2، بيروت : دار العلم للملايين، 1984.

04- سميرة أحمد السيد: **مصطلحات علم الاجتماع**، السعودية: مكتبة الشقــري، 1997.

05- محمد رشاد الحمزاوي : **المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية**، تونس: الدار التونسية للنشر، 1987.

06- محمد عاطف غيث: **قاموس علم الاجتماع** ، الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979.

ثـانيــا: الكتب

***/ الكتب باللغة العربية:-**

07- أبو القاسم سعد الله: **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر**، الطبعة 2، الجزء الخامس، بيروت: درا الغرب الإسلامي، 1990.

08- .....: **تاريخ الجزائر الثقافي**، الجزء السادس، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1998.

09- أبو يعلي الزواوي : **الإسلام الصحيح** ، دمشق ، حوالي 1924.

10- أحمد بن الطاهر منصوري: **الدر الموصوف في تاريخ وادي سوف**، الجزائر : دار الهدى ، 2000.

11- أحمد الخشاب : **مبادئ علم الاجتماع** ، الطبعة 2، القاهرة : مكتبة مصر ، بدون تاريخ .

12- أحمد أبو زيد : **الحكايات الشعبية دراسة تحليلية لآراء ويليام جريهام سمنر في دراسة الفلكلور**، القاهرة : دار الطباعة للثقافة ، 1972.

13- أحمد زغب : **الأدب الشعبي** ، الجزائر :مطبعة مزوار، 2008.

14- أحمد القطان : **المرأة في الإسلام**، الطبعة 2 ، الجزائر : مكتبة رحاب ، 1988.

15- التيجاني ثريا: **دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة وادي سوف**، الجزائر: دار هومة، 1998.

16- التلي بن الشيخ : **منطلقات التفكير في الأدب الشعبي**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990.

17- الجيلاني حسان : **من التراث الغنائي بوادي سوف**، الجزائر: دار الشهاب، بدون تاريخ.

18- الغذامي عبد الله : **المــرأة واللغــة**، الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، 1996.

19- .....: **ثقافة الوهم ومقاربات حول الجسد و المرأة**، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1990.

20- .....: **تشريح النص**، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1987.

21- السيد الحسيني : **نحو نظرية اجتماعية نقدية**، بيروت : دار النهضة العربية ، 1985.

22- الطاهر حداد : **امرأتنا في الشريعة و المجتمع** ، تونس: دار المعارف، 1992.

23- العدواني محمد **: تاريخ العدواني**، تحقيق : أبو القاسم سعد الله ، بيروت : دار الغرب الاسلامي ، 1996.
24- العوامر إبراهيم : **الصروف في تاريخ وادي سوف**، الجزائر: منشورات شالة ، 2007.
25- إبراهيم بدران و سلوى الخماش : **دراسات في العقلية العربية**، بيروت : دار الحقيقة ، 1974.
26- برهان غليون : **اغتيال العقل** ، سلسلة صاد، 1990.
27- بن السالم بن الطيب بالهادف: **سوف تاريخ و ثقافة** ، الجزائر : مطبعة الوليد ، 2007.
28- بن على محمد الصالح : **1500 مثل وحكمة من وادي سوف** ، الجزائر : بدون ناشر ، 1998.
29- حسن بن عبد آل الشيخ : **المرأة كما عاملها الإسلام**، الجزائر: دار الهجرة ، 1990.
30- حسين سليم : **قصة الأنثروبولوجيا** ، الكويت : سلسة عالم المعرفة ، 1986.
31- حمدان خوجة : **المـــــرآة** ، ترجمة : محمد العربي الزبيري ، الطبعة 2، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1982.
32- خزعل الماجدي: **أدب الكالا أدب النار**، سلسلة ميثولوجيا، عمان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2001.
33- ذهبية حمو الحاج: **لسانيات التلفظ وتداوليات الخطاب**، الجزائر: دار الأمل للطباعة والنشر، 2005.
34- ريطا الخياط : **المرأة في العالم العربي**، الجزائر: منشورات زرياب، 2003.
35- روزلين ليلى قريش: **القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1980.
36- رونيه أوبير: **التربية العامة**، ترجمة: عبد الله الدايم، الطبعة 6، بيروت: دار العلم للملايين ،1983.
37- سلوى الخماش : **المرأة العربية والمجتمع التقليدي المتخلف**، الطبعة 3، بيروت: دار الحقيقية، 1981.
38- سليم ناصر بركات: **مفهوم الحرية في الفكر العربي الحديث**، دمشق: دار دمشق، 1984.
39- لويس جان كاليفي: **علم الاجتماع اللغوي**، ترجمة: محمد يحياتن، الجزائر: دار القصبة، 2004.
40- عبد الله شريط: **معركة المفاهيم**، الطبعة 2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1981.
41- .....: **الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون**، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975.
42- عبد الإله جدع: **خطايا الحب والزواج**، جدة : الدار السعودية للنشر، 1986.
43- عبد الجليل مرتاض: **اللغة والتواصل**، الجزائر : دار هومة ، 2000.
44- عبد الحميد حواس: **أوراق في الثقافة الشعبية**، القاهرة : دار الامين للنشر والتوزيع، 2002.
45- عبد المالك مـرتـاض: **العامية الجزائرية** ، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981.
46- علي الخليلي: **البطل الفلسطيني في الحكاية الشعبية**، بيروت: دار ابن خلدون، 1979.
47- علي حرب: **أين نحن من قضية الكواكبي**، المنامة: مركز الشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة للثقافة والبحوث، 2002.
48- علي محمد مكاوي: **الأنثروبولوجيا و قضايا الإنسان المعاصر**، القاهرة: الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، 2007.
49- قاسم أمين: **تحرير المرأة** ، الجزائر: بدون ناشر، 1990.
50- قسطنطين زريق: الوعي القومي، بيروت : دراسات الوحدة العربية ، 1994.
51- فاروق أحمد مصطفى: **الأنثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي**، القاهرة: دار المعرفة الجامعية، 2008.
52- فاروق مصطفى: **الحكايات الشعبية دراسة أنثروبولوجية**، القاهـرة: دار المعرفة الجامعية، 1981.
53- فرويش فون دير لاين: **الحكاية الخرافية**، ترجمة: نبيلة ابراهيم، القاهرة: مكتبة غـريب، بدون تاريخ.
54- فلاح الجوفي: **كوارث العولمة وغياب الإدارة**، القاهرة : مكتبة مدبولي، 2010.
55- فوزي غرايبة، نعيم دهمش وآخرون: **أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية**، الطبعة 2، الأردن : دار وائل للنشر والتوزيع ، 2002.
56- مالك بن نبي : **وجهة العالم الإسلامي**، ترجمة: عبد الصبور شاهين، الطبعة 6، دمشق: دار الفكر، 2006.
57- .....: **ميلاد مجتمع** ، ترجمة: عبد الصبور شاهين، الجزائر: دار الفكر، 1986.
58- .....: **تـــــــأملات** ، الطبعة 5، الجزائر: دار الفكر، 1991.
59- محمد حسن غامري: **مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1991.
60- محمد عـــزام: **تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة**، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2003.
61- محمد عبد الحميد خان: **الأساطير والخرافات عند العـرب**، الطبعة 3، لبنان: دار الحداثة، 1981.
62- محمد الساسي معامير : **التقويم الجزائري 1345- 1927** ، تونس: مطبعة النجاح ، بدون تاريخ .

63- محمد ناصر : **المقالة الصحفية الجزائرية**، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر ، 1978.
64- مرسي الصباغ: **القصص الشعبي في كتب التراث** ، الإسكندرية: دار الوفاء، 1999.
65- مصطفى يعلي: **القصص الشعبي دراسة مورفولوجية**، الدار البيضاء: شركة المدارس للنشر والتوزيع ، 1999.
66- مصطفى حجازي: **الإنسان المهدور**، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2000.
67- .....: **التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور**، لبنان : المركز الثقافي العربي ، 2001.
68- مها محمد فوزي : **الأنثروبولوجيا اللغوية** ، القاهرة: دار المعرفة الجامعية، 2008.

69- موريس أنجرس: **منهجية الحث في العلوم الإنسانية**، الجزائر: دار القصبة للنشر، 2004.
70- ميهي عبد القادر: **سوف في كتابات ايزابيل ابرهاردت** ، قمار: المركز الثقافي محمد يجور، 2008.
71- موروبيرجر: **العالم العربي اليوم** ، ترجمة : محي الدين محمد، بيروت : مطبعة سميا، 1983.
72- نبيلة إبراهيم: **أشكال التعبير في الأدب الشعبي**، الطبعة3، القاهـــرة: مكتبة غريب للطباعة، بدون تاريخ.
73- .....: **قصصنا الشعبي من الواقعية إلى الرومانسية**، القاهـــرة: مكتبة غريب للطباعة، 1991.
74- نبيل علي: **الثقافة العربية وعصر المعلومات**، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والآداب، 2001.
75- نوال السعداوي: **دراسات عن المرأة والرجل**(كتاب الأنثى هي الأصل) .
76- نصر حامد أبو زيد: **دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة** ، الدار البيضاء: منشورات المركز الثقافي، 1999.
77- نواري سعودي أبو زيد: **الدليل النظري في علم الدلالة**، الجزائر: دار الهدى ، 2007.
78- نور الهدى لوشن: **مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**، الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، بدون تاريخ.
79- هشام شرابي: **مقدمات لدراسة المجتمع العربي**، بيروت: الأهلية للنشر و التوزيع، 1981.
80- .....: **النظام الأبوي و إشكالية تخلف المجتمع العـربي**، ترجمة: محمود شريح، الجزائر: دار الغرب ، 2002.
81- هــدسون: **علم اللغة الاجتماعي**، ترجمة : محمود عياد، الطبعة 3، القاهرة: عالم الكتب، 2002.

***/ الكتب باللغة الأجنبية :-**

82- Ander-Roger**: le Souf** ,Algeria: ELwlid,2004.

ثالثا- المجلات و الجرائد :-

***/ المجلات :**

83- الجيلاني حسان: **التغير الثقافي في المجتمع الصحراوي**، مجلة الدراسات والبحوث، عدد9 ، الجزائر: المركز الجامعي بالوادي،2010.
84- أمينة حمزة الجندي: **ثقافة الطفل**، مجلة الطفل العربي، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،1992.
85- آلان دندسن: **حول بنية المثل الشعبي**، ترجمة :خطري عرابي، مجلة الفنون الشعبية،عدد53، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996.
86- بسام الطيب: **نظرية فانون عن العنف وتأثيرها على الفلسفة الهيجلية**، مجلة دراسات عربية، عدد7، بيروت، 1970.
87- ختام نعامنة: **الديمقراطية والعلمانية في المشرق العربي**، مجلة الحوار المتمدن، عدد 213، الرياض،2002.
88- رضوان شافو: **دور منطقتي وادي ريغ ووادي سوف في تمويل منطقة الأوراس قبل وخلال الثورة التحريرية**، مجلة الدراسات والبحوث، عدد9 ، الجزائر: المركز الجامعي بالوادي،2010.
89- علي الشابي: **مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية**، المجلة التاريخية المغربية، عدد يناير، تونس،1979.
90- قدوسي محمد: **الجزائر بعد دستور 1989 استمرارية تطور أم تقطعات؟**، مجلة الخامسة، عدد36، الكويت، 2008.
91- نديم بيطار: **الأسباب البعيدة لظاهرة التخلف السياسي**، مجلة دراسات عربية، عدد10، بيروت، 1974.
92- نجيب يوسف: **سيكولوجية التطير**، مجلة علم النفس،مجلد 5، عدد سبتمبر، القاهرة، 1946.
93- .....: **الفرج والضيق في أحلام المصريين**، مجلة علم النفس، مجلد 8، عدد 3، القاهرة، 1953.

***/ الجرائـــد:-**

94- حمزة بكوشة: **قيمة المرأة في المجتمع**، جريدة البصائر، عدد 8، 21 فيفري 1936.

95- عمار بكار: **كيف نتحكم في الثقافة الشعبية**، جريدة الاقتصادية، عدد311، السعودية، 2009.

96- الهام ب : **نساء يمارسن طقوسا غريبة تخرق تعاليم الدين**، جريدة الجديد، العدد9،الجزائر،17 جويلية 2010

رابعـا- الملتقيات:-

97- بشير خلف: **الموروث الشعبي**، ملتقى الموروث الشعبي وقضايا الوطن، الجزائر: من تنظيم رابطة الفكر والإبداع بالوادي، 2006./04/25

98- عبد الحميد بوسماحة: **الموروث الشعبي مفاهيم ومقاربات حول إشكالية المصطلح**، ملتقى الموروث الشعبي وقضايا الوطن، الجزائر: من تنظيم رابطة الفكر والإبداع بالوادي، 2006./04/25

99- علي غنابزية: **دور العادات والتقاليد في تثبيت هوية المرأة في مجتمع وادي سوف**، الملتقى الوطني الثالث حول التراث والهوية في زمن العولمة،من تنظيم دار الثقافة الوادي، الجزائر،أيام 2-3ماي 2010.

خامسا- الرسائل :-

100- جاما خديجة: **الغناء النسوي في منطقة القبائل**، رسالة ماجستير(غير منشورة) في علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 1992.

101- علي غنابزية :**مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن الثالث عشر (هـ) التاسع عشر (م)**، رسالة ماجستير (غير منشورة)2001، جامعة الجزائر.

سادسا- مواقع الأنترنت:-

102.-www.SHARJHA.TV.15-05-2009

103-WWW.MBC.net.12-11-2010

104- www.Hannibal.tv.25-02-2010

105- www.souf.com 14-08-2010

106- Shib-AL-rabi@spray.se.2008/10/1 hotmail.16-05-2010.

107- http:// Wesam 333.jeeran.com/Welcome 7 gif .11-11-2010.

108 - Malinowski: **Myth in Psychology**, Motaz 1123@gmail.com 14-12-2010

109- Yves Locost,**Geographie du sous- devloppement**,Paris,2ème éd,P,U,F.

zahid@hotmail.com 21-12-2009 .

Résumé:

Ils se sont basés dans cette étude sur l 'ohsrvation des aspects du retard éducatif d 'un discours populaire dans la société d'oued Souf , et pour qu'on puisse metriser cela, Ils posé cette problématique suivante :

- Quels sont les aspects du retard éducatif dans un discours populaire ?

de cette problématique principale on a proposé deusc problématiques secondaires :- Quels sont les aspects du retard éducatif vers la femme ?

- Quels sont les aspects du retard éducatif vers le travail ?

Aprés avoir analyser les statistiques, ils ont olisrné un ensemble d`aspets du retard éducatif vers la femme et l 'emploi :-

On se qui concerne la thése de la femme on a trouvé un ensemble d`aspets pour rassembler un point de ver arriére comme la dévolorisation, la préssion sociale, la moquerie et l'ironie ainsi qu'elle se tiens á la sorcelerie et la mauvaise oeil).

En ce qui concerne l'emploi ces qspects sont un ense,ble de points qui ont cqrrqcterisé l'hindivr du dqns une société de recherche qui hu a impose un avis megatif vers l 'emploi comm le fait de pas assumer la responsabilite, le pecimisme, la chance et se fier au marabout...etc.

La conclusion de cette etude que les effets qui ont cause se retard sont les memes que ce soit la problématique de la femme oubien l emploi : l education est ce qui vient anec comme l ignorance, l emprise et les fausses methodes comme la crainte...etc.

- La fausse comprhension de la religion, et la reformulation populairr verset du corqn et les Ahadithes du prophete.
- Compter sur l escplication visible et mythique des cas de vie.

Ils ont decoumert dans cette etude un point tres interssant: c est que les aspects du retard fait une grand partie de la nature de la société a l aide des traditions, les habitudes et l histoire aussi, jusqu' ils sont devenus normales habituelles pas comme un retard qui se complique le changement et meme l influence.

Surtout que le probleme est dans la façon de penser et la convriction pendant des longs siecles ainsi la façon de voir la viet deus these ; la femane et l 'emploi speciabement dans la société d'oued Souf et en générale la société algérienne .

الملخص:

تم التركيز في هذه الدراسة على رصد مظاهر التخلف التربوي في الخطاب الشعبي في مجتمع وادي سوف، وحتى نتمكن من ذلك تم طرح التساؤل الرئيسي التالي:- ماهي مظاهر التخلف التربوي في الخطاب الشعبي؟

وتحت ذلك التساؤل الرئيسي تم طرح تساؤلين فرعيين:

- ماهي مظاهر التخلف التربوي نحو المرأة؟

-ما هي مظاهر التخلف التربوي نحو العمل؟

وبعد عملية تحليل الجداول تم رصد مجموعة من مظاهر التخلف التربوي نحو كل من المرأة والعمل:

فالبنسبة لقضية المرأة اشتركت مجموعة من المظاهر لتأسيس نظرة متخلفة نحوها من مثل : (التقليل من شأنها، الضغط الاجتماعي، السخرية والتهكم، وكذلك تعلق المرأة بأمور السحر والعين).

وفيما يخص العمل فان مظاهره تمثلت في مجموعة من الصفات ميزت الفرد في مجتمع البحث جعلت له اتجاها سلبيا نحو العمل من مثل:(عدم تحمل المسؤولية، السلبية والاتكالية، الاعتماد على الحظ والزهر، وكذا التعلق بالأولياء والصالحين.)

وما خلصت إليه الدراسة أن العوامل التي أسست لذلك التخلف سواء في قضية أو العمل كانت مشتركة وهي-:

-عملية التربية وما يصاحبها من جهل وتسلط و أساليب خاطئة من ترهيب وغيره.

-الفهم الخاطئ لمفاهيم الشرع، والتأويل الشعبي للآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة.

-اعتماد التفسير الغيبي والخرافي للمواقف الحياتية.

وتم الكشف في هذه الدراسة عن نقطة غاية في الأهمية؛ وهي أن مظاهر التخلف تلك أصبحت جزء لا يتجزأ من طبيعة المجتمع، فقد دعمتها التقاليد والعادات وعززها التاريخ، حتى أصبحت أمرا عاديا ومألوفا وربما لا ينظر إليها على أنها تخلف أصلا. مما يصعب عملية التغيير أو حتى التأثير، لأن الأمر يتعلق بما يفكر به الآخرون وما اقتنعوا به عبر عصور طويلة، وكيف ينظرون إلى الحياة بما في ذلك قضيتي المرأة والعمل في مجتمع وادي سوف بصفة خاصة، والمجتمع الجزائري بشكل أعم.